موسوعة علماء فلسطين وأعيانها

الجزء الثاني



إعداد وتأليف

مجموعة من الباحثين

تصدر بإشراف

أ. د يحيى جبر

أستاذ علم اللغة بجامعة النجاح الوطنية

التصميم والمونتاج: عبد الهادي جوابرة

تعريف بدائرة المعارف الفلسطينية

-
- محاور دائرة المعارف الفلسطينية
- موسوعة علماء فلسطين وأعيانها، ويتضمن هذا المحور مادة الموسوعة التربوية الفلسطينية وزيادة
- خزانة فلسطين التاريخية
- خزانة فلسطين الجغرافية
- سلسلة التراث الشعبي الفلسطيني «من الخابية»
- بنك معلومات القدس

المحتوى:

نأمل أن تحتوي هذه الدائرة على كل ما يتصل بفلسطين الأرض والإنسان، مخترقة حدود المكان والزمان. وهي مبوبة في محاور بحسب الموضوعات التي تشتمل عليها، فقسم لعلماء فلسطين وأعيانها عبر القرون، بغض النظر عن ديانتهم ومذاهبهم وتوجهاتهم الفكرية والحزبية، وآخر يتضمن خزانة فلسطين التاريخية، ندرج فيه وقائع الزمن، والحوادث التي تعاقبت على فلسطين، وثالث يخصص لخزانة فلسطين الجغرافية، فلا نترك موقعا ولا بلدا ولا عينا ينتهي إليها علمنا إلا رصدناها فيه، كما تتضمن الدائرة قسما يخص المأثورات والفنون الشعبية الفلسطينية، أسميناه «من الخابية» الوعاء الفلسطيني المشهور في بيوتنا قديما، وسيدرج في هذا الإطار كل ما يتصل بأنماط الحياة الشعبية مما له ارتباط بالقول أو العمل اليدوي أو الحركي. أما القسم الخامس فهو «بنك» للمعلومات المتصلة بالقدس على وجه الخصوص.

ولما كان المشروع على هذا القدر من التشعب والاتساع، فإننا نهيب بكل مطالع أن يبادر إلى تزويدنا بما لديه من معلومات على هيئة مادة إلكترونية، أو أن يرشدنا إلى المصادر التي يمكن أن نجد فيها ما يندرج في هذه الأطر، كما أننا نستاذن الباحثين والناشرين في نشر ما نجده من موادهم الإلكترونية في هذا الموقع. وسنسعى من بعد إلى إصدار المادة مطبوعة في مجلدات نحكِم ترتيبها بطريقة تسهل الرجوع إليها.

الهدف:

تهدف جامعة النجاح الوطنية من وراء هذا المشروع إلى توثيق فلسطين الأرض والإنسان انطلاقا من شعورها بالمسؤولية التاريخية تجاه فلسطين وقضيتها ومستقبلها، فلئن حالت الظروف المتعاقبة دون إنجاز المشروع الحضاري الفلسطيني وفقا لما يقتضيه انتماء فلسطين وأهلها؛ فليس أقل من النهوض بما يوثقها ويحفظها من الضياع، ولا سيما أن كل فلسطين مستهدفة أرضا وإنسانا وثقافة وتراثا.

الآلية:

سنبادر إلى رفع ما لدينا من مواد دائرة المعارف الفلسطينية على الشبكة الإلكترونية، وسنبدأ في الوقت نفسه بجمع المعلومات المختلفة ومعالجتها لرفعها، راجين من كل متصفح أن يبادر إلى الإسهام في هذا العمل الجليل، وسندرج اسم صاحب المشاركة إزاءها من باب حفظ الحقوق. وستصدر الجامعة مواد دائرة المعارف في كتب تنشر تباعا بحيث تتضمن المادة الأصلية وما قد يرد إلينا من تعليقات أو نقد أو مداخلات تتصل بها.

حدود المسؤولية:

لا تتحمل الجامعة أي مسؤولية تجاه ما ينشر، وإنما تقع المسؤولية أول ما تقع على عاتق المؤلف يليه في ذلك من يعترض أو ينتقد، لأننا ننشر ما ننشره ونترك للمتصفحين حق التعليق والتعقيب، وحق الرد والنقض، فنحن نعلم أن أحكامنا على الأشخاص والأشياء من حولنا تختلف، إذ أن كلا منا يحكم بحسب ما يتوفر لديه من معلومات، ونعد بنشر كل ما يرد إلينا من مداخلات أو تعليقات دون تدخل. ونأمل بذلك أن يتمخض الحوار عن الحقيقة التي تتكفل الأيام بحفظها بعد أن نعمل على جلائها.

تصدير

انطلاقا من الدور المنوط بجامعة النجاح الوطنية من حيث هي أكبر المؤسسات الأكاديمية في فلسطين، ومن استعدادها للنهوض بأعباء المشروع الحضاري الفلسطيني، فقد شرعت في إعداد دائرة المعارف الفلسطينية، وبادرت إلى جمع المعلومات التي تتصل بعلماء فلسطين وأعيانها، وبالمواقع الجغرافية، والوقائع التاريخية، إضافة إلى ما وعته الذاكرة وترجمته الحياة الشعبية من مأثورات قولية أو يدوية، إلى جانب ما يتصل بمدينة القدس مما نطمح إلى أن يشكل من بعد بنكا للمعلومات الخاصة بها.

وقد رأت الجامعة أن تكلف الأستاذ الدكتور يحيى جبر بمهمة الإشراف على هذا العمل الضخم، لخبرته في هذا المجال، إذ سبق أن أصدر تراجم لنحو من مائة من أعيان فلسطين وأعلامها، كما أصدر بضعة كتب تتصل بتاريخ فلسطين والمواقع الجغرافية الفلسطينية والأدب الشعبي.

إن جامعة النجاح الوطنية لترجو بهذا العمل أن تحقق مزيدا من التفاعل الحضاري على الساحة الوطنية في جميع مجالات المعرفة، ونحن من هنا نهيب بكل المعنيين أن يبادروا إلى التواصل مع الموقع المخصص لدائرة المعارف الفلسطينية، وأن يزودوه بما لديهم من معلومات، وألا يبخلوا بملاحظاتهم وإبداء آرائهم لما في ذلك من نفع يعود على الجميع، ولا سيما أننا سننشر ما يرد إلينا على مسؤولية مؤلفه؛ تاركين للمتصفحين حق الرد والتعليق والنقض، واعدين بأن ننشر ذلك من بعد في كتب تشكل أجزاء دائرة المعارف.

وتمثل هذه الدائرة، في حال إنجازها على الوجه المأمول، نجاحا وطنيا كبيرا، يسهم في تحقيقه الفلسطينيون هوية وهوى، وإن فلسطين لتستحق منا ذلك وأكثر، ونرجو بهذا العمل أن نوفق إلى توثيق فلسطين وحفظ تراثها والتعريف بأعيانها وعلمائها ونعرف بمواقعها ومأثوراتها، فلا تطالها إيدي المعتدين، ولا يجور عليها الزمن بالعفاء والاندثار.

إن الشعب الفلسطيني، وبالرغم مما تواتر في ساحته من الأحداث، لقادر على النهوض بعزيمة الغير من أبنائه، لتحقيق أهدافه المشروعة، متحديا الاحتلال، ومتمردا على ظروفه العصيبة، ومن هنا كانت مبادرة جامعة النجاح الوطنية إلى الشروع في إصدار أجزاء دائرة المعارف الفلسطينية، لتكون عونا للباحثين، ومصدر افتخار لأبناء فلسطين، وهذا أوان الشد.

أ.د. رامي حمد الله

رئيس الجامعة

مقدمة

إن الشعوب التي تحرص على التواصل بين أجيالها المتعاقبة، وتحافظ على ذاكرتها يقظة حاضرة بشكل مستمر، لهي جديرة بالارتقاء في مراتب المجد، وبلوغ آمالها وتحقيق أهدافها؛ وإن أبطأ بها الزمان لما قد يعترض طريقها من عقبات كالاحتلال وتفرق الأسر ونقص الموارد، ولكنها لا تلبث حتى تحطم أغلالها، وتكسر قيدها، وتنطلق في مسيرتها بعزيمة وثبات.

وتسعى جامعة النجاح الوطنية بهذا العمل إلى تقديم أعلام فلسطين وأعيانها الراحلين لهذا الجيل ولمن بعده من الأجيال؛ ليتخذوا منهم قدى يحوكون على منوالها، ومشاعل على طريق تحقيق الذات للنهوض بالمشروع الحضاري الفلسطيني من حيث هو لبنة في ما تسهم به الأمة من دور في تشييد صرح الحضارة العالمية.

وستصدر هذه السلسلة من الأعلام في كتب متتابعة لتشكل مع سلسلة « من الخابية « للمأثورات الشعبية، وخزانة فلسطين التاريخية، وخزانة فلسطين الجغرافية، وبنك معلومات القدس _ دائرة المعارف الفلسطينية، التي ترجو بها جامعة النجاح أن تخطو بالمجتمع الفلسطيني خطوة جبارة على طريق السؤدد الاجتماعي والمجد.

وسنكرر هذه المقدمة في صدر كل عدد من أعداد السلسلة، كما أننا سنجعل ترقيمها متسلسلا بحيث يبدأ ترقيم الكتاب التالي من حيث ينتهي هذا الكتاب.

وقد حرصنا في تقديم الأعلام بما تيسر لنا من معلومات عنهم، بغض النظر عن الاختلاف بين مناهج المعدين، وتفاوت الموضوعات التي تغطيها التراجم المختلفة، إذ أننا تركنا المجال مفتوحا للمعدين لجمع ما يرونه من المعلومات عن هذا العلم أو ذاك، على نحو ما يجده المطالع في هذه السلسلة من تفاوت.
وفي ترتيب الأعلام في أعداد الموسوعة لم نلتزم منهجا محددا في تتابعهم على صفحاتها، بل جئنا بهم عشوائيا؛ إذ لا سبيل إلى انتهاج آلية بعينها لتحقيق ذلك؛ لأن العمل لم يتوقف، فقد يدرج علم في موضع ما فنحصل على ترجمة لعلم آخر هو أولى منه به، فيختل بذلك نظامها، ولكننا سنقوم بإعداد فهرس شامل لدى اكتمالها، ونكتفي قبل ذلك بإصدار كشاف يلحق بأعدادها المتوالية؛ يتضمن بيان الموقع الذي ورد فيه كل علم ترجمنا له.

وجدير بالذكر أننا لا نحقق في صحة المعلومات الواردة في تراجم الأعلام، فذلك يحتاج إلى جهود لا سبيل إلى توفيرها، ولكننا، ومن أجل أن يظل الباب مفتوحا أمام التصويب والتصحيح، لنرجو من كل القراء أن يبدوا آراءهم في ما يقرؤونه، وأن يعقبوا عليه _ إن شاؤوا _ سلبا او إيجابا، لأننا نعلم أن بعض الأعلام كانوا _ وما زالوا _ يشكلون لغزا يصعب حله، والتحقق من أمره، ومرادنا هو أن نقدم للقراء صورة صادقة عن رموز حركة الوعي والنشاط الاجتماعي في فلسطين ملونة بألوانها التي تحملها مرددين مقولة « هذا نحن » بما لنا وما علينا.

كما نرجو من القراء الكرام أن يبادروا إلى الإسهام في إعداد هذه الموسوعة، وفي غيرها من فروع دائرة المعارف الفلسطينية، وألا يألوا جهدا في سبيل إنجازها على أكمل وجه وأوفاه، لأن فلسطين تستحق منا ذلك وأكثر منه، فقد دقت ساعة العمل، وحان الوقت لنفض غبار الزمن، ورفع راية التحدي الحضاري.

وكنت في العقدين السابقين قد أصدرت نحوا من خمسة وأربعين مطبوعة تضمنت تراجم لكثير من أعيان فلسطين، ولكنني لم أتمكن من مواصلة إصدارها لأسباب مختلفة، حتى كانت مبادرة الأستاذ الدكتور رامي حمد الله حين أبدى رغبة الجامعة في إعادة إصدارها وتقصي سير الأعلام الفلسطينيين على أوسع نطاق ممكن.

وهنا لا بد من كلمة حق أنوّه فيها بجهود الأستاذ الدكتور رامي حمد الله، رئيس الجامعة، وضابط إيقاع أنشطتها المختلفة، وأثني على دوره الفعال في رفع شأن العلم والعلماء، وتشجيع الفعاليات الثقافية والعلمية في الجامعة والمجتمع، إذ لولا ذلك منه لما أتيح لهذا العمل أن يرى النور بصورته العتيدة. والله الموفق للسداد.

أ.د. يحيى جبر

نابلس في ٥/٥/٢٠١٠م

يسرة صلاح
1923-1993

يسرة صلاح
١٩٢٣ – ١٩٩٣

أ. كفاح عودة

عن صحيفة نابلس ومما قيل في تأبينها؛ بتصرف

المقدمة:-

يسرنا أن ننشر هذا الكتاب عن امرأة عظيمة سبقت زمانها بعلمها وسعة اطلاعها، وهي تمثل تحولا كبيرا في النهضة العلمية في فلسطين والأردن في أواسط القرن العشرين؛ لاسيما في الوسط النسائي، تلكم هي يسرة عادل صلاح.

وهذا هو أول كتاب في سلسلة الموسوعة التربوية الفلسطينية نخصصه لامرأة. ليس تفرقة ولا تمييزا. ولكن لأن دور المرأة في النهضة المعاصرة تخلف عن الرجل لأسباب اجتماعية نعلمها، وكانت تجربة يسرة في توجهها للدراسة ببيروت مظهرا من مظاهر كسرها وتحديها. ففتحت أسرتها بذلك عهدا جديدا أسهمت فيه المرأة من بعد بدور فعال في إعادة البناء الاجتماعي والثقافي على أسس فيها من الحداثة والتجديد ما فيها.

وفي الأوساط النسوية عدد لا بأس به من التربويات اللاتي أسهمن في تطوير الحياة العلمية والثقافية في بلادنا، وهن أهل للكتابة عنهن، وإبراز أدوارهن في البناء الاجتماعي. وهذا يستدعي أن تبادر بعض النسوة إلى الإسهام في إعداد سلسلة الموسوعة التربوية بالكتابة عن رائدات النهضة الثقافية في هذا الجزء من الوطن الكبير، ونحن على استعداد لنشرها بأسماء معداتها.

وقد ضربت يسرة صلاح مثلا فريدا في طلب العلم وإدارة مؤسساته ونقله الى مريديه ترجمة وتعليما، كما كانت قدوة صالحة في مثابرتها وحزمها وجدها، وظلت على ذلك؛ تعطي وتعمل دون كلل، إلى أن وافاها الأجل....

نشأتها:-

ولدت يسرة عام 1923م لأبوين صالحين، وذلك في مدينة نابلس، والدها هو الشيخ الأزهري المعمم عادل حسن صلاح الباقاني، ولد عام 1882م بنابلس أيضا، كان منزله ملتقى لعلماء الدين واللغة والأدب، وقد تطوع للتدريس في مدرسة النجاح مدة من الزمن، كما عمل «مميزا» يمتحن الطلبة شفويا.

وفي عام 1914م تزوج من ابنة ابن عمه، أمين مصلح صلاح، وكانت أمها قارئة تجيد قراءة القرآن الكريم وتجويده، وكان الشيخ زكي أبو الهدى يتعهدها في تحفيظ القرآن، كما تتلمذت على السيدة زكية خانم زوجة سليمان طوقان في مدرسة كانت تديرها. وقد كان لوالدتها المتعلمة المثقفة دور في إقناع والدها في إرسالها لمتابعة دراستها.

وقد أدت نشأة يسرة في هذا الوسط إلى اكتسابها أخلاقا حميدة، وشخصية مميزة، اذ كانت تصلي وتصوم في طفولتها، وكانت تكثر من القراءة في الصحف والمجلات، تحفها العناية والرعاية من والديها، وقليلا ما كانت تخرج؛ إذ حرص والدها على تأمين حاجتها إليها، لاسيما أنه كان يمتلك مزارع في منطقتي قلقيلية ويافا، وكان متفرغا أبي الوظيفة، ولم يأبه بأي نشاط سياسي حتى توفي عام 1969م.

ولما كان منزلهم قريبا من مدرسة الراهبات، فقد التحقت بها، وفي عام 1929م انتقلت الى المدرسة الفاطمية- المستوى التمهيدي، وفي عام 1930م انتقلت الى المدرسة العائشية الى أن انهت الصف الابتدائي السادس، السابع من بعد.

ثم توجهت يسرة للدراسة في مدرسة الفرندز برام الله، كانت قد تحجبت آنئذ، وظلت كذلك حتى عام 1953م. وهناك شغفتها الكتب، فاكتب عليها، وأبدت تفوقا على أترابها مما جعل مديرة المدرسة آنذاك - فكتوريا حنوش- تقربها منها، ومما ثقفته يسرة في وقت مبكر الإنجليزية، وازداد إتقانها لها يوما بعد يوم.

وفي عام 1942م حيث تخرجت يسرة في مدرسة الفرندز، وسارعت للالتحاق بكلية البنات ببيروت حيث نقش اسمها على لوحة الشرف، وانتخبت لتكون رئيسة للمنزل. وهناك تخصصت في مادتي الرياضيات والإحصاء، على أمل أن يتاح لها أن تعود لمواصلة الدراسة في الجامعة الأمريكية ببيروت، وبالفعل مالبثت حتى التحقت بها بعد أن اقتنع والدها الشيخ بإرسالها، لاسيما أن والدتها كانت تشجعه في ذلك.

وفي الجامعة الامريكية التقت الدكتور قسطنطين زريق المفكر القومي المعروف وصاحب «العروة الوثقى» مع الدكتور نبيه أمين فارس، وممن زاملها في تلك المرحلة هناك وليد قمحاوي الطبيب، وعبدالغني العنبتاوي الصيدلي، وعدنان العنبتاوي رجل الأعمال ، وابنتا خليل السكاكيني دمية وهالة وسلمى الخضرا ونهى الحلبي وسلوى ساطع الحصري.

وفي عام 1946م تخرجت يسرة، وعادت الى نابلس لتبدأ مسيرة العطاء...

الوظائف التي شغلتها: -

عينت يسرة بعد عودتها من بيروت مدرسة للغتين العربية والإنجليزية في المدرسة العائشية بنابلس، حيث بدأت تمارس نشاطها وتحقق رغباتها بممارسة كثير من النشاطات اللامنهجية، وفي أواخر عام 1947م وحتى أول عام 1948م توقفت المدارس بعد قرار التقسيم، وتطوعت يسرة مع عدد من النسوة للتمريض رفقة الدكتور أمين رويحة إذ عملن على اسعاف الجرحى في الصدامات التي توالت عامذاك.

وفي تموز سنة 1952م سافرت يسرة للولايات المتحدة لمتابعة الدراسات العليا دون أن تستشير وزارة التربية والتعليم الأردنية، مما عرضها للمساءلة فيما بعد. وهناك في جامعة كولومبيا بنيويورك بدأت مسيرة علمية جديدة بغية الحصول على الماجستير في تعليم اللغة الإنجليزية، وفي أمريكا لم تأخذ يسرة بهارج الحياة وزخرفها، وكثيرا ماكانت تبدي نفورا من الإباحية التي يحياها الأمريكيون، ولكن ذلك لم يمنعها من الإفادة بما يشهده المجتمع الأمريكي من وجوه التقدم والتحضر. إذ لم تكد تفوت فرصة للاستمتاع بالمشاهد المسرحية والعروض والندوات ونحوها.

وفي عام 1953م تخرجت يسرة لتعود مدرسة للغة الإنجليزية في المدرسة العائشية... وموجهة في الوقت نفسه لمدارس البنات في مكتب التربية بتكليف من إبراهيم صنوبر، الذي كان له دور بارز في مسيرة التربية في منطقة نابلس على وجه الخصوص.

وفي عام 1955 تفرغت للتوجيه ، وما لبثت حتى رشحت مديرة لمركز تدريب المعلمات التابع لوكالة الغوث بمدينة نابلس، هذا المعهد الذي انتقل من بعد الى رام الله لأسباب ماكان لها ان تكون، ولا أن تحرمه المدينة.

وقد وافقت وزارة التربية على إعارة يسرة مديرة لمعهد المعلمات التابع لوكالة الغوث، وما لبثت المعهد حتى أغلق على أثر المظاهرات التي عمت البلاد في أعقاب العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م واستمر ذلك تسعة أشهر عادت بعدها لعملها موجهة في مكتب التربية والتعليم.

وتوجهت يسرة عام 1957م إلى غرب أوروبة في رحلة علمية الى عدد من دول غرب أوروبة على حساب اليونسكو، وما عادت حتى وجدت وظيفتها السابقة في انتظارها- مديرة لمركز تدريب المعلمات بنابلس، وفي عام 1958م صدر قرار وزير التربية والتعليم بعودتها لمكتب من جديد.

وفي أوائل الستينات عملت يسرة مدرسة للغة الإنجليزية في كلية النجاح الوطنية، وظلت على ذلك أربع سنوات، وبلغ من إتقان يسرة الإنجليزية أن عهدت اليها وزارة التربية والتعليم بتأليف كتب Living English Structure وهي ومحمد العناني الدكتور في الجامعة الأردنية من بعد بالاشتراك

مع Standard Allen وتوجهت لهذا الغرض الى لندن عام 1967م لتقوم الحرب الآثمة عاذاك، مما اضطرها للعودة فورا الى عمان لتجد نفسها غريبة عن نابلس، عاجزه عن الوصول اليها دون مخاطرة.

وقد مرت يسرة بظروف عصيبة جراء الاحتلال الإسرائيلي، ومما زاد في ذلك موقفها الحازم من المحتلين اذ كانت تقاطع البضائع الإسرائيلية ماوسعها الجهد، والتعامل معهم يستدعيها الحاكم العسكري فتقابله باباء وشمم، ورفضت العودة للعمل في التربية في ظل الاحتلال حتى اتهمت بالتحريض، ولم تعد لممارسة العمل رسميا إلا في أعقاب الأحداث الدامية سنة 1970 بين الأشقاء شرقي النهر، وقد تشكلت في الضفة الغربية جمعية خيرية لمساعدة طلبة الجامعات الذين حيل بينهم وبين جامعاتهم، فكان أن عينت يسرة مشرفة على تلك الجمعية.

وفي عام 1972، حين انفرجت الأوضاع قليلا، قامت يسرة باستئجار مكتب الجمعية وحولته الى مكتب للخدمات والطباعة وتنظيم الدورات خدمة مجانية للمجتمع.

وفي عام 1976م، لدى النظر في توسيع مجلس أمناء جامعة النجاح، اختيرت يسرة عضوا في المجلس، وظلت كذلك نحوا من خمسة أعوام حتى استقالت في 1981/11/25م.

وفي عام 1976م أيضا أسهمت يسرة في حملة وطنية لجمع التبرعات لتأسيس مدرسة للبنات (كمال جنبلاط)، ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي شاركت فيها بمثل هذا العمل، بل إن مسيرتها حافلة بالأعمال التطوعية والخيرية.

وأهدت هي وشقيقتها مسرة مكتبة والدهما الى جامعة النجاح الوطنية لينتفع بها الطلبة والباحثون، كما أوصت يسرة- رحمها الله- شقيقتها مسرة بأن تهدي مكتبتها من بعدها للجامعة أيضا. وقد كرمت أمانة عمان الكبرى يسرة صلاح بأن أطلقت اسمها على أحد شوارع عمان.

جهودها في الترجمة والتأليف:-

سبق أن ذكرنا أن يسرة أسهمت تأليف مقررات اللغة الإنجليزية لطلبة المدارس في الضفتين، يضاف الى ذلك أنها ترجمت بعض الكتب والقصص عن الإنجليزية ويعود الفضل في توجيهها الى الترجمة لمحمد سليم الرشدان زميلها في المهنة، ورئيس تحرير مجلة رسالة المعلم إذ كان ينشر ما تترجمه فيها.

ترجماتها:

1. مجموعة قصصية نشرتها جمعة الدراسات العربية في القدس سنة 1984م.
2. عدة قصائد لفدوى طوقان، ترجمتها للانجليزية تحت اسم Daily nightmares .
3. وقد نشرت في لندن ابتداء، وأعاد نشرها اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين.
4. مذكرات موشيه شاريت لليفيا روكاخ، وقد نشر عام 1984 وخصص ريعه لطلبة النجاح الوطنية.

وفاتها:-

توفيت - رحمة الله عليها- بمدينة نابلس يوم الأحد 1993/6/20م فاهتزت لوفاتها القلوب في المدينة وخارجها، لما كان لها من دور في تفعيل المجتمع وبث الوعي فيه.

وكانت يسرة قد أوصت بأن ينقش على ضريحها قوله تعالى من سورة الرعد «الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب».

وقد أقيم في مدينة نابلس حفل كبير لتأبينها يوم الخميس 10 صفر الخير 1414 الموافق 93/7/29 شارك فيه خلق كثير.

«قالوا فيها»:

عرفت يسرة زميلة وصديقة ورفيقة درب وشريكة نضال، منذ أواخر الاربعينات حين كنا مدرستين في المدرسة العائشية الثانوية التي تميزت بالإضافة إلى تفوق أدائها بالناحية العلمية بكثرة انشطتها الهادفة والموجهة والملتزمة، كنا في ذلك الوقت نتعاون في تنفيذ تلك الأنشطة، إذ لم تكن مهنة التدريس آنذاك وظيفة تمتهنها فقط، بل كانت منهج حياة نحاول التمسك به طيلة سنوات عملنا وكفاحنا. عملت مع الفقيدة مدة عشر سنوات عرفتها خلالها نعم المربية القديرة، والمعلمة المخلصة، كانت أختا لكل زميلة، وأما لكل طالبة ومرشدة لكل صديقة ثم فرقتنا الغربة حين ابتعدت عن مدينتي الحبيبة نابلس مدة عشر سنوات أخرى، ولكن صلتي بالفقيدة لم تنقطع خلالها، بل كان يجمعنا كلما التقينا في العطل الصيفية ذكريات مثيرة، وهوايات أدبية مشتركة، ومبادئ وقيم مشتركة، وكنت كلما انتهى لقاء بيننا أشعر أنني تعلمت شيئا جديدا وكسبت الكثير من سعة اطلاع الفقيدة ورجاحة عقلها، وقدرتها على تغيير الأمور واخلاصها لبلدها.

رحمك الله يا يسرى.. فبعد أن لعبنا معا أشواطا طويلة في ساحة نضال عريضة، رحلت عنا فخسرنا لاعبا ماهرا، أصابنا الرعب لفقده وشعرنا بالقهر والإحباط.

استمرت يسرة تربي الأجيال منذ عام 1946م حين تخرجت في الجامعة الأمريكية في بيروت، ومما يجدر ذكره انها كانت رائدة للمرأة النابلسية في الالتحاق بهذه الجامعة، في ذلك العام عينت مدرسة في المدرسة العائشية ثم موجهة للغة الإنجليزية في مكتب التربية بنابلس، ثم أعيرت الى وكالة الغوث الدولية مؤسسة ومديرة لمعهد المعلمات في نابلس من 1956م إلى 1958م، ثم أنهت إعارتها لتعود موجهة الى مكتب التربية في نابلس، كما شاركت في وضع مناهج وكتب اللغة الإنجليزية للمراحل الإلزامية والثانوية.

وكانت أثناء سنوات الخدمة هذه ترسل في بعثات دراسية وتقوم بزيارات علمية إلى مؤسسات أكاديمية في الخارج، وحصلت على شهادة الماجستير عام 1953م.

وفي عام 1967م وبسبب الاحتلال الإسرائيلي للبلاد، والذي شعرت ازاءه بصدمة عنيفة هزت كيانها، استنكفت عن العمل الوظيفي، وتوجهت إلى النضال على الصعيدين التربوي والوطني، وكانت لها مواقف مبدئية لم تتغير، تعاونت مع بلدية نابلس ومع عدد من سيدات ورجال هذا البلد لجمع تبرعات للعائلات المحتاجة، واشتركت في حملة لجمع التبرعات لبناء مدرسة كمال جنبلاط الثانوية حين رفضت البلدية أن تتلقى عونا مشروطا من السلطات لبنائها، ثم تعاونت مع عدد من المربين والمهتمين بتعليم شباب هذا البلد لتأسيس مكتب التنسيق الذي ساعد طلاب الجامعات لإتمام معاملاتهم في الخارج، حينما كانت هذه العملية متعذرة على الكثيرين منهم. وعندما تحول هذا المكتب الى مكتب العلوم والثقافة، علمت اللغة الإنجليزية للطلاب، ثم تطوعت بعد ذلك لتعليم هذه اللغة لعدد من السيدات. وتمكنت من تثقيفهن وتوعيتهن من خلال تلك الدروس.

وعينت يسرة عضوا في مجلس امناء جامعة النجاح الوطنيـة عام 1976م، فأعطت من فكرهـا وعلمها وقدراتها المتعددة مااستطاعت لهذا الصرح الوطني العظيم، ولكنها استقالت عـام 1981 احتجاجا على محاولات التدخل الخارجي وممارسة الضغوط على مجلس الأمناء.

بررت مقاومتها السلبيـة للاحتلال الإسرائيلـي عندما استنكفت عن العمـل وعندما رفعت شعـار المقاطعة للبضائع الإسرائيلية التي غمرت الأسواق في أوائل الاحتلال والتزمت بهذا الشعار حتى آخر أيـام حياتها، وكانت تجاهر بآرائها السياسية اثناء مقابلاتها للعديد من الشخصيـات والصحفيين الأجانب. فكانت تناقشهم مناقشة السياسي المطلع وصاحب الحق الذي يدافع عن كيانه ومبادئه، وكان لترجمتها لبعض الكتب والنشرات الأدبية والسياسية صدى عميق في محافـل الأدباء والمفكرين والسياسيين الفلسطينييـن والعرب.

منذ شبابها اعتزت يسرة بفلسطينيتها وبقوميتها العربية، وكثيرا ماسمعتها تقول:»علام الاختلاف والتشرذم وكلنا فلسطينيون وهدفنا تحرير الوطن وتحقيق الوحدة العربية؟ «

هذه هي يسرة، بـل هذه هي المرأة الفلسطينيـة المناضلة، فللنضال مواقع، وللنضال تكامـل، والمرأة الفلسطينية لم تترك موقعا من مواقع النضال الا ساهمت فيه جنبا الى جنب مع أخيها الرجل، فأثبتت أنها ذات قدرة جبارة، وتفكير صائب ووعي عميق، تتحمل المسؤوليـة ولا تفرط بحق، ففلسطين أمهـا، وتحريرها هدفها، واستقلالها مبتغاها.

في غمرة انغماسها في الدفاع عن القضية الفلسطينية لم تتخل يسرة عن نزعتهـا الإنسانية، فكـان للفقراء نصيب من عنايتها، وللمؤسسات الخيرية، ومنهـا:- جمعية الاتحـاد النسائي العربي نصيـب من عطائها، حيث كانت تتبرع سنويا لداراليتيمات ومستشفى الاتحاد النسائي بمبلغ من المال، ولن ننسى دعمها المعنوي للهيئة الادارية في السـنوات الست الأخيرة، فطالما شجعتنـا على المضي في العطاء والتطويـر والتصحيح رغم معرفتها لما كنا نتعرض اليه من صعوبات ومضايقات ومعوقات. مازالت كلماتها التشجيعية ترن في أذني عندما كانت تقول «مؤسساتنا يجب أن تبقى مزدهرة شامخة، وكانت تخاطبنـي قائلة: لسـت أنت التي تيأس أو تتخـاذل، لقد تحمـلت مع زميلاتك اعباء غيـر عادية في ظروف غير عادية، فإياكن والتراجع، فنابلس بحاجة الى كل جهد وكل تضحية».

لواحظ عبد الهادي

رئيسة الاتحاد النسائي العربي/ نابلس

وكتبت لها أمينة مكتبة مدرسة الفرندز تقول :

يقرأ الإنسان ما كتبت، فيحس ببساطة الحياة... ببساطة الكلمة.... بعفوية الأسلوب والفكرة.... ويروح يبحث عن نفسه بين تراكمات الأحداث ليجد نفسه أخيرا في كل ما كتبت.

فلك كل الشكر.... وأطال الله في عمرك.... وجعل من مدرستـنا لبنة يبنى فيهـا رجال ونسـاء المستقبل الذين تمثلينهم أحسن تمثيل.

حور الحاج عيد

عاشت يسرة رحلة عمرها تبحث عن الحقيقة، وقلبها يخفق بنور الحق، وقضت زهرة شبابها تعمق في النفوس الفضل وهي تغرس بيدها في الوجدان الفضيلة. ولقد قدمت من أجل ذلك عصارة فكرها وحشاشة نفسها، ورحيق عقلها، وحصاد سنوات عمر غال استنزفه عمل متواصل، واستهلكه عطاء متجدد، ووسعه حب شمل كل من عرفها أو عرفته.

كانت يسرة طالبة تتقدم الأقران والأتراب بعقلها النير في أيام كان التعليم فيها نادرا حتى بين الرجال ذوي الحظوة، ثم غادرت بلدها ومجتمعها المغلق الى الخارج في رحلة صعبة وعزيزة لا يقوى عليها الامن كان في اصرار يسرة وعزيمتها، غادرت إلى بيروت لتنهل العلم في وقت كانت فيه المرأة حبيسة البيت لا تكاد تخرج منه، فكانت في تلك البيئة المنفتحة مثالا يحتذى لابنة هذا الوطن المقدس علما وخلقا وسلوكا، ثم طوفت في كثير من الأقطار والبلدان تتعلم وتعلم، تتأثر وتؤثر بشموخ وتواضع، وعزة نفس وكرامة. ثم كانت مدرسة تهذب وتربي، ومفتشة تهدي الى الحق والنور في ليل الظلم والظلام.

ثم كانت عضوا في عمدة كلية النجاح ومعهدها العريق، ثم عضوا مؤسسا في مجلس أمناء جامعة النجاح الوطنية، تغرس الأمل، في كل مواقعها، حيث اليأس، وتجود بكل ماتملك حيث الأحجام، عاشت للكلمة الشريفة. والموقف الملتزم، والعمل الصادق، يساندها في كل ماتقول وتعمل، ضمير يقظ، وقلب مشرق، وعشق للعدل، وأمل في الفجر والمستقبل، فجر هذه الأمة، ومستقبل أبنائها، لقد عملت وعملت فأتعبت جسدها بمراد نفسها لإراحة غيرها، وأرهقت ذاتها بطموح فكرها لإضاءة الطريق وإنارة الدرب.

لقد عرفت يسرة صلاح عن بعد، نجما يهدي، ومربية تهذب ومعلمة تصنع على عينها ثم عرفتها عن قرب، زميلة عمل، وصديقة فكر، ورفيقة هدف، فما زادني القرب منها إلا إعجابا بها: شخصية ذكية، لها حضور ذهني وخلقي ووجداني متفوق.

هانئ عرفات

عضو مجلس أمناء جامعة النجاح الوطنية

يسرة ابنة نابلس التي نشأت في بيت تميز بالعلم والثقافة في بيئة محافظة متدينة، حرص والدها الشيخ عادل، رحمه الله، وهو العالم الأزهري الذي درس أصول الدين والفقه والعلم، على أن يعلم أبناءه تعليما عاليا في وقت كان التعليم الجامعي للفتيات يعتبر شيئا نادرا.. فتخرجت، رحمها الله، من الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ألف وتسعمائة وست وأربعين لتستأنف مسيرتها في خدمة الأجيال، فسطع نورها على مدينتنا، وتركت بصماتها على كل من عمل معها.

لقد علمت أنها القدوة فالتزمت بسلوكها الأخلاقي المنتمي.. لقد تغلب صوتها على الظلمات.. وتغلبت كلمتها على القهر.. واستطاعت أن تتخطى الصعاب لقد كانت قبسا من ذكاء العباقرة.. تجمع بين الأصالة في التفكير وطول الأناة..

الغالية يسرة.. هل لي أن أعدد مناقبك في هذا اليوم تلك التي طبعت شخصيتك بطابع عز وجوده بين الناس.. لقد عشت حياة مليئة بالعلم والمعرفة تنهلين منها دون ملل أو كلل، وتجودين بهما بسخاء لكل من حولك .. كنت نقية النفس.. طاهرة القلب صافية الطبع.. مصقولة الضمير.. تقية سمحة... رضية...

تميزت بالحس الوجداني والشفافية في كل ماقدمته من عطاء.. جعلت الإنسانية نبراسها، وملكت القدرة على مطالبة النفس والاعتصام بالحق في سبيل الحق مهما لاقت من عنت وإرهاق..
كانت دائما تنأى عن صراعات المصالح والأغراض، في نفس الوقت كانت متفتحة على الحوار والتعاون مع الآخرين يستأنسون بفكرها..

أيتها الفقيدة الغالية يامن كان قلبها الكبير الواسع يمتلىء بعذابات وطنها سنظل نذكر فيها حب الوطن ونبل القيم والمبادىء، ولم تنس حتى بعد وفاتها أن تفيد بلدها التي أحبتها دائما.. وقد أوصت بمكتبتها الحافلة بنفيس الكتب إلى مكتبة جامعة النجاح، وكيف لا توصي بذلك وهي صديقة الكتاب وكل من أحب الكتاب.. كما أوصت بتجهيز غرفة كاملة للبحث العلمي مزودة بأجهزة حديثة..

رفيعة عبد الهادي
رئيسة النادي الثقافي بنابلس

كانت رحمها الله القدوة والمثل، تسعى إلى الخير أينما وجد، وتنهل العلم ماقدر لها ذلك... فتعلمت وعلمت، واستفادت وأفادت.. فكانت مثالا للالتزام والحب والعطاء حتى آخر أيامها.

برزت شخصيتها واضحة المعالم، ذكية أصيلة، تعمل بهدوء رغم مايعتمل في داخلها من ثورة ومقاومة.

لقد كانت «تذكرتها» آخر ماكتبت، صفحات من الذاكرة الفلسطينية تحدثت فيها عن الأهل والأصدقاء، عن الوطن والأرض ، عن الأمل والمستقبل؟ عن سيرتها الذاتية.. ولعمري إنها لكبيرة كبر نفسها عميقة عمق تفكيرها.

حياة البظ
أمينة سر جمعية رعاية الطفل وتوجيه الأم بنابلس

يسرة صلاح.. واحدة من هذا الجيل التي خاضت معركتها في الظلام وأشعلت مصابيح الفكر، فبددت الظلمة، ونبهت الغفلة، وقدحت الشرارات الأولى لليقظة الاجتماعية..

كانت تبحث في روح الكون عن نظائر روحها.. تتسلمها.. تناجيها وتستدعي أحزانها.. وتقيم فيما بينها وبينه جسور الحوار والتداعي..

كانت مثال الجـد والدأب في التكويـن والتحصيل. وكانت شعلة نشـاط في التأليـف والتدبيـج. علمها موقف.. وثقافتهـا رؤية.. ومنهجهـا تأهيل.. وكتابتها تأسيـس.. وأستاذيتها التزام..

كانت من أهل العزم الذين علت همتهم فشجموا أنفسهم أشد المصاعب ورأوا في العذاب سعيا الـى الهدف سموا رفيعا وتضحية ممتعة لا ينالها القاعدون من الناس.. القانعون بمتاع الحياة وبهرجها الزائف..

كانت من القلة التي صدقت وأخلصت في كل طريق عبرتـه.. كانت تدق على النفوس المغلقـة بالخواطر الجديدة والمعارف الرشيدة.. وتحاول حمايتها من مزالق التقيد والتقاليد...

كانت موصولة مع الناس عقليا ووجدانيـا.. معبرة عن مطالبهم وتطلعاتهم ومدافعة عن مصالحهـم وحقوقهم...

عاشـت عمرها الخصـيب في ظلال التواضـع وانكار الذات ورهبانية العلم تنشـد لوطنها رفعة وسؤددا.. تتغنى بشاهق قدره.. وعريق مجده مؤمنة باليقين بأن وطنها بتلك الأمجاد جدير..

يوسف جمعة

مكتب التربية والتعليم

كانـت يسرة عضـوا في الهيئة التأسيسيـة لجمعيـة الأكاديميات والهيئـات الفلسطينيات. ولكن قد يكـون كلامي عنها من منطلق شخصي أكثر من كونه من منطلق هذه الجمعية، والسبب في ذلك يعود ليسرة نفسها، يعود لإنكارها ذاتها، ولأنه ليـس للأنا مكان عندها؛ فهذه عادة يسرة بفكر وتحفظ، وتضـع الأسـس ، وعندما يقـف البنيان على قدميه، فتنسحب بهـدوء، وتراقب نموه وازدهـاره عن كثـب..

هكذا فعلت في جمعية الأكاديميات، كانت عضوا في الهيئة التأسيسيـة ساهمت في وضع النظـام الأساسي والداخلي وتشكيل الفروع، وانسحبت. وأعلنت أنها ستدعم وتلبي كل ماهو مطلوب منها دون أن تكون عنصرا مباشرا..

كانت يسرة، رحمها الله، من الرواد في بلدنا في التحصيل العلمي الأكاديمي بتواضع.. كانت يسرة من الرواد في تعليم أبناء شعبها بتفان وإخلاص .. كانت من الرواد في العمل الإنساني مع انكـار الذات.. كانت من الرواد في العمل الاجتماعي مع التضحيـة.. كانت معلمة فزميلة فصديقـة فأختا.. وفي كل هذه المراحل شربت من نبع صفائها ومعرفتها، وتعلمت من صدقهـا وإخلاصها، وحاولـت ومازلت أحاول، السير على نهج تضحياتها وتواضعها.. عاشت والكل يحمل لها الحب والاحترام، وانتقلت إلى رحمته تعالى تاركة وراءها السمعة الطيبة والذكر الحسن.

نائلة الخطوط

رئيسة جمعية الأكاديميات والمهنيات الفلسطينيات

تحضرني الإنسانة يسرة فتحضر ابتسامتها التي تـمدك بالشعور بجمال النفس التي تنم عن شفافيـة عالية جدا برقيها. ومن خلال تلك الابتسامـة تشعر أنك في حضـرة إنسانة تعيش في سلام مع نفسها. تلك الهبة الإنسانية التي تمسح على النفس بلسم الشعور بالامن والامـان مهما كانت مصائـب الزمن وصعوبـة الحياة. وفي يدها التي تمتد مصافحة مستقبلـة تمرر احترامها لك بكل تواضـع وصدق. فتشعر انك امـام إنسانة تستقبلك كإنسان بكل ما للكلمة من معنى.

ويبدأ الحديث، والحديث مع الإنسانة يسرة صلاح يحمل في طياته علما وصدقا ومودة، ولها قـدرة عالية جدا على الإصغاء وحسن الاستماع يعبر عنه انتقاؤها للكلمات في التجاوب مع فكرة ما أو الاختلاف مع تلـك الفكـرة بانفتـاح حـر دون تبجـح بالمعرفة أو تهـرب من المواجهة الفكريـة... تراها تـأخذ وتـعطي بالحديث بصوت مشحون بالرغبة في تناول المعرفة بأمانة سواء عند استقبالها أو إرسالها لتلك المعرفة.

ولا تنسى المربية يسرة صلاح أن تتعامل مع صديقاتها أو أصدقائها كأعضاء في مجتمـع، وكأفراد لهم مزايـاهم، لكن لهم امتداداتهم ممن يحبون. فتسأل عن الوالد والوالـدة وعن الأخوات وعن الأخـوة، تسأل بطريقتها الخاصة وبالإشارة إلى حدث ما تعرف انه سار لمن تتحدث معه... وتنتقي الحديـث دون تكلف لأنها بالفعل تهتم بالإنسان كوحدة اجتماعية ينتمي لأسرتـه وعمله ووطنه، فتقلب بالحديـث جوانـب شخصية الإنسان، فيشعر أنها فرد من عائلته، وعضو من أسـرة عمـله ومن جيرانـه وأهل بلـده.

هذا الأدب الجـم في الحديث لا يأتـي من فراغ فقـد كانت بالفعـل تهتم بأهل الأصدقاء وتعودهـم بالمناسبات وتشاركهم افراحهـم وأتراحهـم . فهي إنسانـة واجـب بمعنى الكلمة ، لا تفوتهـا فرصة تهنئة صديـق حين يحصل على شهادة علمية ولا تفوتها فرصة مواساة من يفقد عزيزا خصوصا الوالدين ... إنها بالفعل إنسانة تعرف كيف تقدس إنسانية الإنسان .

وليس أدل على إنسانيتها من بر الوالدين، عرفتها وهي تعتني بوالدها الشيخ عادل صلاح رحمه الله، وتتعاون في العناية به مع شقيقتها المربية مسرة... وكيف تجالس والدتها رحمها الله وتقدمها للأصدقاء بحب واعتزاز دون أن تطيل عليها الحديث... تشاركهم خبراتها وخبرات الأصدقاء، وتشارك أصدقاءها حكمـة والديها.

تتعامل مع الإنسان الذي تحب بنفس الطريقة التي تتعامل بها مع المعرفة التي تحـب ... تتلقـف بشوق ماتقرأ من عيون الكتب، وتقتبس بدقة مما تقرأ، وليس أجمل من تناولها أحدث ما تقرأ حول قضايا الفكر أو اللغة أو التربية أو السياسـة.

اذكر حديثها عن كتاب «العرب في جحيم إسرائيل»... لجريس صبري، وكان الحديث في الشهـر الأول بعد الاحتلال عام 1967م... نهضت لتتناول الكتاب من مكتبتها وتعيرني إياه. وأشارت لعبارة كتبها جريس صبري في حديثه عن موقف إسرائيل من التعليم للعرب، يقول لوبراني مستشـار الشؤون العربيـة

في ذلك الكتاب عام 1963م)» لو كان العرب حمالي حطب لكان الأمر خيرا وأبقى». وبعدها يبدأ النقاش بأهمية التربية والتعليم ، وتشعر حين تستمع لها انها ليست فقط تحمل رسالة التربية، بل هي بالفعل رسالة تربوية بسلوكها وأقوالها وأفعالها . وتزداد الجلسة زخما حين تناقش قضايا التعليم وأساليب تنمية الإنسان وتطويره. وتعشق الحديث عن الإنسانيات من علم النفس وعلم الاجتماع وآراء المفكرين من شرقيين وغربيين، وتنتقي دائما ما تراه عصريا دون أن يفقد ما تنتقيه الأصالة والجذور... فتراها بالفعل تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

وعندما تتأزم الأمور ويزداد الاحباط تقول لك يسرة الإنسانة الفلسطينية المؤمنة بقضيتنا ايمانا راسخا: «مزيدا من الصمود ولا بد أن ننتصر». لم تتغير قناعة يسرة صلاح بأن قضيتنا عادلة وبأننا سننتصر. ولم تستخدم اصطلاحات الشجب والتنديد في أحاديثها... دائما تناقش من منظور العدل والخير والحق وبتجرد مطلق وبالمحسوس المطلق... فترى العلم والنضال لا ينفصلان والقول والعمل لا ينفصلان... والحق لا يتجزأ .

عندما تنتج يسرة صلاح كتابا تعرفك بالكتاب بتواضع، لكن تقدمه بحب الأم لأبنائها... وبالفعل تهديك الكتاب ومعه عبارة تعنيها... وما كتبت يسرة صلاح عبثا وما أضاعت وقتها عبثا... بل اختارت ماترجمت بعناية... فترجمت كتابا عن حياة موشيه شاريت لتبين خفايا حرب 1967م وعلى لسانهم، وترجمت قصائد لفدوى طوقان لتبين قمة المعاناة الفلسطينية للقاريء الغربي، وتاريخها الشفوي الذي صدر عن مكتب أبحاث جامعة بيرزيت جاء مبينا حياة حافلة بالبحث عن العلم وعن الحق والحقيقة في نسق متكامل لعلاقة الإنسان بأهله ووطنه وعلمه والإنسان في كل مكان.

نعم لقد عاشت يسرة صلاح، وما زالت تعيش بيننا بعلمها وعملها، وليس هنالك أصدق تعبيرا عن حياتها مما جاء في توصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكمَيل «يا كميل محبة العلم دين يدان به، تكسب المرء الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته... ومنفعة المال تزول بزواله والعلم حاكم والمال محكوم عليه، يا كميل مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون مابقي الدهر».

بالفعل ، فأنت يا يسرة صلاح ستبقين مع ما قدمت من علم ما بقي الدهر.

د. فتحية نصرو

كانت شخصية مميزة فريدة من نوعها، جاد الزمان بها، أن منحها الله عز وجل صفات ومواهب شتى تشابكت وتفاعلت فكونت هذه الشخصية المثلى.. الإنسانة.. الشفافة.. المخملية... المحببة الى القلوب ...

لقد تميزت بخصال أهمها الحب والوطنية والانتماء والعقلانية والغيرة، الحب عندها عطاء.. الحب تفان واتحاد.. فهي تتفانى فيمن تحب وفيما تحب ليصبحا وحدة واحدة لا يمكن أن يفصل بينهما.. فحبهما يتدفق كالشلال السرمدي.. يرتوي منه كل البشر.. أعطت حبها لنابلس ولأهالي نابلس.. لفلسطين.. للأرض.. للأطفال.. للعلم.. للطلاب.. للفقراء.. للمرضى.. وللمقهورين.. وأغدقت في العطاء، بامكاننا أن

نسميه حبا إنسانيا عالميـا.. فقد سمت بحبهـا وسما بها حبها، فانتقل بهـا من « الأنا» إلـى الآخرين...

كانت الوطنية عندها هي الانتماء والتعلق بالأرض.. والانتماء يتمثل بالعمل والاخلاص وبذل الجهد والابداع والتضحية ونكران الذات، كانت وطنيتها سلوكا وتصرفـا وممارسة.. لم تكن تؤمن بالشعـارات والمزايدات والمباهاة. آمنت بالمقاومـة السلمية فمارستهـا منذ عام 1947م وتمسكـت بهذا المبدأ حتـى آخر لحظة في حياتها.. امتنعت عن أخذ الهويـة بعد عام 1967م حتى عـام 1988م حيث أخذتها تحـت ظروف قاهـرة.. حين اضطرت للسفـر الى عمان لرعاية أخيهـا خالد. فالوطنيـة عندها التزام وكبرياء وانفـة.. لم تشعر بالهزيمة ولو للحظـة في حياتها.. كانت تؤمن أنهم اذا استطاعوا أن يصـادروا الأرض فلن يتمكنوا من مصادرة النفوس فنحن أقوياء بعدالة قضيتنا.

كانت عقلانية وموضوعية لم تتحكم بها العواطف، تدافع دوما عن الحق والعدل بقوة وحـزم.. لا يمكن أن ترى الحق ينتهك وتقف مكتوفة الأيدي بل كانت تتصدى لانتهاكه كالسيف القاطع.. لا تتحيز لأحد ولا تحابي أحدا.

ولا يفوتني أن أقدم الشكر إلى منظمة التحرير الفلسطينية وعلى رأسها رئيس دولة فلسطين السـيد ياسر عرفات الذي نعى يسرة للشعب الفلسطيني وللأمة العربية ودعاها بالمناضلة الفلسطينيـة التي أعطت المثل الأعلى للمقاومة السلمية»...

د. غيداء صلاح

ياسين السعدي
- 1940

ياسين السعدي

١٩٤٠م - ....

تعريف بالشاعر

ولد الشاعر «ياسين عبد الله عرسان السعدي» في 1940/8/27م في قرية «المزار» إلى الشمال الشرقي من مدينة جنين، حيث «كانت» القرية تقع على رأس جبل شرقي الشارع الرئيس الممتد بين جنين والناصرة، إلى الشرق مباشرة من القرية العربية داخل الخط الأخضر «صندلة». ونشأ في قرية نورس- بالنون المضمومة مع كسر الراء- التي «كانت» تقع في أسفل الجبل من الجهة الشمالية، وتطل على عين جالوت مباشرة، حيث وقعت المعركة التاريخية المشهورة بين المغول والمسلمين.

صار لاجئا، مثل أغلب شعبه، وأخرج من قريته، واستقر المقام بالأسرة في قرية «عَرَبونة» التي تقع قرب المزار جنوبا ملاصقة لخط الهدنة؛ حيث أفرز لهم الخط «الأخضر» قطعة أرض من أرض قريتهم «المزار» هي عبارة عن «شعْب»، أي واد عريض صالح للزراعة بين جبلين متراصين، استصلح والده – رحمه الله- سفحي الجبلين، وزرعهما بالشجرة المباركة وراح يزرع الأرض السهلية من الشعْب بالحبوب ونحوها.

تعلم في مدارس جنين حتى المرحلة الثانوية حيث تخرج وعمل معلما في المدارس الحكومية، انتسب الى جامعة بيروت العربية وحصل على ليسانس آداب اللغة العربية.

نظم الشعر منذ المرحلة الثانوية، وبعض شعره منشور في الصحف والمجلات. وكتب المقال السياسي والتحليلي وهو ناقد اجتماعي وسياسي جريء يكتب بأسلوب مميز وفي غاية الصراحة. لغته تتسم بالعاطفة الصادقة التي تنبع من طبيعته الشعرية وإحساسه العميق بقضايا شعبه وأمته.

له مجموعة مقالات سياسية مطبوعة سنة 1992م تحت عنوان: مسرحية مؤتمر السلام، وهي مجموعة المقالات التي كتبها حول المسيرة السلمية والتي كان أول من سماها مسرحية مؤتمر السلام، حيث بدأ الكتابة منذ عقد مؤتمر مدريد في 1991/10/31م حتى حزيران 1992م. ثم واصل الكتابة في الموضوع نفسه وتحت العنوان ذاته في مسلسل «المسرحية».

له قصيدة مطولة مع مقدمة مطبوعة في أيار 1994م: الغضب الطهور في الزمن المريب. وهي في نقد السلبيات التي شوهت وجه الانتفاضة.

أما المخطوطات فهي:

1. مجموعة مقالات نشرها في جريدة «النهار» المقدسية حيث كان ينشر في البداية وهي تحت عنوان: هدير الضمير. وهي جاهزة للطبع.
2. الجزء الثاني من هدير الضمير، وهو مجموعة المقالات التي نشرها في الصحف الأخرى غير القدس.
3. الجزء الثالث من هدير الضمير، وهي مجموعة المقالات التي نشرها في القدس ولا يزال مستمرا في النشر فيها.
4. ديوان شعر في الوطنيات تحت عنوان: يا عاشقا وطنا!! وهو تحت الطبع وسيصدر قريبا إن شاء الله.
5. ديوان شعر في الغزليات: قناديلي عيونك، وهو أيضا جاهز للطبع ويحتاج إلى التمويل.
6. ديوان شعر يحتوي على الأشعار في المراحل السابقة وهو متعدد الأغراض.

متزوج وله تسعة أولاد وثلاث بنات.

يعمل معلما في المدارس الحكومية. ومن هذا المنطلق وبسبب قيود الوظيفة كتب تحت الاسم المستعار: واصف الشيباني. حيث تم استدعاؤه إلى بيت إيل مباشرة في 1987/4/2م وتم تحذيره من قبل ضابط التربية والتعليم شخصيا وطلب منه عدم الكتابة بحجة القيد الوظيفي الظالم.

سليمان التاجي الفاروقي
1882 – 1958

تأليف : عبد الله حسن أبو نمر

سليمان التاجي الفاروقي
(بدوي فلسطين)

شيخ دين، صحافي، محام، شاعر، ولد في الرملة[1] بفلسطين، ينحدر أصله من الفاروق عمر بن الخطاب[2]رضي الله عنه. تلقىً دروسه في المرحلة الابتدائية على الشيخ يوسف الخيري. وفي التاسعة من عمره، فقد بصره إثر مرض، فانكب على حفظ القرآن الكريم، قبل أن يتم العاشرة، ومبادئ علم النحو على الشيخ البسيومي[3]الكبير.

ثم أرسله والده عبد المجيد التاجي إلى مصر للدراسة في الأزهر الشريف، بعدما أظهر نبوغا وحبا في التعلم، وذلك برفقة خادم يعتني به، فلفت نظر الشيخ الإمام محمد عبده لفرط ذكائه، وسرعة استيعابه، وكان عمره حوالي الثامنة عشرة، فأعجب به الإمام وخصه بعنايته واهتمامه، وعين مكانه إلى جانبه، واتخذه المتكلم باسمه في شرح الدروس لطلاب العلم، حيث لقب حينذاك «معري فلسطين».

أمضى في الأزهر تسع سنوات، حيث استوعب ما كان يرغب في دراسته من علوم الدين واللغة والتاريخ، وعاد إلى فلسطين ثم غادرها إلى الأستانة ليلتحق بجامعتها في كلية الحقوق. وهناك أتقن التركية والفرنسية والإنجليزية، وكان يقوم بتفسير القرآن الكريم في مسجد آيا صوفيا الشهير.

ثم عاد إلى فلسطين ظافرا بشهادة في الحقوق، وزاول مهنة المحاماة مدافعا عن الحق والمظلوم واليتيم، واتفق إن كانت له قضية وطنية بارزة، وكان يترافع عن متهم بريء، فلما صدر قرار القاضي، وكان بريطانيا بإدانة المتهم، رمى الشيخ عصاه، وألقى بنفسه على الأرض يتحسسها، فلما استفسره القاضي عما يبحث، أجابه الفاروقي قائلا: ابحث عن العدالة[4].

وفي قضية أخرى، كان قد تقدم بها إلى محكمة الصلح بالرملة صاحب بيارة، ويدعى شحادة العزوني – قبل سنة 1940 – ضد عامله من عائلة شعث، متهما إياه باجتثاث أشتال البيارة، وعلى الرغم من أن القائم مقام نقولا سابا ابن عم المدعي «شحادة العزوني»، واستدلال الحكومة على المتهم بواسطة كلب أثر قد اقتفى أثر العامل، إلا أن المتهم، وبتنسيق مع محاميه الشيخ سلمان الفاروقي، قد أنكر التهمة قائلا للقاضي: يجوز أني قد أكلت اللحمة، وبقيت الآثار على ملابسي، مما أدى إلى توجه الكلب نحوي. ثم قال المحامي الشيخ سليمان الفاروقي: ليس هناك أي إثبات، وإذا كان الكلب هو الشاهد فيترتب عليه قسم اليمين، مما أدى إلى براءة المتهم.

1- السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين ص50. العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص501. والموسوعة الفلسطينية: ج2 ص586.

2 - وثيقة مخطوطة موقعة من أفندي جار الله بن اسحاق المولى بقضاء القدس الشريف ومدينة الخليل. والكرمل 1980 1932/6/8. ومجلة العربي 45 1972/8 ص74.

3- البيومي. حسب السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين ص50.

4- يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص502.

وفي نهاية عام 1926، وقبل حدوث الهزة الأرضية في بلادنا، قام السيد محمود عيد الجمل ببيع مواقع شقق في حي سكنة الجمل (قرب كنيسة اللاتين) إلى عدد من أهالي الرملة المسيحيين. وبعد تسلمه ثمن الأراضي بمدة طلبوا إليه التنازل عن ملكيتها لهم، فرفض طلبهم، متراجعا عن البيع، مدعيا ارتفاع سعر الأرض، مطالبا بفروق الأسعار. حينئذ فوض المشترون سماحة الفاروقي للحصول على حقهم مقابل عشر ليرات إنجليزية. فاستدعى سماحته البائع لجلسة هامشية في المحكمة، حيث قام بتأنيبه وتوبيخه، مستشهدا بآيات قرآنية ذاكرا بعض عبر السالفين مما أحرج البائع ودعاه إلى الاقتناع بقبول التزام البيع.

ومن ملف الجرائم قضية مشهورة تعود إلى ارتكاب أحدهم جريمة قتل فيه إحدى قريباته على خلفية شرف، فدخلت القضية المحكمة المركزية بتل أبيب وكان القاضي بريطانيا. أوكل المتهم سماحته لأن يكون محامي دفاعه، فنسقا الأمر معا ودخلا إلى الجلسة. حيث سأل القاضي المتهم عن اعترافه بالتهمة، فأجاب المتهم: أنا لا أجيب «العرصات»[5] فاغتاظ القاضي من هذا اللفظ البذيء منفعلا وموبخا. عندئذ قال الفاروقي للقاضي: إذا كانت مجرد كلمة آغاظتك أيها القاضي، فكيف لا يغتاظ المتهم وقد شاهدها بأم عينيه؟ استوعب القاضي الأمر مما اضطره إلى إصدار قرار بالحكم على المتهم سنتين في السجن بدلا من ثماني سنوات كما كان مألوفا في تلك الفترة[6].

كذلك برز من خلال قضية أخرى مشهورة، ملخصها «أنه ترافع في مدينة رام الله عن متهم من إحدى القرى، في قضية أخلاقية، بعد أن وجد في بيته غريبة عنه، وكانت التهمة للشخص أنه أدخلها عنوة، والقضية شبه ثابتة، فبعد طول نقاش وجدال، طلب الفاروقي من القاضي رفع قضية على المدعية بتهمة أنها خربت الفراش، بسبب أنها كانت ترتدي حذائها، هكذا تخيل المحامي الكفيف، فعندها صاحت المدعية منفعلة وقالت: إني كنت خالعة حذائي، فبعدها قررت المحكمة أن المدعية كاذبة مع براءة المتهم، وهذا قليل من كثير من دعابات الشيخ وقفشاته»[7].

وخلال ثورة العرب على الأتراك، جادت قريحة الفاروقي بطائفة من القريض، أبرز فيها فضل العرب وأمجادهم، ودعاهم إلى تحقيق المطامح القومية العربية، والمحافظة على اللغة العربية، وكان يذيل هذا القريض بتوقيع «بدوي فلسطين»[8].

كذلك اتفق أن ذيل بتوقيع «يعرب بن قحطان»، إذ وقع بين أيدينا النص التالي: «هذه قصيدة في نحو مائة بيت، طبع منها قبيل الحرب العامة في مصر زهاء سبعين ألف نسخة بعنوان «صرخة الأجيال الثانية» وتوقيع «يعرب بن قحطان» وهو صاحب هذه الجريدة[9].

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، وبعد عودته إلى فلسطين، نفاه جمال باشا (السفاح) إلى قونية، في أقاصي الأناضول، لحاقا بشقيقه المرحوم شكري التاجي الفاروقي، بسبب معارضته الاستيلاء على المحاصيل الزراعية لتموين الجيش التركي.

5- «العرصات»: مفردها «عرص» وهي كلمة عامية ينعت بها الشخص المنحرف جنسيا.
6- م.س. شكري مسيس (أبو يعقوب) القضايا الثلاث الآنفة الذكر.
7- صادق بخيت: لوامع المكفوفين العرب ص15-16.
8- د. كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين ص50.
9- ج.س. 195 - 1 1933/3.

امتدت حياة الفاروقي ليشهد انهيار الحكم العثماني في فلسطين ورزوحها تحت وطأة الانتداب البريطاني الذي سخر جهوده وطاقته لإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين، بعد أن أدخل وعد بلفور في مواد صك الانتداب.

ولما كان الفاروقي أحد مؤسسي الحزب الوطني العثماني، فإنه لم يتردد لحظة في لفت الرأي العام في البلاد العربية المجاورة إلى فلسطين حول ما سماه هو وزملاؤه أعضاء الحزب «الغزو الصهيوني» وذلك من خلال مقال افتتاحي مطول كتبه في صحيفة «المفيد» البيروتية جاء فيه: أن فلسطين أوشكت على الوقوع تحت النفوذ الصهيوني فعلا، وهذا النفوذ بمثابة حكومة داخل حكومة لها جهازها القضائي الخاص ورايتها الخاصة ومنهجها الدراسي الخاص الخ. وأضاف القول إن المهاجرين اليهود متميزون بعلمهم ومالهم في حين أن الفلسطينيين متميزون بظروف تنذر بالفقر والطرد. هذه الظروف شكلت باعثا لدى جماعة من الجيل الناشئ على تأسيس «حزب وطني لتطوير كل ما هو مفيد للشعب وتوجيه كل الجهود نحو معارضة قانونية للحركة الصهيونية ومحاربتها بسلاح الحق، بالإضافة إلى إثارة وعي الأمة للعواقب الوخيمة للصهيونية، وتذكير الحكومة بواجباتها التالية:

- منع الهجرة وذلك بتطبيق نظام جواز السفر الأحمر القاضي بمصادرة جوازات سفر السواح عند الدخول وإعطائهم جوازا أحمر طيلة إقامتهم في فلسطين على أن يستردوا الجواز الأصلي لدى خروجهم من فلسطين[10].
- منع بيع الأراضي.
- إجراء إحصاء لليهود وإعطاء العثمانيين منهم بطاقات هوية واضحة.
- فرض رقابة حكومية وبرنامج الدراسة الرسمي على مدارسهم.
- حظر اجتماعاتهم الخاصة ما لم يسبقها الحصول على إذن خاص من السلطات وفقا للقوانين المرعية الإجراء بهذا الصدد.
- إجراء أعمال مسح لأراضي المستعمرات، وفرض مختلف الضرائب والأعشار والويركو عليهم مع إعادة تقويم وتقدير المبالغ المالية التي ضاعت على الخزينة عن السنوات الماضية»[11].

وبعد مرور سنتين، أي «في الثامن من تشرين الثاني 1913، نشر الشيخ سليمان التاجي الفاروقي قصيدة بعنوان «الخطر الصهيوني»، وفي هذه القصيدة لم يكتف الفاروقي بالتنديد بالمخططات اليهودية لاغتصاب فلسطين من أهلها العرب، بل حذر كذلك الحكام الأتراك، وذكرهم بواجبهم في حماية فلسطين التي تضم الكثير من الأماكن الإسلامية المقدسة»[12].

هذه الحماسة التي طبعت المعارضة العربية لليهود لم تحظ برضى الحكومة العثمانية التي كانت تتخذ بين الفينة والأخرى إجراءات تأديبية ضد الصحف العربية المتطرفة في معارضتها تنعكس في إيقافها عن الصدور مما أثار شبهات العرب بأن الحركة الطورانية التركية والحركة الصهيونية متآمرتان ضد الحركة الوطنية العربية الداعية للاستقلال[13].

10- هذا النظام جراء تلاعب اليهود في إدخال المهاجرين تحت ستار السياحة.
11- د. عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث ص52-53.
12- د. عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث ص59-60.
13- المصدر نفسه ص60.

وفي سنة 1920، وفي أعقاب صدور العفو عن الحاج أمين الحسيني كمجرم سياسي صدر مقال للشيخ الفاروقي يدعو فيه إلى انعقاد مؤتمر وطني، حظي المقال بإعجاب الحاج أمين، وسارع إلى التشاور مع زملائه المدرسين أمثال الشيخ حسن أبو السعود وإسحاق درويش ومنيف الحسيني، فاتفقوا على التبرع برواتب شهرين لرصد المال الضروري للاتفاق على نشاطاتهم، كما اتفقوا على ضرورة تأمين حضور الكبار كمبدأ أساسي، فدعوا موسى كاظم «باشا» الحسيني، وعارف «باشا» الدجاني، فسافروا إلى حيفا حيث تقرر عقد المؤتمر بعيدا عن القدس، ومن هناك أبرقوا إلى المدن المختلفة للحضور، وقد ذكروا في برقيتهم للفاروقي: «المؤتمر قد اجتمع تلبية لندائكم، ومندوبو القدس ويافا على الطريق»[14].

قدم الفاروقي لحضور المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث – في حيفا- بتفويض من مختاري اللد والرملة. وقد فاز سماحته خلال جلسات المؤتمر (13-1920/19) بأن يكون أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لهذا المؤتمر ولجميع المؤتمرات التالية حتى السابع ومقرها القدس. وقد تميز وجود سماحته بإلحاحه على ضرورة إنشاء الهيئات العمالية والفلاحية، التي لم يعرف عنها شيء في الأعوام القادمة[15].

وفي عام 1921، عمل عضوا في اللجنة الاستشارية لإنشاء المجلس الانتخابي الفلسطيني، والتي تكونت من 46 عضوا[16]. وفي 8-10/11/1923[17] انتخب الشيخ سليمان التاجي الفاروقي رئيسا للحزب الوطني إثر انعقاد مؤتمره الأول في القدس بحضور نحو مائة وعشرين من رؤساء وأعضاء البلديات وأصحاب المصالح الذاتية من سكان المدن والقرى، بزعامة عارف الدجاني. وقد كان إصرار المؤسسين على انتخابه صفعة على وجوه البعض، ممن عز عليهم سيطرة الفاروقي والنشاشيبية[18] على الحزب الوطني[19].

سارع الفاروقي إلى وضع الخطوط العريضة لحزبه، فلخص برنامجه كما يلي:

- الاحتفاظ بفلسطين لأهلها وأصحابها الشرعيين، وهم العرب.
- رفض تصريح بلفور وهجرة اليهود إلى فلسطين رفضا باتا.
- إنشاء حكومة دستورية من الأهالي.
- تعديل دستور فلسطين بواسطة مندوبين من الأهالي ذوي الكفاية.
- أن تكون اللغة الرسمية هي العربية، ويكون جميع الموظفين من الأهالي عدا الفنيين الذين يتعذر وجودهم في البلاد.
- تعديل التعريفات الجمركية لحماية المحاصيل الأهلية، وتعديل نظام الضرائب لحماية الفلاحين.
- رفع مستوى الفلاح والعامل تعليما واقتصادا وإدارة وسياسة[20].

14- بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ص139.

15- المصدر نفسه ص140-141، 852.

16- المصدر نفسه ص857.

17- المصدر نفسه ص181 بينما في مصادر أخرى ذكرت بدء عقد الاجتماعات في 9-10 إلا أن المصدر رجح هذا التاريخ الذي أثبته كيش في كتابه: F.Kisch, Palestine Diary {London, Victor Gollancz, 1938}, pp.50,53,73.لكونه معتمدا على اليوميات، ومؤسسا فعليا للحزب الشعبي اليهودي المفاوض.

18- النشاشيبية: إشارة خاصة إلى راغب النشاشيبي، لكونه رئيس بلدية، وظاهرا ليس في عداد رجال السياسة. فقد كان من بين أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الوطني المتميزة بضعفها لاتخاذها مواقف سياسية مترددة.

19- د. كامل محمود خلة: فلسطين والانتداب البريطاني ص386، وبيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ص182.

20- د. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني ص825 - 826.

اتخذ الفاروقي القدس مركزا لحزبه، كما أسس له فروعا صغيرة في الرملة، الناصرة، حيفا، عكا، الخليل، طولكرم وغزة. وعلى ضوء ذلك أخذت تنشأ في المدن منذ سنة 1924 – أندية للشبيبة، كان أولها «نادي الاتحاد الأرثوذكسي» في القدس، وهدفه خدمة الملة الأرثوذكسية العربية ورفع شأنها والعمل على نيل حقوقها، وقد تغير اسمه فيما بعد إلى «النادي الأرثوذكسي». وكان رئيسه الدكتور فوتي فريج، وكان النادي الأرثوذكسي في يافا من أنشط الأندية الوطنية، وكان له نشيد نظمه الفاروقي:

لا تهن يا وطن سوف يصفو الزمن
ضمن النصر لنا همم لم تهن

استجاب الفاروقي لمبادرة جمال الحسيني – في سنة 1924 – القاضية بالرجوع إلى الوحدة المقدسة بدلا من تعدد الأحزاب: حزب الزراع (الفلاحين)، الحزب الوطني، هذه الوحدة التي سيكون ركيزتها تضامن كلي خال من أي خرق أو خسف. فعقدت اللجنة التنفيذية للمؤتمر جلسة خاصة يوم الثلاثاء 1924/11/25 للنظر في استجابة الفاروقي، فقررت قبولها، وعينت أربعة أعضاء يمثلونها، مهمتهم الدعوة إلى عقد المؤتمر العمومي والهيمنة على كيفية انتخابه والوصول إلى ما سمي – حينذاك – (قرار التفاهم)[21].

عقد (مؤتمر التفاهم) في نابلس يوم 1924/12/19، لبحث (قرار التفاهم) وأشار المؤتمرون على اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس باستعمال صلاحياتها المخولة لها من المؤتمر، بدعوة الهيئات المعارضة لتنتدب خمسة منها ينضمون إلى اللجنة التنفيذية، ليشتركوا في الأعمال الوطنية التي تباشرها منذ الآن حتى عقد المؤتمر السابع، وأن يسند إلى رئيس الحزب الشيخ الفاروقي منصب نائب رئيس اللجنة وذلك مقابل حل الأحزاب حالا، وتهيئ اللجنة التنفيذية الخطط الإيجابية والمواضيع اللازمة لعقد المؤتمر والسير قدما في أعمالها[22].

هذا قرار بالثقة منحه مندوبو البلاد للجنة التنفيذية للمؤتمر السادس. وكان يقضي، لو ارتضاه الفاروقي وكتلته، بوقف مؤقت للتصدع والانشقاق في الحركة الوطنية. لكن الفاروقي رفضه، وتجاوزه بتوجيه أسئلة محددة إلى موسى كاظم رئيس اللجنة التنفيذية، نشرها في الصحف، وطلب إليه الإجابة عنها أهمها سؤالان، أولهما: لو تمسك بعض الأحزاب أو كلها بشخصيته واشترك في اللجنة أو قبل الاشتراك فيها، فما هو العمل ؟ وثانيهما: هل قرار إلغاء الأحزاب هذا قطعي ؟ أم يحتاج إلى تعديل ؟[23].

أجيب عن سؤال الفاروقي بإجابتين جعلتاه يمعن في العمل على الانشقاق عن الحركة الوطنية، فوجه في 1925/1/3 رسالة إلى موسى كاظم يسأله إن «كان قرار اجتماع وفود البلاد المنعقد في نابلس أخيرا ينص على إلغاء الجمعيات الإسلامية المسيحية، كما ينص على إلغاء الأحزاب ؟»[24].

تلقى الفاروقي ردا عن هذا السؤال، وكان من جملة ما أجابه موسى كاظم أن الوفود تؤيد الفاروقي إذا طلب إجراء الانتخابات السنوية لهذه الجمعيات الإسلامية المسيحية، وإدخال أي نظام جديد فيها

21- د. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني ص393 - 394.
22- المصدر نفسه ص394 - 395. د. الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث ص192.
23- د. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني ص396.
24- المصدر نفسه ص396.

يوافق الحالة الحاضرة، على أن لا يمس بمقررات المؤتمر. وهكذا كشف موسى كاظم عن ضعف الحركة الوطنية وتهالكها للاتفاق مع الفاروقي وكتلته، كما أبدى رغبته القصوى في العمل مع الفاروقي «يدا بيد لخير هذه الأمة التي لا رجاء لي في هذه الأيام القليلة الباقية (وكان موسى كاظم قد بلغ الثمانين) إلا أن أراها مكللة بنصر هذا الجهاد العنيف»[25].

أسفر موقف الفاروقي وكتلته عن زيادة التأييد للجنة التنفيذية، فأصدر فوزي الدجاني نيابة عن الأسرة الدجانية بيانا يؤيد فيه بقوة موقف اللجنة التنفيذية. وقام الشباب بتوقيع مضابط وطنية للبراءة من الحزب الوطني في أنحاء كثيرة من فلسطين. ونشر خليل السكاكيني مقالا في (الشورى) في 1925/1/7. بعنوان (ومن لا يكرم نفسه لا يكرم) يعيب فيه على زعماء فلسطين التـزلف والتملق للحكام البريطانيين. وقامت بعض الصحف العربية بحملة نقد وجهتها إلى بلدية القدس ورئيسها راغب النشاشيبي، الذي كان يعتبره الشعب الرأس المفكر والعقل المدبر وراء تخطيطات الشيخ الفاروقي[26].

تلقى الفاروقي رسالة مؤرخة في 1925/1/16 من موسى كاظم معيدا الكرة مرة أخرى طالبا منه فيها الاتفاق على إلغاء الأحزاب في البلاد، لأن وجودها يضر بالبلاد ويقوي حجة خصومها عليها[27].

رفض الفاروقي هذا الرجاء أيضا، وقام بحركة أخرى مضادة، فقد أوعز إلى الحكومة بأن تنظر في خطب أئمة المساجد في أيام الجمع والمناسبات، لأن هؤلاء يتبعون المجلس الإسلامي الأعلى، الذي يرئسه الحاج أمين الحسيني، فأجاب المفتي بما يرضي الحكومة[28].

اتهم الفاروقي وكتلته بعدم تحريكهما ساكنا بالنسبة لقضية رفع العلم الصهيوني إلى جانب العلم البريطاني خلال مباراة كرة قدم بين فرقة يهودية وأخرى إنجليزية يوم 1925/1/12. هذا العمل كان قد قوبل باستفزاز جماهير القدس والشجب والاستنكار من قبل بعض وجهاء البلاد. يضاف إلى ذلك أن المقطم في 1925/1/27، اتهمت اللجنة التنفيذية بأنها مشغولة بمناقشة الأحزاب الأخرى عن قضية الوطن وبيع الأراضي، وأن المجلس الإسلامي الأعلى مشغول أيضا بقضية إصلاح المسجد الأقصى عن بيع الأراضي لليهود، وطالبت (المقطم) بإلحاح، عقد المؤتمر السابع. ونظرا لما تعرفه (المقطم) عن الفاروقي، تقدمت إليه في 1925/2/5 باقتراح يتضمن إذاعة بيان ينفي فيه موالاته لسياسة الحكومة البريطانية في فلسطين. ولم يحرك الفاروقي ساكنا، إلا عندما وصل البلاد خبر مفاده أن اللورد بلفور قادم إلى فلسطين لتدشين الجامعة العبرية في القدس[29].

وفي 1925/4/21، زار فلسطين وزير المستعمرات الجديد ل.س. امري، واستقبل وفدا فلسطينيا يمثل اللجنة التنفيذية والحزب الوطني وحزب الفلاحين، وبعد أن قدم موسى كاظم أعضاء الوفد للوزير البريطاني طلب أن يسمح لرئيس الحزب الوطني بالتحدث باسم الوفد. وكان الموضوع الرئيسي لخطاب الشيخ سليمان التاجي الفاروقي هو رغبة الفلسطينيين بأن يتعاونوا مع البريطانيين بإخلاص على أساس الصداقة

25- المصدر نفسه ص397.
26- المصدر نفسه ص397.
27- المصدر نفسه ص397.
28- المصدر نفسه ص398.
29- المصدر نفسه ص399.

والمصلحة المشتركتين، وأكد الفاروقي أن الآمال والمطامح العربية لا تتناقض مع المصالح البريطانية، بل هي في الواقع ضرورة لا غنى عنها لتحقيق المصلحة والنفوذ البريطانيين في المنطقة:

«ففلسطين هي القلب الذي منه تشع المشاعر على مختلف أنحاء العالم العربي بل والعالمين الإسلامي والمسيحي أيضا. ونحن لا نريد أن نسأل بريطانيا عن الأسباب التي حملتها على إصدار تصريح بلفور بل نقول لها أن التصريح ظالم... وأن الطبيعة والتاريخ ستمكناننا من أن نثبت لبريطانيا أننا خير من أي شعب آخر من زاوية مصالح إنجلترا الخاصة»[30].

وتكهن الفاروقي بأن بريطانيا ستصل مستقبلا إلى الاستنتاج بأن السياسة الصهيونية «غير قابلة للتطبيق». ثم دخل في صلب الشكايات والتظلمات العربية الفلسطينية المحددة مثل فرض الضرائب العالية التي بدت لبعض العرب أنها إجراء متعمد قصد به إكراه السكان على بيع أراضيهم والرحيل عن البلاد، ومثل حرمان الشعب من المشاركة في وضع التشريعات اللازمة للبلاد وإكراهه على شق طرقات توصل إلى المستعمرات اليهودية خدمة لمصالح الاستعمار اليهودي. واختتم الفاروقي كلمته مكررا المطالبة بإقامة حكومة وطنية «ممثلة لجميع عناصر البلاد ومسؤولة أمام الشعب لأن أحكام الانتداب تنص على صيانة الحقوق المدنية لسكان البلاد»[31].

حظيت كلمة سماحته بشكر من المستر امري حينما وقف يرد على الجميع عاكسا شأن العلاقات الإنجليزية العربية[32]. لكن علاقة بريطانيا بفلسطين كانت علاقة استعمار ممهد لسلب الأرض وسط المراوغة بالمفاوضات الملهية ظاهرا، وتعميق الخلافات والفتن في الشعب الفلسطيني جوهرا، وخاصة في صفوف الحركة الوطنية.

لذا، وبعد مرور سنة ونيف من الآن، ومرور أكثر من أربع سنوات على المؤتمر السادس، وانهيار القيادة التقليدية لما أصاب الحركة الوطنية من ضعف وشلل أصبحت الحاجة ملحة إلى دعوة المؤتمر الفلسطيني إلى الانعقاد، فما كان من الشيخ الفاروقي إلا أن تولى في شهر 1926/7، الدعوة إلى عقد المؤتمر السابع، فنشر بيانا يدعو فيه زعماء البلاد إلى عقد مؤتمر وطني عام. كما بعث برسائل إلى زعماء البلاد يبين فيها حالة فلسطين ويعرض عقد المؤتمر الوطني. وقد استجاب الزعماء لدعوة الفاروقي، وشكلت لجنة تحضيرية من 40 عضوا، واجتمعت في القدس في 26/8/15 وحضر الاجتماع 25 عضوا فقط يمثلون سائر الأحزاب. ووفق في هذا الاجتماع على عقد المؤتمر السابع في القدس، وإسناد تعيين موعد انعقاده إلى موسى كاظم الحسيني[33].

عقد المؤتمر العربي الفلسطيني السابع في حزيران 1928، وحظي الفاروقي بأن يكون أحد أعضائه، وأعضاء اللجنة التنفيذية، مندوبا عن لواء الرملة يشاركه كل من: علي علاء الدين، محمد الخيري، سعيد أبو غوش، يوسف النحاس، وشكري التاجي[34].

30- د. الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث ص194.
31- المصدر نفسه ص194.
32- د. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني ص410.
33- المصدر نفسه ص430.
34- بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (جدول 20) ص864 - 866.

وفي المؤتمر الإسلامي العام 7-1931/12/17 الذي عقد في فندق الملك داود بالقدس، بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج (27 رجب. 135هـ)، والذي تخلله 17 جلسة عقد على هامشه اجتماع لردع الخلاف المتفاقم بين الكتلة الحسينية وبين الكتلة النشاشيبية، أطلق عليه اسم (مؤتمر الأمة الإسلامية الفلسطينية) حضره أكثر من 1200 شخص، ألقى سماحة الفاروقي من خلاله كلمة موجهة إلى المجلس الإسلامي الأعلى، والمؤتمر الإسلامي العام، وإلى الحاج أمين الحسيني شخصيا[35].

وفي صيف عام 1932، وبالذات يوم السبت 16 تموز شرع الفاروقي بإصدار صحيفة يومية، باسم «الجامعة الإسلامية»، أصدرها في يافا، وطبعت على مطابعها، وقد استهدف من إصدارها «التوفيق إلى نفح روح الوحدة بين أمم الشرق، وإشعارها بضرورة التعارف، فالتآلف تم التساند فالتكاتف... فخطتنا في هذه الصحيفة هي المنافحة عن الآلام، والمكافحة عن الشرق، وتعاهد ما بين أممه من أواصر أرحام، ووشائج أنساب وأسباب، والإهابة بهذه الأمم إلى إصلاح ما أفسدته السياسة ورتق ما أوهت، ومعالجة تلك الشعوب الشرقية من الناحية الوطنية العامة من غير أن نصف ما بين شيع كل قطر من فروق أو ما بين أحزابها من مميزات حاسبين أن ذلك إنما هو لأهل ذلك القطر نفسه. وإن رب البيت أدرى بالذي فيه، وأنه ما كان لبعيد الدار أن يعلم علم من نشأ فيها وعرف بظواهرها وخوافيها[36].

أما بالنسبة لتسميتها «الجامعة الإسلامية» فيعود إلى «شباب الإسلام وازدهاره» واتخاذ الإسلام رمزا لاجتماعه، وعنوانا لاتحاده وهدفا ينـزع إليه بأن للأمم التي تسير لا إلى غاية، وتنـزع لا إلى هدف، قلما تأمن العثار، ونحن نرى أن الرومان لما توارى عن أعينهم خيال روما بفتور حبهم لها، وتشاغلهم بغيرها، ذهبت ريحهم وانتشر عليهم أمرهم[37].

وأما في ما يتعلق بتحديد المطمح الإسلامي وما ستعمله الجريدة نحوه فيقول سماحته «ونحن بعد، لا نريد بالشرق على أن يكون إسلاميا في سائر نواحي حياته، وإنما نريد إلى أن يتخذ من الإسلام شعارا يجمعه، واسما يضمه، كما يضم مثلا التاج البريطاني الأمم المستظلة بظله من غير أن يكون لهذا الضم أثر في إخراج كل شعب عن معتقده وتقاليده، ولكنه الرمز والهدف، ولكنه الشعار والجامعة، فهذا الشرق ما دامت شعوبه يأخذ كل سبيلا، ويستشعر شعارا، فهيهات أن يجتمع له كيد، أو يتم له أمر، وإذا كان الشعار الإسلامي بالمسلمين دينا، فإنما نريده لغير المسلمين رمزا وهدفا، كل له دينه وكل له تقاليده، ووحدة الرمز والهدف لا تحرج أحدا، ولا تجرح معتقدا، بل تذر كلا يعمل على شاكلته، ويأخذ في سبيله موقظا أمته باللسان الذي يختاره، مزينا لها ما للتآلف من ثمرة، وما للتناكر من مضرة، حتى إذا نضجت الأمم وفقهت في دينها الوطني واستحالت تلك الفروق إلى أواصر، وسمت إلى أن تبيت أرحاما ووشائج، كان من هذا الرمز الإسلامي الشرقي ما يجمع القوى ويوحد المسعى... إن شاء الله»[38].

وأما هوية الصحيفة فيقول: «وصحيفتنا من هذه الناحية وإن كانت فلسطينية المنشأ، إلا أنها إسلامية المذهب، شرقية المنـزع، وسيكون لفلسطين إن شاء الله منها ما ترجوه جهد الطاقة وبالله التوفيق»[39].

35- د. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني ص505 - 511.

36- الجامعة الإسلامية 1 1932/7/16.

37- المصدر نفسه.

38- المصدر نفسه.

39- المصدر نفسه.

وأما عن اعتدال سياسة الصحيفة فيقول: «ولسنا في حاجة بعد ما أعلنا في صدر هذه الخطة من التسامي عن الإسفاف إلى ما بين الأحزاب من فروق، والتحيز في بعضها على بعض، يحسبنا في حاجة إلى أن نعلن بأننا في القضية الفلسطينية سوف لا نخرج عن هذه الخطة، فلا ننصر فريقا على فريق بل نذكر المحسن بإحسانه، ونأخذ بيد الكابي عملا على إنعاشه، وما نحسب أيضا أن موقفنا تجاه الطوائف الأخرى قد بات غامضا أو ملتبسا، بعد ما أبناه من أننا إنما نعالج مسائل الشعوب من ناحيتها العامة، تاركين لكل شعب مذهبه، ولكل طائفة معتقدها، بل أننا نعطف على قضية كل طائفة، ونمنحها من جهدنا وسهرنا ما نمنحه بقية الطوائف، غير مؤثرين ومحابين، وأن صحيفة ترى نفسها عالمية وتعمل على إيقاظ الشرق وتعاهد ما بين أممه بالإصلاح والضم ما كانت لتنـزل إلى مستوى الطائفيات، وحسب هذا الشرق ما أصابه وكفاه بما ألم به»[40].

وأما موقفه تجاه الصحف الأخرى فيقول: «أننا نحفظ لها في نفوسنا عظيم الولاء وجليل التقدير، ونعرف لها فضل السبق»[41].

وأما موقفه تجاه الحكومة فيقول: «فنحن مع الشعب ندور حيث دار، ونموت ونحيا في سبيله، ونعيش ونبقى إذا قدر لنا البقاء من أجله»[42].

وأما عن مواكبة الصحيفة لروح العصر فيقول: «وقد عنينا بعد ذلك بجمع أكثر ما يمكننا جمعه من الأخبار، برقية أو تلفونية، باشتراكنا في شركات البرق المتعددة واتخاذنا مراسلين ومخبرين في بلاد الشرق قاصية ودانية، لا سيما الأقطار الإسلامية النائية، وعمدنا إلى أن يكون اختيارنا لفضلاء المراسلين ليوافونا بأنباء بلادهم معقبين عليها بما يعن لهم، ثم اخترنا لنا طائفة صالحة من نخبة أدباء الأقطار من مصر وسوريا ثم فلسطين، كل ذلك استعانة بالله على الواجب، والتماسا لمرضاتك وتعضيدك أيها القارئ، عسانا لا نقصر دون الغاية، ولا ننبو عن القصد»[43].

وقد تميز صدر الصفحة الأولى من «الجامعة الإسلامية» بعبارة: «لا ترسل الجريدة إلا لمن يطلبها مرفقا طلبه بقيمة الاشتراك».

أما بالنسبة لحملة أقلامها، فنجد، من بعد أن كان الفاروقي صاحبها ومدير سياستها، نجد حشد طاقم كبير من الكتاب والمحررين نخص بالذكر: سامي السراج، أكرم الخالدي، علي ناصر الدين، عبد الله نعواس، إبراهيم الشنطي، تيسير ظبيان، عبد الغني الكرمي، سامي الشمعة، درويش الشامي، سليمان جابر، زهدي السقا، أحمد خليل العقاد، شوكت حماد، عارف العزوني، وغيرهم كثيرون. أما إدارتها فقد تولاها كل من الأستاذين: خالد الفرخ وجلال عوف.

40- المصدر نفسه.
41- المصدر نفسه.
42- المصدر نفسه.
43- المصدر نفسه.

وكانت «الجامعة الإسلامية» الرائدة في إصدار ملحق أدبي أسبوعي اشترك في تحريره طائفة كبيرة من الكتاب والأدباء والشعراء. وقد عثرنا على آخر عدد منها، يحمل الرقم 1496، وتاريخ صدوره 1938/6/24.

أما عن الانطباعات حول صدور الصحيفة، فقد كان الشاعر سليم اليعقوبي «حسان فلسطين» طليعة المعقبين، من خلال قصيدة نظمها فور اطلاعه على عددها الأول، مبديا ثقته بسماحة الفاروقي، عاقدا آماله على الصحيفة من تأدية المهام لمواجهة الوضع العصيب المحيط بالبلاد، واضعا أبياتها تحت عنوان: «آية الفاروقي في أمته».

قال فيها:

لسليمان فلسطين، ومن — أوتى الحكمة، أسمى جامعه
آية لم يدخرها في بني — قومه، إلا ليوم الواقعة
هي للعرب مضاء قاطع — إنما الصحف مواض قاطعه
وسيخطو الشعب في الشرق بها — إن للشعب خطاه الواسعة
فيعيد المجد والذكرى معا — في بنيه، والحقوق الضائعة
ويرد الكيد عن أبنائه — ليس للكيد النفوس الوادعة
رغم من يجهر بالحب له — وهو منه في مكان الفاجعة
من فتى غرر بالشعب، وما — كان ممن جد في الحسنى، معه
وحكومي، وممن نفسه — للألى لا خير فيهم خاضعة
وحرام أن نرى من يعرب — في فلسطين نفوسا خانعة
وستودي آية الشيخ بهم — آية الشيخ عليهم قارعة

يا لها من آية معجزة — أذن الشرق إليها سامعة
إنها روضة نبل وكمى — أن ترى فيها الثمار اليانعة
قلم الكاتب فيها ساجع — هل سمعت الطير يوما ساجعة

فلأقل فيها وفيمن خاطها — ببراهين صحاح، ساطعة:
آية الفاروقي في أمته — – أحسن الله إليه – الجامعة

كانت خطة هذه الصحيفة متميزة إذا قورنت بسائر الصحف الصادرة في بلادنا، وهذا واضح من خلال ما سبق، وسرعان ما انعكس ذلك على الحاجة الماسة إلى طبعها بإعداد هائلة، لتتوافق والكمية المرسلة إلى الأقطار العربية والإسلامية والتي بلغت 70% من إعدادها[44].

تعرضت الصحيفة مرات عديدة للتعطيل عن الصدور من قبل السلطات البريطانية التي ضاقت ذرعا بها، فسرعان ما كانت تلجأ إلى إلغاء ترخيصها بحجة ما كانت تسميه بالتحريض ضد سياستها. وفي عام 1935، لم يتردد سماحته في الاعتذار للمفتي الحاج أمين الحسيني عقب اتهامه بالتواطؤ والتعاون مع

44- يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص502.

موسوليني زعيم إيطاليا الفاشل، وقد انتشرت هذه التهمة عن طريق نشر صورة زينكوغرافية لرسالة من الأمير شكيب أرسلان في جنيف إلى المفتي بتاريخ1935/2/20، ولما أن قامت صحيفة «الجامعة الإسلامية» بنشر صورة الرسالة، أعقبها انطلاق هجمة على المفتي في الصحيفتين الناطقتين بلسان المعارضة في تلك الفترة وهما «الجامعة الإسلامية» و»فلسطين»، فأثارت هذه الهجمة ضجة كبرى في البلاد ومعركة صحفية عنيفة خاضتها ضد الصحيفتين المذكورتين صحيفة «الجامعة العربية» الناطقة بلسان المفتي، وقد نفى المفتي التهمة بقوة، وكذلك صديقه الأمير شكيب أرسلان الذي أعلن عن تزوير الرسالة، وقد ثبت تزويرها فيما بعد، فقد قدم الفاروقي اعتذاره بعد تأكده لصحة الأمر[45].

وفي 1935/11/21 على إثر إبراز الصحف لاستشهاد فضيلة الشيخ عز الدين القسام ودعوة أكرم زعيتر الزعماء والهيئات إلى الاشتراك في الجنازة من خلال بيان نشره في صدر المحليات، سارع سماحته ليعلق من خلال صحيفته «الجامعة الإسلامية»:

«وفيما يتعلق بمسألة تشييع الجنائز فهذه مسألة دينية لا يرجع فيها إلى حكم سياسي، ولا إلى نص قانوني، وإنما حكم الدين الذي لا يفرق بين ميت وميت، والذي يسمو عن ملابسات السياسة وعن سفاسف هذه الحياة الدنيا، وبعد فاللسان ملجم، والفصيح أبكم، وكل مسلم ليس له إلا أن يستجيب إلى ما يومي إليه دينه وتقضي به عليه فروض شريعته. وقد نشترك نحن في مراسم هذه العبادة الدينية إلا إذا لم تقهرنا على ضد ذلك ظروف قاهرة، وحسبنا الله حسب المستضعفين، وولي المظلومين وإنا لله وإنا إليه راجعون»[46].

وفي 1936/1/5، سطعت كلمة سماحته التأبينية للشيخ المجاهد عز الدين القسام سطوع النور في الظلام، وأيقظ النفوس من الكآبة إلى أسمى الهمم حينما عجت حيفا بالوفود المتقاطرة من سائر فلسطين. فبعد تلاوة لعشر من القرآن الكريم، وكلمة رشيد الحاج إبراهيم لجمعية الشبان المسلمين التي كان القسام رئيسها، قدم سماحته ليهتف:

«إننا يا جيران القسام نحج إلى بلادكم إلى كعبتنا، أليس غريبا أن ينجم ذلك الرجل في حيفا حيث القوة والبطش ؟ إن القسام حي ونحن الأموات. من لنا بقسام يؤبن القسام ؟ «إن القسام نقل قضية البلاد من دور الكلام إلى دور العمل، وبذلك آن لسياسة البراقع أن تزول»[47].

وفي صيف عام 1936 – عقب معارك المائة يوم – وعلى ضوء إسناد الحكومة البريطانية لرئيس أركان جيشها إلقاء حبله على غاربه، لاتخاذ ما يراه مناسبا للقضاء على الثورة والمجاهدين، وإحضاره للإمدادات العسكرية، واستخدامه للطائرات نشر سماحته، ومن خلال صحيفته «الجامعة الإسلامية» برقية إلى المندوب السامي، عارض فيها تدخل سلاح الجو البريطاني ضد المسلحين قال فيها: «إن استعمال الطائرات قاذفات القنابل لمطاردة الجماعات المسلحة، مخالف للمعاهدات التي أقرتها دول عصبة الأمم، ومنها بريطانيا، فاطلب الامتناع عن ذلك»[48].

45- بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ص303.

46- أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية ص30.

47- بيان الحوت: الشيخ المجاهد عز الدين القسام في تاريخ فلسطين ص79.

48- د. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني ص633.

وبعد ظهور إسرائيل عام 1948، رحل الشيخ الفاروقي مع أفراد أسرته إلى شرقي الأردن، فحط رحاله أولا في مدينة صويلح، غربي مدينة عمان العاصمة الأردنية، وحظي الفاروقي بأن يكون أحد المشتركين في المؤتمر الفلسطيني الذي عقد في عمان في 1948/10/1، والذي دعا إلى الوحدة الأردنية الفلسطينية، ومواصلة الجيوش العربية القتال، وتزويد الفلسطينيين بالسلاح، واشترك أيضا في 1948/12/1 في مؤتمر أريحا الذي أعلن فيه الفلسطينيون المجتمعون مبايعتهم للملك عبد الله، وضم ما تبقى من فلسطين إلى شرقي الأردن. وكان التاجي الفاروقي من أنصار المبايعة والضم رغم انسحابه من المؤتمر، لأن رئاسته أسندت إلى محمد علي الجعبري

ثم ترك الفاروقي مدينة صويلح لينتقل إلى مدينة الزرقاء حيث أقام مدة طويلة، ثم عاد واستقر في مدينة أريحا في فلسطين.

وفي العام الثاني لظهور دولة إسرائيل، أصدر جريدته للمرة الثانية تحمل اسمها الأول «الجامعة الإسلامية»، وصدر العدد الأول منها في يوم 1949/3/5. ولكن صراحته الكبرى المنعكسة في تحريره للجريدة، حرضت المسؤولين على إغلاقها[49].

وبعد ضم الضفة الغربية إلى شرقي الأردن، كان آخر ما حظي به سماحته سياسيا أن عينته السلطات الأردنية عضوا بمجلس الأعيان الأردني وذلك في 1951/9/1، ولكنه لم يبق فيه طويلا.

أما آخر ما أفاض به سماحته، قانونيا، فهو اطلاعه على المراحل الأولى للمعجم القانوني (إنجليزي – عربي) لابنه حارث، موليا شديد توجيهاته في معالجة العديد من المصطلحات القانونية وسبك شرحها[50].

وفي مدينة أريحا، انتاب سماحته مرض عضال، فدخل المستشفى الفرنسي بالقدس، ثم توفي يوم الثلاثاء 6-5-1958 = 17 شوال 1377هـ في أريحا بعد عودته من المستشفى، وذلك عن عمر يناهز السادسة والسبعين عاما، حيث شيع جثمانه الطاهر إلى مقره الأخير صباح يوم الأربعاء 7-5-1958[51].

اعتبر الفاروقي – رحمه الله – علما من أعلام النخبة السياسية والتيار الإصلاحي في فلسطين (1917 – 1948) بشكل عام، ورائدا من رواد القيادة الأولى (1920-1934) بشكل خاص. هذه القيادة التي انبثقت عن المؤتمرات الوطنية بواسطة الانتخاب، والتي كانت تدعى – حينذاك – اللجنة التنفيذية العربية، وقد تعاقبت على قيادة حركتها الوطنية مجموعة من اللجان التنفيذية، منذ المؤتمر الوطني الثالث (1920) وحتى المؤتمر الوطني السابع والأخير (1928). وفي سنة 1934 كانت نهاية اللجنة التنفيذية الأخيرة بانحلال تدريجي إثر وفاة موسى كاظم الحسيني، رئيس اللجان التنفيذية المتعاقبة[52].

49- صادق بخيت: لوامع المكفوفين العرب ص16.

50- حارث سليمان الفاروقي: المعجم القانوني (إنجليزي - عربي) المقدمة.

51- جريدة الدفاع العدد 6771 في 8-5-1958. وعجاج نويهض: رجال من فلسطين ص19. مع استغراب المعلومة الواردة في كتابي السوافيري والعودات في ترجمتهما لسليمان الفاروقي. والتي مفادها. أنه شيع إلى مقبرة باب الرحمة. باب الأسباط ببيت المقدس.

52- بيان الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ص647، 9، 9.

كان – رحمه الله – يعتم، ويلبس العباءة، ويحمل العصا، ودائما يقوده خادمه ناصيف أو صديقه أو أحد أبنائه أو أقربائه[53].

أما شعره، فقد ضاع جراء حرب 1948[54]، وقد جمعت ديوانه في كتاب معري فلسطين ليكون بين الأيدي، وقد رتبته على حروف المعجم ليسهل الرجوع إليه، وأختتم هذه الدراسة بنموذج من شعره:

سلبونا البقية

أيها الشعب نهضة وبدارا أيها الشعب أوسعوك احتقارا
هب يا شعب وأحم منك الذمارا هب وانفض عن مقلتيك الغبارا
وأر القوم نهضة عربية

قم قياما يا شعب لا تتوان لا تهن لا تهن كفاك هوانا
إن هذا السكوت أصل بلانا إن هذا الونى وذاك الليانا
هاج تلك المطامع الوحشية

غرهم صبرنا عليهم زمانا حاولوا سلبنا البلاد امتهانا
فإذا لم نمت ولم نتفان وإذا لم نقم لهم برهانا
سلبونا والله تلك البقية

نمت يا شعب واستطبت المناما ورضيت الحياة ذلا وذاما
رحم الله في التراب عظاما عشن ما عشن وارتحلن كراما
أتراها هانت على الذرية ؟

يا بلادي عدت عليك العوادي بت نهب الردى وسلب الأعادي
يا بلادي ألا اسلمي يا بلادي لك روحي ومهجتي وفؤادي
حبذا لو لقيت فيك المنية

يا فلسطين طال هذا المطال ويح قومي أليس فيهم رجال ؟
طال ظلما أعداؤنا واستطالوا ورأونا نغضي الجفون فصالوا
واستهانوا بنا وبالوطنية

يا فلسطين عقك الأبناء يا فلسطين ذم فيك البقاء
أترى الأرض أعقمت والسماء ؟ أم لماذا لا تنبت العظماء ؟
رب رحماك بالبلاد الشقية

53- م.ش. شكري مسيس (أبو يعقوب) وعجاج نويهض: رجال من فلسطين ص19.
54- يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص503. وعرفان أبو حمد: أعلام من أرض السلام ص193.

مصطفى مرار

إعداد: د. رقية زيدان

يمة، المثلث

مصطفى مرار

لمحة عن حياته:

ولد القاص مصطفى مرار في قرية «جلجولية» في «المثلث» في 1930/2/28م، تخرج في دار المعلمين العرب بيافا عام 1952م، والتحق بجامعة بار إيلان وحاز على درجة البكالوريوس في اللغة العربية والعلوم السياسية عام 1975م.

عمل مدرسا إلى أن انتقل للعمل محررا رئيسيا لدار النشر العربي عام 1973م. ثم عاد إلى العمل في مسقط رأسه، فعمل مديرا لمدرسة جلجولية «ب» إلى أن تقاعد عام 1982م، وكان إلى جانب التدريس قد عمل محررا في مجلات الأحداث.

عمل مصطفى مرار عضوا في لجنة الثقافة العربية في وزارة المعارف، وفي رابطة الكتاب العرب في «إسرائيل» ، واتحاد كتاب «إسرائيل» والمنظمة الدولية للأدباء وعضو جمعية المؤاخاة بين الأديان في «إسرائيل».

نشر مصطفى مرار المئات من القصص والمقالات الاجتماعية، وقصص الأطفال في الصحف والمجلات المحلية، يقيم حاليا في قريته ومسقط رأسه جلجولية.

صدرت له 18 مجموعة قصصية وست مجموعات حكايات. بلغ مجموع الكتب التي ألفها 86 كتابا كما أنه عرب 22 كتابا. (وقد كرم عام 2010 بمناسبة بلوغه الثمانين ونشر كتابه الثمانين أيضا، وقد دعيت للمشاركة ولكن حواجز الاحتلال حالت دون ذلك. وجدير بالذكر أن هذه الترجمة أعدت منذ 6 سنوات)

مؤلفاته:

1. النجمة المثقوبة	مجموعة قصص
2. طريق الآلام	مجموعة قصص
3. قلادة الأفعى	مجموعة قصص
4. ابني في الجامعة	مجموعة قصص
5. جنازة الشيطان	مجموعة قصص
6. حمارنا وبريطانيا	مجموعة قصص
7. دمع ورماد	مجموعة قصص
8. الشارع الطويل	مجموعة قصص
9. أيام بلدنا	مجموعة قصص
10. كتاب الثورة	مجموعة قصص

11. القنبلة الشرقية	مجموعة قصص
12. أصحاب الأخدود	مجموعة قصص
13. يا لثارات جفرة	مجموعة قصص
14. القطاريز	مجموعة قصص
15. ابن عيوش	مجموعة قصص
16. بيادر عدس	مجموعة قصص
17. اللد قبال الرملة	مجموعة قصص
18. واوي الحدود	مجموعة قصص
19. فكرة عن الناس	حكايات وأحاديث تربوية واجتماعية
20. اسمعوا يا ناس	حكايات وأحاديث تربوية واجتماعية
21. تفرجوا يا ناس	حكايات وأحاديث تربوية واجتماعية
22. الحق على الناس	حكايات وأحاديث تربوية واجتماعية
23. اشهدوا يا ناس	حكايات وأحاديث تربوية واجتماعية
24. أولادكم يا ناس	حكايات وأحاديث اجتماعية
25. التين والطين	قصص للأطفال
26. المشروع	قصص للأطفال
27. الشيطان الأزرق	قصص للاطفال
28. أوراق مطرود الحلواني	قصص للاطفال
29. وكم تفرح الثعالب	قصص للاطفال
30. ابن المعلمة نعيمة	قصص للاطفال
31. ألف باء العربية	تيسير القراء للأطفال سلسلة 28 كتابا
32. -32 الحيوانات الأليفة	قصص للاطفال، سلسلة من 16كتابا
33. طيور الجنة	قصص للاطفال
34. العشاق الثلاثة	قصص للاطفال
35. الأشقر الذي..	قصص للاطفال
36. نبات نعش	قصص للاطفال
37. لم يلحقوا بالشيخ	قصص للاطفال
38. شراب الملوك	قصص للاطفال
39. نسيم البحر	قصص للاطفال
40. يوم الزفر	قصص للاطفال
41. أجمل القطارات	قصص للاطفال
42. قرن الحية	قصص للاطفال
43. الجيل الجديد	قصص للاطفال
44. القاموس الطبي	قصص للاطفال
45. الدنيا تغيرت	قصص للاطفال
46. وسيلة للخلاص	قصص للاطفال

صفات مصطفى مرار

- عرف أبو نزار بالتواضع المفرط.
- البساطة في نهجه الحياتي.
- الابتعاد عن الشهرة والأضواء.
- العصامية المطلقة، فقد بدأ من نقطة الصفر ثم أصبح معلما، ثم مديرا، ثم حصل على الإجازة الأكاديمية الأولى بتفوق.
- كاتب وإنسان وفي مخلص لأصدقائه.
- محب لأصدقائه وأمته وشعبه، ومجتمعه وأسرته.
- مواظب دؤوب لا يعرف الكسل ولا الملل.
- مصطفى مرار مثل أدبه بلا بريق مصطنع، وبلا ضجيج بلا تهافت.

ومن الجدير ذكره أنه عرضت على الكاتب جائزة رئيس الحكومة الإسرائيلية للأدب العربي عام 1986م ولكنه رفَضَ تسلمها.

ميزات قصصه:

تتميز قصص الكاتب مصطفى مرار في أنها بشكل عام مسحوبة من صميم المجتمع والواقع، حيث يصور فيها حياة القرية، بعاداتها، وتقاليدها بطريقة حية نابضة فقصصه تعالج حياة العمال والفلاحين قديما وحديثا، مركز قصصه القضايا الإنسانية والاجتماعية والفكرية، كما أنه يركز في معظم قصصه على قضية الإستبداد والفوارق الطبقية، وقضايا المرأة من حيث كتبها وحرمانها واستغلالها، وقضية العرض والشرف والمروءة

طابع قصصه رومانسي، لكنها عميقة الرؤية، أسلوبه في بناء قصته أسلوب موباساني من افتتحايته، ثم في تصاعد الأحداث وتسلسلها ولوصول إلى ذروة التعقيد، ثم تنازل الأحداث إلى الحل والنهاية، ومما يلفت النظر في قصص مرار أنه لم ينغلق بل طرق أبواب التجريب على كثرتها، شخصيته واقعية مرسومة بعناية وجميعها من فقراء الوطن والطبقة العاملة الكادحة طبقة الفلاحين، أما الأسلوب عند مصطفى مرار فقد تطور دون أن يخطط له أو يتعمد تغييره أو تطويره، وأدخل أسلوب المونولوج ومسرحة القصة، وتداعيات أفكار الأبطال بحوار داخلي، فأصبح أسلوبا مبتكرا مميزا لقصص مصطفى مرار.

كان انتاجه الأدبي متنوعا شفافا يعكس الحس المرهف، والموهبة الخلاقة، والكاتب ماهر في خلق عنصر الإثارة، لغته جميله تنسجم والجو العام في قصصه دون تزويق لفظي، تتكئ على تشبيهات واستعارات وأمثال منتقاة من صميم واقع القرية العربية.

موضوعات قصصه:

تطرق مصطفى مرار في قصصه إلى جذور مجتمعنا ووثق له، وتحدث عن مأساة تشرد الشعب الفلسطيني ونكباته، وتناول موضوع الأرض، كمصدر للخير والبركة، فالأرض في نظره أساس كرامة الإنسان

وسعادته، فالأرض لاتباع مهما غلا الثمن، حتى لو فرشت بالذهب، وإن الغريب من ينفذ إليها ولو دقت الخوازيق في الجسد، وعلى غير الكتاب يصور مصطفى مرار ظاهرة الرحيل من المدينة إلى القرية إلى «الأرض الغالية» حيث يعيش فيها حياة حقيقية، حياة الحرية.

كما أن قصصه تعكس تطور القرية العربية، فهو يرسم ماضيها وحاضرها ومستقبلها برؤية واعية ناقدة، كذلك تحدث مصطفى مرار عن نكبات الشعب الفلسطيني، وأكدَ انبعاث هذا الشعب ليحيا بسلام وطمأنينه، ولم يهمل موضوع صراع الأجيال، وحياة الريف والإنسان العامل والبؤساء، كما يصف الشباب الواعي ويصف القيادات التقليدية، والمتعاونين ضد شعبهم بالشياطين، وأشاد بإنجازات الإنسان العادل، الذي قلب الموازين، وأصبح إنسانا حرا سيدا لنفسه، وأعرب مصطفى مرار في كثير من قصصه عن الحنين إلى السلام والنقمة على الحروب التي شتتت شمل شعبه، وحولته إلى شعب لاجئ، فالدعوة الصادقة إلى السلام العادل هي الأساس في وجهه نظر مرار.

إن شحنة ذاكرة الطفولة والحنين إليها عند مصطفى مرار تركت أثرا حاسما عنده، فقد اغترف منه بلا هوادة ليعرفنا بأحوال مجتمنا العربي الفلسطيني من عشرينات القرن الماضي حتي اليوم دون أن تنضب.

سميح القاسم يهنئ مصطفى مرار لدى بلوغه السبعين
مصطفى مرار في المائة

مع احترامنا الشديد للأيام والسنين، واعترافنا بسطوتها وقدرتها على الفتك بنا أجسادا من ماء إلى ماء ومن تراب إلى تراب، مع احترامنا لهذه الحقيقة الأزلية والتي قد تكون أبدية أيضا، فلا نستطيع إلا أن نسجل قناعتنا بأن أعمار الكتاب المبدعين لا تقاس بالسنين، أو أنها بالسنين فقط!

من هنا ذهبنا إلى أن صديقنا وزميلنا ورفيق دربنا الطويل الكاتب المعروف مصطفى مرار تجاوز السبعين عاما المحسوبة وفق شهادة الميلاد، ونميل إلى القول بأنه بلغ المائة تبعا للمائة كتاب التي أصدرها حتى الآن، والتي قدمت للقراء من جميع الأعمار والأجيال مادة أدبية ثقافية متنوعة وغنية بالتجربة الإنسانية والطموح الإبداعي.

ولم تقتصر تجربة أخينا وصديقنا أبي نزار على العمل الأدبي؛ فقد كان من أوائل الذين خاضوا عملية الحوار الحضاري مع الكتاب اليهود، منذ مطلع الخمسينات حيث طرح مصطفى مرار وجهة نظرنا في السياسة والاجتماع والثقافة والفكر بجرأة وبوضوح؛ رغم كابوس الحكم العسكري الذي كان يحاسب الناس على كل كلمة أو إشارة!

من أعماق القلب، نهنيء أخانا الغالي أبا نزار بالسبعين في الزمن والمائة في الإبداع، ونتمنى له ولأسرته الكريمة عمرا مديدا وإبداعا مزيدا إلى ما شاء الله.

البروفيسور جورج قنازع يقول:

أدب مصطفى مرار أدب خالد، منذ سنوات طويلة كان القلم وسيلة مصطفى مرار ينقل أفكاره، وإبداعاته إلى أبناء مجتمعه. وعند استعراض نشاطات هذا الأديب الكبير، نرى أننا أمام إنسان أعطى الكثير، واستنفد سنوات حياته في الكتابة والتأليف والتحرير، ولا يغيب عن بالنا أننا بالإضافة إلى ذلك. أمام أديب معلم قضى سنوات طويلة في سلك التربية والتعليم فكان مربيا يعمل على تنشئة جيل جديد على القيم الإنسانية الخالدة داخل جدران المدرسة، وحين لجأ إلى القلم وأصدر إنتاجه الأدبي، فقد وسع دائرة قرائه، والمستفيدين من أفكاره لتعم الفائدة، وينشر الفكر.

ما يستوقفنا في هذه المناسبة هو الإبداع الأدبي الذي ساهم فيه مرارا على مدى السنوات الطوال منذ السبعينات والذي عكس فيه هموم المجتمع العربي في البلاد والمشاكل التي تعترضه على المستوى الفردي والجمعي، وغني عن البيان أن الوعي الذي نجده لدى كبار الأدباء لقضايا شعبهم، وهموم حياتهم اليومية يصبح مصدر إلهام للأعمال الأدبية الخالدة التي تصور هذه القضايا بإشكالياتها المختلفة من جهة، وتعامل عامة مع هذه القضايا شعبه وأمته بكثير من الحكمة، وعمق الرؤية، والقدرة الفنية الخالصة.

لقد وجد مرار في القصة القصيرة قالبا فنيا يساعده على تصوير ما يراه، ونقل ما يختمر في ذهنه إلى جمهور قرائه، ولكنه لم يكتف بذلك، بل تنقل بين المسرحية والرواية، وكان إنتاجه الأدبي، بمجموعه ضخما متنوعا شفافا، يعكس الحس المرهف والموهبة الخلاقة.

ولا بد من الإشارة إلى اهتمام الأديب مرار بالأطفال والشباب، فقد خصص لهم مجموعات من قصصه ورواياته فكان بذلك رائدا من رواد أدب الأطفال الذي ازداد الاهتمام به في بلادنا خصوصا في السنوات الأخيرة.

أحمد دحبور يقول: أبو نزار «قنصل الأطفال» وحكيم الكبار كان ينقصي أن أعلم أنه قضى حياته معلما حتى أفهم أحد أسرار هذا المستوى التربوي العميق الممزوج بفيض من الحب لدى مصطفى مرار.

على أن اختصاص أبي نزار كواحد من أهم أدباء الأطفال العرب، ليس مكتسبا من المهنة، وإلا لكان المعلمون جميعا أدباء مختصين بالأطفال، فهذا الأبوي العطوف الحاني، مزود بذلك الباحث الخفي، الذي أطلق عليه لوركا يوما اسم الروح المبدع، أما استاذنا المرحوم جبرا ابراهيم جبرا فكان يدق على صدره وهو يبحث عن الكلمات «هذا الذي... هذا الذي... ماذا أقول؟ هذا الذي من عند الله».

وهذا الذي من عند الله يشكل شخصية مصطفى مرار كلها أديبا للكبار، وكاتبا للأطفال، وإنسانا يملك على من يعرفه ولو لأول مرة، مشاعر الحب والاحترام.

يقتاد أبو نزار حيواناته الأليفة والظريفة، إلى حبر الأطفال، وألوانهم الزاهية. فيشعر القارئ الكبير، أنه أمام كاتب منذور لهذه اللعبة، فهو لا يلقي حكما وعبرا على الصغار، ولا ينافقهم بإعلان حبه لهم، إنه يريق روحه على الورق، فإذا بها شريكه للأرواح الصغيرة، وإلى ذلك، نراه يشمل بحبه تلك الحيوانات

التي كساها لحما ودما من العمق وأطلقها تسرح في خيال الطفل الغض، الذي سرعان ما يؤنسن هذه الحيوانات، ويعقد معها صداقاته السرية البريئة.

ويلعب أبو نزار مع حروف الهجاء، ولم أقل يلعب بها، فلكل حرف شخصية ومزاج وكصاحب مشروع كبير، لا يدخر مصطفى مرار وسعا في معالجة مختلف الأدوات القصصية التي تشكل مداخل سالكة إلى قلوب الأطفال، فهو يدخل أيضا عالم الأساطير والخرافات، لكن يد الكاتب الماهرة الخفية تعرف كيف تتواطأ مع وعي الطفل، بحيث يدرك في جانب منه أن هذه حكايات وليست حقائق لكن القيم التي فيها عدة هذا الطفل، مستقبلا في مواجهة الحقائق، ولأنه يدرك أن العالم قرية صغيرة فهو يسحب أطراف العالم من زواياها البعيدة ليضعها أمام عيون الصغار وبين أيديهم. من خلال ما يختاره من قصص أجنبية وينقله بسلالته المعروفة إلى لغتنا الجميلة، متنكبا مهمتين:

الأولى هي الترجمة بحد ذاتها، والثانية هي ترجمة لغتنا المعقدة، نحن الكبار إلى الأطفال وما كان لقنصل الأطفال هذا فهو لم يوقف جهده على الكتب والكراسات، بل أفاد من الأشرطة المرئية والمسموعة.

العوامل التي ساعدت مصطفى مرار في بناء قصته

أولا:

ولد عام 1930م أي أنه عايش زمن القهر الفلسطيني، منذ أيام الانتداب البريطاني، ووعى كل الأحداث الرئيسية التي حولت شعبنا من استقرار وطمأنينة وحياة هادئة هانئة آمنة إلى عار اللجوء وذل الفقر والعوز وفقدان كل شيء.

ثانيا:

كونه ابنا لأسرة فلاحين أجيرين بالإضافة إلى عمله في الأرض، يعني أنه يعرف جيدا ما معنى الأرض؟ وما أهميتها وقيمتها بالنسبة للفلسطيني وماذا تحمل من معنى الارتباط بالوطن وبحياة ذي كرامة، وما صارت إليه هذه الأرض فيما بعد من مصادرة، واستيطان بحيث تحولت من مصدر كرامة إلى إذلال وقهر، وما خلف ذلك من إسقاطات كثيرة على أصحابها والعاملين فيها، حيث تحول المالك السيد إلى أجير... إلى عبد.

والقصص تعكس مجتمعا من الفلاحين، تحت سوط المعاناة والقهر، فكأن الكاتب يخشى أن يفوت به العمر دون أن يسجل ما رآه، أو ما سمعه ووعاه.

ثالثا:

كونه عمل في التعليم طويلا، يعني أن معظم قصص الكاتب ستحمل نبرة الوعظ والإرشاد والتنبيه إلى ما جرى، لعلّ ذلك يكون عبرة للأجيال الشابة، فنبرة الوعظ والتعليمية لا تبارح قصص الكاتب على تنوعها.

د.عبد الرحمن عباد يكتب حول مجموعة ابن المعلمة «نعيمة» لمصطفى مرار، في مجلة العودة - القدس

في القصة الأولى «اليوم الأول» يعرض الكاتب لحوار يدور بين صديقين وزميلين في الصف الأول الابتدائي حضرا لتوهما من الروضة، وأخذا يقابلان بين ما يريانه في المدرسة من خلو الجدران الصفية من الرسومات الجميلة والزهريات؛ إضافة إلى معاملة المعلمة للتلاميذ، فهي لا تضحك معهم، ولا تغني معهم، ولا تبتسم، وتنادي التلاميذ «يا ولد» بدلا من «يا حبيبي» التي كانت معلمة الروضة تناديهم بها، ويلاحظان عليها كثرة القراءة وسرعة الكتابة، وتكليف الطلبة واجبا أكثر من المطلوب.

وهذه الملاحظات التي يبديها الطفلان صحيحة من وجهة نظر تربوية، وهي نقد للمؤسسة التربوية التي لا تلتفت لهذه الهنات الصغيرة الهامة، ولهذا يقرر الطفلان العودة إلى الروضة، ولكن القصاص ينعطف بالقصة ليسير بها نحو الطريق السليم. فيخرج المعلمة من عبوسها السابق في الحصة الثالثة، حيث يتغير الجو الرسمي، وتبدأ حصة غناء ومرح جماعية ينفعل بها الجميع بمن فيهم الطفلان، فيشتركان مع الجميع، ويقرران في النهاية الاستمرار في المدرسة، وعدم العودة إلى الروضة اما قصته «بسَه أبو موسى» فأول ما يلفت الانتباه فيها هو العنوان، حيث إن الكاتب قد استخدم لفظ (بسة) بدلا من هرة أو قطة و(أبو موسى) بدلا من (أبي موسى) مما يدل على نزعته الواقعية، رغم حرصه الشديد على استخدام اللغة الفصيحة في مجموعاته القصصية غالبا، أما القصة فتدور حول سلوك الحيوان الذي يمكن صنعه بالمكافأة جعل «قطته نمورة» تلحق به عندما أول مرة معه إلى «الدكان» وأعطاها قطعة لحم هناك، وكركر ذلك مدة أسبوع حتى صارت قطعة اللحم مرتبطة بالمكان، وهكذا اعتادت القطة أن تلحق بصاحبها دون أن يحمل – بعد الأسبوع الأول- قطعة اللحم، فالمكافأة تعود الحيوان عادة مرْجوة، وهي قادرة على إحداث التغيير المرجو أيضا مع الناس.

وفي قصة «العنيدة» يتحدث القصاص على لسان كلبين مرة وسائقين ثانية، وسيارتين ثالثة عن سرعة السياقة، فهي محببة عند السيارة الحمراء، أو سائقها ، وكريهه لدى الزرقاء أو سائقها، وتكون النتيجة تحطم وجه الحمراء لدى اصطدامها بشجرة عندما كانت تسير بسرعة فائقة.

وفي قصة «الماء وحده لا يكفي» يحكي قصة بلبل وبلبلة كانا يبنيان عشهما للفراخ القادمة التي تفقس عن أربع بيضات، سرعان ما يصبحن قادرات على الطيران، ولكن الأم تعود حزينة ذات يوم بسبب اصفرار ورقة الجوافا، لأن صاحب البستان لم يقدم لها السماد، كي يتغذى عليه، فيقرر البلبل مع البلبلة وفراخهما أن يذهبوا لمساعدة شجرة الجوافا، فيتوجهون إلى البستان حيث مخزن السماد، ويأخذون بنقر الكيس، والصياح بصوت عالٍ:»الجوافا الجوافا يا حرام يا حرام» إلى أن يسمع صاحب البستان الصوت فيتبع البلابل التي تحط على شجرة الجوافا المحبوبة المريضة! إنها جائعة لقد نسيتك يا مبروكة، شكرا لكم أيها البلابل».

ثم يقوم بتقديم السماد والماء معا لشجرة الجوافا وتعود البلابل بعد أسبوع لتجد الاخضرار قد عاد إليها فيحتفل الجميع، بعودتها وشفائها، البلابل وأشجار البستان، ويبدأ الجميع بالغناء والفرح والرقص.

والقصة تربوية هادفة، تعمل الصورة في تثبيت فكرتها بشكل واضح كما أنها تساوي العمر الزمني لأطفال هذه المرحلة.

وفي قصة (الحلم) يقوم الطفل مسعود بالتحدث إلى قطته (فتنة) عن حزنه العميق. لأن الأستاذ المحبوب (مدحت) يعامل ابن رئيس المجلس المحلي أفضل من بقية الطلاب فيسأله دائما مع أن البقية يرفعون أصابعهم، ويعزز إجاباته بالمديح مما يجعل الطلاب يتضايقون لكن (فتنة) ما تلبث أن تترك مسعودا لينام ويحلم بحلم يجعله يفكرمن جديد في كل ما حدث به قطته فقد رأى نفسه يجلس مع زملائه تحت شجرة عادية الأوراق، ما لبثت أن تحولت إلى غرفة صف ، ودخل الأستاذ مدحت ليقول لهم: أنا أحبكم جميعا، ولا أفضل طالبا على آخر حتى ولو كان ابن رئيس الوزراء، ولا أحب طالبا أكثر من آخر فكلكم أولادي، وحينها يصحو (مسعود) من النوم ويرى أن اللحاف قد سقط عنه، وإن قطته (فتنة) مازالت تنتظر، فيرفع اللحاف، وتقف القطة إلى جانبه، ليحدثها بالقصص الجميلة.

فالقصة عند «مصطفى مرار» وبخاصة قصص الأطفال لها معنى تربوي واضح وهذا يعود إلى خبرته التربوية الطويلة، حيث كان مديرا للمدرسة وأستاذا قبل ذلك.

قصته طيور الجنة للأطفال والفتيان من سلسلة «أوراق مطرود الحلواني»

دموع في عيني أبي،
الوليدان، التوأمان لا يبكيان، برغم مايبدو على وجهيهما من علامات العافية!
ودموع أبي سخية في كل موقفٍ يحرك القلب
يبكي بدموعه.
وبلا صوت
إنه رجلٌ
فهو لا يبكي كالنساء.
تسيل دموعه للولادة، وللموت... للربح وللخسارة...
للنصر وللهزيمة...
وأعز مارأيتها، تلك الدموع.. دموع أبي،
يوم بلغته أخبار النصر الكبير الذي حققه الثوار على الإنجليز يوم وقعة «بيت أمرين» والتي يزداد صدى بطولاتها في بيت العتابا، على لسان شاعر شعبي يقال له «شحادة الجمالي»:

«شباب العرب عم تلعب بتمرينْ
وعمَ رصاصهم يزعق بتمرينْ
تحيا رْجالنا يوم وقعة أمرين
هجمتوا عالمدافعْ والأطوابْ

كنت أحب أبي
لكنني لم أحب الدموع في عينيه

من قبل، يوم كان يحملني، ويداعبني... كنت أمسحها...
تلك الدموع، بيدي...
ولا أسأل...
واليوم قد كبرت...
فأنا لا أجد الجرأة لأمسحها...
ولا أريد أن أجرح رجولته فأسأل!

كانت أمي ترقد على فرشة صوف جديدة، انزلتْها «الحاجة عائشة» أرملة عمي عن «حامل اللحفة» ذلك التجويف الجميل في الحائط، والذي يشبه المحراب، وإن فاقه اتساعا، أما الوليدان التوأمان، فكانا يرقدان فوق طبقٍ كبير من القش «صينية» لفتان متشابهتان والوجهان أيضا، متشابهان.

وغير بعيد عن مرقد أمي والتوأمين، كان ثلاثة، أو أربعة عجول، قد أحست بعودة أمهاتها، فهي العجول الرضيعة وإذ تعذر عليها الخروج من الباب الكبير المغلق، فهي تطل برؤوسها، من فوق الحاجز الذي يفصل بيتنا عن بيتها، كانت الحاجة عائشة، في تلك الأثناء مشغولة بما... يريد...»، وإن أبي يسَري عن نفسه، بالحث على رعاية والدتي، وهو يتمنى لو أتيح له أن يسقيها الشاي والحليب بيده.. هو
قالت الحاجة:
«يا» «أبو أحمد».. لا تشغل نفسك. قم إلى المسجد،
فنحن أدرى بعملنا.
قام أبي...
لكنه لا يطيق الخروج، فسأل:
هل رضعَ الصغيرات؟
ردت الحاجة في لهجة التأنيب:
يا رجل!! أنت مؤمن.. توكل على الله
لا إله إلا الله:
ولكن، كان هناك دافع قويٌ... وأنه لأقوى من الحرص على المال، وكثيرا ما سمعتهم يرددون:
«مصيبة في المال ولا في العيال»
وانفتح الباب الكبير
واندفعت العجول تبحث بين «الطرش» الذي ملأ الدار ضجة و... سؤالا عن الأبناء والبنات، وما هي غير لحظات حتى اهتدى كلٌ إلى ضرع أمه.

واتخذت لي مقعدا فوق أحد الأحجار الكبيرة، غير بعيد عن أحد المذاود، ومن هناكَ رحْت استمتع بالإنصات إلى موسيقى أعشقها، العجول تعب الحليب من الضروع، وترد الأمهات بأناتٍ حنونة، دون أن تفتح أفواهها... ثم إذا العجول تستزيد من الدَر فهي تضرب، برؤوسها، بطون أمهاتها، وهي قابضة على الحلمات، فترد عليها الأمهات بلحس أقفيتها وجنوبها، وأبي وشقيقتي الكبرى، يهيلان التبن في المذاود.
وأسمع صوت أبي خافتا، ولسانه لا يفتر عن ذكر الله ثم يدخل إلى أمي والحاجة عائشة...وألحق به..

وبرعم ضوء السراج الخافت، فقد كنت أتبين وجه أبي جيدا كان هادئا، مطمئنا إلى رحمة الله، وصوته كان فيه الكثير من التشجيع والدعوة إلى الإيمان بقضاء الله ورحمته. «يا حاجة عائشة، أضيفي حطبا إلى النار».

قالها وهو يقصف بيديه، ويضيف إلى النار في الموقد أعوادا أخرى، لتشيع الدفء حول الوالدة والوليدين، ثم أضافَ: هل شربتْ أم الصغار شايا أو حليبا؟

ومضى أبي إلى المجد.

نظرَ وراءه

كان يتوقع أن ألحق به.

فلما لم يَرني، توقف وسأل:

-مابكَ يا «مطرود»؟ ألم تجدد وضوءكَ

-بلى يا أبي.. لكنني لم أقبل يد أمي

ودمعت عينا أبي ومضى أبي المسجد

وعدت، أنا، إلى.. أمي

قبلت يَدها:

- أمي: الحمد لله على سلامتك.

- الله يسلمك، ويرضى عليك يا ولدي

وترسل نداءات الجوع والشوق للقاء...

هتفتْ أمي بصوتٍ ضعيف، إذا لم يمض على وضع التوأمين غير ساعة وبعض الساعة:

«ألا من يفتح للعجول؟! قد عادتْ أمهاتها... دعوها تشرب الحليبَ كله هذه الليلة، فلعلَ الله أن يجعل الصغيرين يقبلان على الرضاعة..»

مسح أبي دموعا جديدة

وخرجت في أثره

وبحماسة، وتصميم على التضحية، راح يفتح البابَ للعجول..

نعم.. قد كانت تلك تضحية، فالتنازل عن حليب أربع بقراتٍ هو أكبر من أنْ يحتمل أثره فلاحٌ. ولكن...

- أمي.. إن أبي حزينٌ... وقد رأيت في عينيه دموعا

بل إن أبي...

نعم يا ولدي... إنه يَبْكي!

فما يبكيه يا أمي؟ فيم حزنه، وأحرى به أن يفرح فالآباء، مثله، في هذه المناسبة يفرحون ويوزعون الملبس والقطين!

أبوك يا مطرود «قلبه رقيق» وهو قلق لحال أخويْكَ

وأشارت إلى اللفتين على الطبق الكبير:

لكنهما بخير يا أمي.

إنهما بخير، إن شاء الله، لكنهما ما زالا يرفضان الإقبال على الرضاعة.

قلت لنفسي:
«ليتهما قويان كالعجول! لماذا لا نولد أقوياء مثلها؟ ليت أخوي شرهان... كالكلاب!»

وانطلقت إلى المسجد لأصلي، وأدعو الله أن يحفظهما، ويحفظ أمي وأبي كان من عادة أبي، بعد صلاة العشاء، أن يعرج على الديوان ويسهر مع «الختيارية» يستمعون إلى «تغريبة بني هلال» يقرؤها، ويغنيها على الربابة، «شاعرٌ» ضيف.. لكنه اليوم... أدخلني تحت عباءَته، فأدركت أن طريقنا طويلٌ، وأننا لن نعَرج على الديوان.

كان البيت مزدحما بالنساء، أكثرهن من «بنات الحارة» وبعضهن جاء من أطراف القرية الأربع، وكلٌ تشير بما ترى «غطسوا الطفلين في الماء الدافيء
«بخروها»
«اسقوهما حليب البقر!»
فلترضعهما زوج الإمام... الشيخ يوسف
«ليذهب أبو أحمد وبحجب لهما عند الشيخ إبراهيم»
«حمموهما بورق الغار»
«.. بورق الكينا!!»
الكل يشير
والكل يسمع
ولا واحدة تقوم لتفعل أي شيء!

والحاجة عائشة، وحدها، تفرغ من دَهن أحد الوليدين بزيت الزيتون، فتسلمه إلى من تلفه، ثم تأخذ الآخر، فتكحله أو تضع الماء الملح في عينيه.
وأبي، على مصَلاه، بعيدا في ساحة الدار، ولكن في مواجهة الباب.. و مسبُحَته في يده، ولسانه لا يفترعن ذكر الله.
فجأة انطلقت صرخة فزعٍ... أوْ هي إعلانٌ بأن مكروها يحدث... أو هو قد وقعَ!!
قام أبي ولم يطو الجاعد...
وقبل أن يطلَ من الباب الذي تسده عَشْرة أجسادٍ من النساء الفضوليات، سمع ما هَدَ حيلَه:
آه يا ولدي!!»
أطلقتها أمي... ضعيفة لكنها تخترق كل القلوب...
فهل يحتمل ذلكَ قلب أبي؟!
إنقلب راجعا إلى مصلاة، وهو يرفع يَديْه إلى السماء:
«لا حَوْلَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم»
كان الجاعد مازال منشورا...
وقف أبي عليه، وصلَى ركعتين، ثم طوى الجاعدَ في هدوءٍ عجيب!!
لم أرَ الدموع في عينيه...

كانت الظلمة تلف كل شيء، بالرغم من أن «كل شيءٍ» كان يبدو، وكأنه في غير مكانه!
لم يلبثْ أن حضَرَ أعمامي والجيران...
أرادوا أن يحيطوا بأبي ليسروا عنه، لكنه أشار إلى سقيفةٍ ملاصقةٍ للمتبن وقال:
«هناكَ، تجدون عدة الحفر»
وذكرت...
وبكيت.
في ذلك الصباح كان أبي يسميها «عدة الزراعة»!! هو الآن يهم بزرع «بذرةٍ كبيرةٍ» غضة، طرية... كانت إلى لحظاتٍ تملأ الدنيا.. صمتا وترقبا.

وفي الداخل، كانت بعضهنَ يحاولن التخفيف عن والدتي التي هدها ما ترى، أكثر مما كدها الوضع!
وانهالتْ عليها العبارات المدئة:
«من مثلك يا أم أحمد!»
غيرك، يتمنى أن يكون قد مات له الطفل الرضيع والطفلان!»
«إبنك هذا سيكون من طيور الجنة...»
«ولسوف يشفع لك، ولوالده، يوم القيامة»
كانت أمي مؤمنة شديد الإيمان،.... درويشه.
ومع ذلك، فقد خرج من فمها ما لا يمكن أن تصدقهي أنها...
تفوهت به:
«غيري يتمنى؟! نعم يتمنى... ولكن متى؟!
هل فعل هذا قبل أن يكبر أولاده ويصبحوا من... صقور هذه الدنيا؟!»
ثم عادت واستغفرت ربها وحوقلتْ، وأخذت تردد:»إنا لله وإنا إليه راجعون».
مات «عايش» أكبر التوأمين..
وبقي «محمد» أصغرهما
لم تكن حاله بأفضل من حال أخيه حين رحل... لكن الأمل يزال يَعْمر قلب الوالدين، ومضت أيامٌ
وقالوا: «إن الصغيرَ يقبل على الماء الملحَى بالسكر»، لكنه ما زال يرفض الحليبَ!!
وبدا للناس أن الأملَ يكبر، وهم لا يعرفون أن البسمةَ لم تكن قد عادتْ إلى بيتنا!
وعدت من المدرسة يوما:
وعند مَدْخل الدار، التقيت أبي عائدا في جمع من الأعمام والأخوال والجيران.
كانت في أيديهم أدوات، كالتي أخذوها من السقيفة يوم ماتَ عايش»
كانت أدواتٌ للحفر:
ولم تكنْ للزراعة.

المصادر والمراجع:

1. تراجم وآثار في الأدب العربي في إسرائيل، شموئيل موريه، محمود عباسي، ط3، دار المشرق، شفا عمرو، 1987م.
2. فصلية الشرق، العدد الأول، كانون الثاني- آذار، شفاعمرو، 2000
3. سلسلة أوراق مطرود الحلواني، طيور الجنة، مصطفى مرار، مكتبة الشعب، كفر قاسم، 1997م.
4. انطولوجيا، القصة العربية الفلسطينية المحلية القصيرة، د.حبيب بولس، دار المشرق، شفا عمرو، 1987م.

الشاعر محمد حمزة غنايم

بقلم : د. رقية زيدان
يمة، المثلث

الشاعر محمد حمزة غنايم

لمحة عن حياته:

ولد الشاعر والمترجم والمحرر محمد حمزة غنايم في قرية باقة الغربية، يوم 1953/9/16م، أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في قريته، ثم التحق بجامعة تل أبيب في فرعي الأدب العربي والأدب العبري. ويجيد الشاعر محمد حمزة غنايم اللغتين: العربية والعبرية.

عمل في الصحف العربية «الاتحاد والجديد والشعب» حرر وشاركَ في تحرير مجلات أدبية عديدة، منها «الشرق» 1977-1984م، «الصحوة» 1978م، «الأنباء الثقافية» 1982-1984م، وحرر المجلة الأدبية الفصلية «لقاء» التي صدرت باللغتين العربية والعبرية عن المعهد اليهودي- العربي، التابع للهستدروت في بيت- بيرل، بالتعاون مع مجموعة من الأدباء اليهود والعرب من «إسرائيل».

ترجم محمد حمزة غنايم نتاجات أدبية عربية للغة العبرية وخاصة للشاعر الفلسطيني محمود درويش، الذي ترجم له مجموعته الشعرية «لماذا تركت الحصان وحيدا» و «سرير الغريبة».

ورأس الشاعر غنايم موقع مركز مدارس للترجمة والنشر المختص بالشئون الإسرائيلية، وكان محررا لملحق المشهد الإسرائيلي التابع لصحيفة «الأيام» الفلسطينية الرسمية حتى منعه المرض من الاستمرار في عمله، ونشر محمد حمزة غنايم ترجماته في «عتون 77»، «أبريون»، «هآرتس» وغيرها، وهو عضو في هئية تحرير «مفراس» دار النشر التي أصدرت مؤلفات أميل حبيبي وغسان كنفاني وأبي إياد وغيرهم من الكتاب الفلسطينيين باللغة العبرية.

أعدَ مختارات من القصة الفلسطينية المترجمة للغة العبرية، وكذلك مختارات من الشعر العبري الحديث مترجمة للعربية بعنوان «الله وحده يعرف نهايات السقوط» وله ترجمات عديدة من الأدب العبري لم ترَ النور بعد، منها: رواية القاص يعكوف شبتاي «تذكار ما جرى» وعشرات القصص الحديثة.

توفي الشاعر محمد حمزة غنايم في 2004/5/25م بعد صراع شديد مع المرض.

مؤلفاته:

1. وثائق من كراسة الدم، طولكرم، المطبعة الأهلية، 1975م.
2. ألف لام ميم، عكا، منشورات الأسوار،1979، شعر.
3. المائدة وأحوال السكين، شفا عمرو، المشرق، 1984م، شعر.
4. العاشق، أ.ب يهو شواع، إصدار جامعة تل أبيب، دار المشرق ومعهد ترجمة الأدب العربي، 1984م، رواية.
5. الموت حبا، مختارات من الشعر المصري الشاب، إعداد وتقديم، تل أبيب، سفريات بو عليم.
6. ثلاثة أصوات، شعر.
7. الغرائبي، شعر.
8. نون وما يسطرون، قصائد، 1988م.
9. نكتبك يا وطن القصيدة، ترجمة، 2000م.

في مقدمة مجلة «لقاء» وتحت عنوان 3 كلمات في البداية يقول محمد حمزة غنايم: «لأبناء عمومتنا نقول، إنه من السذاجة بل من سوء النية التفكير بأن مجلة تطمح إلى عقلنة و «إعادة برمجة» طبيعة اللقاء بين ثقافات متناحرة في منطقتنا، بلغة يفهمها الجميع، يجب أن يكون مقصورا دورها على نشر قصص وقصائد الحب والسلام والوئام والإكثار من الحديث عن «العصر الذهبي» الأندلسي، والابتعاد قدر الإمكان عن السياسة وأسبابها، والالتصاق بالشعارات الطنانة حول «التعايش» و «التعارف» و «الأخوة اليهودية-العربية» وغيرها، تلك الشعارات التي ما انفكَ عدد من أصحاب القرارات يتصورونها مفتاحا سحريا لمواصلة الاحتفاظ بـ»إنجاز» السكون، في واقع ساكن راكد ومضمون خال من «المشاكل» و «المتاعب».

«إن غايتنا هي توفير أسباب العيش المحترم والمتبادل والقائم على أساس احترام حقوق الغير، لكي تصنع سلامنا الواقعي المبني على دراية سليمة بتفاصيل حاضرنا وماضينا. لقد شبعنا أخطاء وأشبعنا خطايا. والأحمق، فقط، من لا يستفيد من دروس أبينا التاريخ العظيم!».

ومن ترجمات محمد حمزة غنايم من ديوان الشعر الإسرائيلي المعاصر إلى العربية تحتار قصيدة «ياسمين على ورق زجاج» للشاعر روني سوميـك:

فيروز تنادي السماء
أن تمطر ياسمينا
على من التقوا مرة
ولم يعرفوا أنهم محبون
استمع إليها في «فيات» محمد
في ظهيرة شارع ابن جبيرول،
مغنية لبنانية تغني في سيارة إيطالية
لشاعر عربي من باقة الغربية
في شارع يحمل اسم شاعر عبري عاش في الأندلس والياسمين.

يقول الكاتب سلمان ناطور إن محمد حمزة غنايم رحلة شاقة ورحيل مبكر، كان قبل أن أقعده المرض مؤسسة ثقافية لا تتوقف عن العطاء في مكتبة بيته، يطل من شرفته على الحركة البشرية التي لا تتوقف في نقطة الوصل على الخط الأخضر، العمال الفلسطينيون من جهة، وحرس الحدود والجيش من جهة.

وأزير الرصاص من جهة، وصفارات الشرطة والإسعاف من جهة ، كل ذلك يقتحم بيت هذا الشاعر المحب لشعبه ووطنه من كل الجهات وهو لا يقدر إلا أن يترجم معاناته وغضبه إلى قصيدة.

كان محمد حمزة غنايم من المدافعين والمناضلين من أجل حقوق الإنسان وحرية التعبير والتفكير والإبداع كان دائما يحلم بالحرية والمستقبل.

وكان عدوا للزيف والثقافة السطحية الضحلة والأساليب الدعائية للوصول إلى النجومية والشهرة الأدبية، وكان دائما يدعو المثقفين والأدباء إلى العمق والأصالة والصدق والبحث عن الثقافة الحقيقية.

كانت تجربة محمد حمزة غنايم تجربة معايشة مع الموت، رافقه لسنوات كان يقترب منه ثم يبتعد، يعانقه ويطرده ويعود ليرفضه ويهرب منه.

وقد عبر عن ذلك في شعره قائلا: صباح الخير أيها الألم
كأن ضفاف الصبح تبدو مثل لون الدم في عيوننا/
سحاب/
كان يغفو فوقنا الألم.

كانت بدايات محمد حمزة غنايم في السبعينات كان شابا يافعا تبشر النقاد بولادة شاعر واعد. فكانت بداياته في مجموعته الشعرية ألف لام ميم، حيث قال:

«في البدء أضأت العالم بالشعر
حملت قرابين الله المتقدم
في أمطار المدن العذرية
والباحث في مملكة الكون عن النار
سمعت طيور الندب المضفورة
بالخوف تراشق بالألفاظ المخصية بالنزع
والأحقاد العصرية»

(ألف لام ميم ص68).

خسرت الحركة الثقافية بموت محمد حمزة غنايم وهو في الواحدة والخمسين من عمره واحدا من رموزها الذين برزوا في سنوات السبعين.

يقول الدكتور نبيه القاسم عنه: كان صوته الشعري متميزا وواضحا وذا نكهة متفردة وكان عمله الثقافي فاعلا ومؤثرا من خلال نشاطه المتشعب في التحرير في المجلات والملاحق الأدبية. وأكثر ما يميز محمد حمزة عن الكثيرين ثقافته الواسعة وسعيه الدائم للمعرفة وتكريس معظم ساعات يومه للبحث

والتنقيب، وهذا يبرز في كتاباته المختلفة وخاصة في قصائده التي تتضمن الإشارات الرمزية والأسطورية؛ يقول الشاعر:

أيتها الأوراق الوحشية
بالطفل العصري تصادره الحجرات الحضرية
يحفظه الفقراء وكالات الأنباء الأوتوغرافات
الصحف الأحذية الملكية والمارشات، يشتم خراب العصر
وينذرني أن العقم هو الجسر الشمعي إلى الكلمات
وإن معاني المشي على موتين جناح للمدن الذهبية
يفتحها الحلاج السيد جيمس فريزر والطاعون،
إذن لا بد من الماء لأدعوك إلى قافلتي»

(ألف لام ميم ص71).

من قصائد الشاعر محمد حمزة غنايم من مجموعته الشعرية «نون وما يسطرون»

أربع قصائد نقدية:

في نقد الرحمة

أنتظر من الليل الرحمة/ ليل الرحمة.
يخرج من رحم الليل الرحمة.
فحرق/
راقته عيون الشمس فقامت تطلعه
نبتة ثقة في الروح
نبتة عشق الحرية للروح
أنتظر من الليل الشرقي المثقل بالهم
الأشواق/ الشهوة/
والرغبات المدفونة/
مذاق التوت على شفةٍ/
تغرق بالفل/ زمان الفل/
وتعبث بي.
آتيها بالعطش/ فتأسرني بمنابتها ينبوعا/
فاض به الحب/
ناديت فلم يسمعني/
ناديت ولم أسمعني
فالصوت صدى
والنبع صدى
وسواك/ سوى صوتك/ كل الأصوات صدى.

في نقد الأمل :

كائنك المرمري المكدس بالفوضى
والروعة البدهية/ منطلق
الآن تحلق دفاتره في سماء مخيلتك الكبرى
خفاقة بالأمل
كائنك البشري المقدس يتهاوى الأبد ،
تختفي كل قواعد الإسمنت من تحته
ليظل النصب باحثا
عن صندوق من الباطون
في صحراء التيه .
والحجارة
مقلعة/ أسرابها موسم
وأعشاشها /
وطن

في نقد الألم:

صباح الخير أيها الألم
صباح/ قلم/ صوت
ويضع حبات من النوم
على وسادة/
نسيت أن أجمعها /
وعقد السَهر اندثر .
مفازةٌ/
تفغر شدقيها
وروعة اللجوء للصحوة

ساعة الألم:
ذراع نهر غارق في السر/
و «الخوفة» تأتي/ مثلما ودعتها/
كانت ضفاف الصبح تبدو مثل لون الدم في عيوننا/
سحابٌ/
كان يغفو فوقنا الألم

في نقد المواسم:

هذا المدار المر/ تلك الصرخة المرتجلة.
تلك البداية/ الشعلة/ ذاك الرسم/ والموت/
وتلك المسألة:
تحت صقيع الروح أم عند انطفاء الشمس تخبو الفكرة المكتملة؟
بداية الرحلة: جملة مرتجلة
بداية الموسم: سنبلة.

فوزي جريس عبد الله
1942 - 1988

أ. رقية زيدان

فوزي جريس عبد الله

بطاقة تعريف:

- من مواليد الناصرة 1942م
- حصل على اللقب الأول من جامعة حيفا.
- حصل على اللقب الثاني من جامعة تل أبيب.
- اشتغل في سلك التعليم والصحافة.
- أسس مجلة «المواكب» وترأس تحريرها مدة أربع سنوات.
- ساهم في تأسيس الحركة التقدمية للسلام.
- أصدر خمس مجموعات شعرية.
- توفي في آذار سنة 1988م

لمحة عن حياته:

ولد فوزي جريس عبد الله في الناصرة يوم 1942/1/20م، حيث أنهى الدراسة الابتدائية فالثانوية، ثم حصل على اللقب الجامعي الأول «ب.أ» من جامعة حيفا واللقب الثاني «م.أ» من جامعة تل أبيب في موضوع اللغة العربية وآدابها، وكانت أطروحته عن «الرومانسية والتجديد في شعر إبراهيم ناجي».

عمل في سلك التعليم وفي الصحافة، فعلم في الثانويات وفي جامعة تل أبيب، وأصدر وهو طالب في الثانوية- سنوات 1957-1959م أول مجلة طلاب مطبوعة في الوسط العربي في إسرائيل بمشاركة عدد من زملائه الطلاب الذين أصبحوا فيما بعد أدباء معروفين، وأسسوا يومها- مشتركين- أسرة «الجيل الجديد».

ساهم في تأسيس «ندوة الناصرة الأدبية» في السبعينات، التي ضمت لجنة من الأدباء المعروفين بينهم، جمال قعوار، وجورج قنازع، وفهد أبو خضرة وآخرون.

عضو مؤسس في جريدة الصنارة حيث عمل محررا لها مدة سنة ونصف.

أسس جمعية «المواكب» وأصدر مع زملائه الأدباء مجلة المواكب التي شغل منصب رئيس تحريرها وقد بدأت تظهر في كانون الثاني 1984.

شغل منصب سكرتير رابطة الجامعيين في الناصرة، وعضو مكتب جبهة الناصرة الديمقراطية «1979-1982»، ساهم مع زملائه في تأسيس الحركة التقدمية للسلام ويَشغل فيها منصب عضو المكتب السياسي ورئيس تحرير جريدة الوطن الناطقة بلسان الحركة.

شارك في الندوات وفي إلقاء محاضرات في عشرات القرى العربية، كما شارك في مؤتمرات محلية في البلاد وفي الوسط العبري، إضافة إلى مؤتمرات محلية ودولية في مواضيع أدبية ثقافية وسياسية.

أقام مع زملائه مؤتمر الفكر الفلسطيني الذي عقد أول مرة ثلاثة أيام متتالية في أيار 1985م وعقد مرة أخرى لثلاثة أيام كذلك في 1986م.

توفي فوزي عبد الله في آذار سنة 1988م.

نشاطاته:

أصدر فوزي عبد الله مع زملائه الطلاب، وهو لا يزال في المدرسة الثانوية، أول مجلة طلاب عربية مطبوعة، وأسس معهم أسرة أدبية، أسماها أسرة الجيل الجديد، بادر إلى بث برنامج تلفزيوني خاص للطلاب للمناقشة في المعرفة والمعلومات العامة، فكان من أحب البرنامج التلفزيونية إلى قلوب المشاهدين وعمدت إلى تقليده محطات تلفزيونية أخرى.

بادر إلى تأسيس «ندوة الناصرة الأدبية» خلال السبعينات حيث ضمت هذه الندوة نخبة من الأدباء والباحثين من بين اليرفيسور جورج قنازع، والدكتور جمال قعوار والدكتور فهد أبو خضرة والشاعر إدمون شحادة، حيث قدمت هذه الندوة في الناصرة وبلدان أخرى، كما شارك في ندوات ومنابرأدبية، وأمسيات شعرية وحوارات في الدراسات الفكرية والأدبية والتقدمية والاجتماعية والسياسية.

شارك مع لطفي مشعور والأديب عطا الله مشعور في تأسيس صحيفة الصنارة، وعمل فيها محررا خلال عامي 84/83 ومن ألمع نشاطاته الأدبية، وأبرزها مبادرته إلى تأسيس جمعية المواكب وإصدار مجلة بهذا الاسم مع عدد من زملائه من بينهم المرحوم الدكتور سامي مرعي والشعراء حنا أبو حنا والدكتور جمال قعوار والدكتور فهد أبو خضرة، وقد أنيطت به مهمة رئاسة تحرير المواكب إلى حين وفاته، وقد صدر أول أعداد المواكب في كانون ثان 1984م وكان المرحوم فوزي عبدالله قد شغل منصب سكرتير رابطة الجامعيين في الناصرة، وعضو مكتب جبهة الناصرة الديمقراطية بين الأعوام 1979-1982م.

وكان فوزي عبد الله من مؤسسي الحركة التقدمية للسلام حيث أشغل فيها منصب عضو المكتب السياسي ورئيس تحرير جريدة الوطن الناطقة بلسان الحركة إلى حين وفاته.

وقد وصل فوزي إلى أوج نشاطه الأدبي والفكري من خلال مبادرته لعقد المؤتمرات الفلسطينية حيث نظم بنجاح أربع مؤتمرات، اثنان منها للفكر الفلسطيني الأول في آيار عام 1985م، والثاني في حزيران 1986م ومؤتمر الشعر الفلسطيني عام 1987م، ثم مؤتمر الموسيقى الفلسطيني عام 1987م. وقد شارك في هذه المؤتمرات التي عقدت في الناصرة نخبة من المفكرين وأساتذة الجامعات والأدباء والشعراء.

أسس مع عدد من زملائه الأدباء رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينين في إسرائيل، وانتخب لمنصب الناطق بلسان الرابطة، وقد صدرت للشاعر فوزي عبد الله خمس مجموعات شعرية هي:

1. موعد مع النصر– عام 1969م
2. الطيور المهاجرة– عام 1973م
3. الفارس يترجل- عام 1974م
4. شدوا الخطى- عام 1979م
5. قصائد عن الخروج والعودة- عام 1987م.

أبحاثه الفكرية والثقافية:

1. المثقفون ودورهم في المجتمع- المواكب- 1984م
2. الأديب الحقيقي- المواكب- 1985م
3. أهمية التوثيق والبحث- المواكب1985-م
4. اللغة من التراث والمعاصرة- المواكب- 1986م
5. التراث بين الحفظ والضياع- المواكب- 1984م

أبحاثه الأدبية:

العربية

1. اللغة العادية واللغة الشعرية1984-
2. دراسة تحليلية لقصة دنيا الله- نجيب محفوظ- 1985م
3. التجديد والرومانسية في شعر إبراهيم ناجي- 1988م
4. قراءة جديدة في بخلاء الجاحظ- 1984م

الفلسطينية

1. حبيب شويري- شعره 1987م
2. صراع بين الدنيا والدين- تحليل قصة محمود سيف الدين الإيراني 1985م.
3. دراسة في قصة زكي درويش «الخروج من مرج ابن عامر» 1984م.
4. أرصفة الحرية لميشيل حداد 1984م.
5. ملاحظات نقدية حول «أيلول» لجمال قعوار 1988م
6. أبو سلمى- الثورة والفن- في لهب الغصن 1984م.
7. صحوة الذاكرة في تكريم د.اسحاق موسى الحسيني 1986م
8. النقد الادبي المحلي 1984م.
9. ملاحظات في جمالية شعرنا المحلي- 1985م
10. شعرنا والحياة- 1984م.

الكلمة التي ألقاها فوزي عبد الله
في مؤتمر منظمة الكتاب العالميين في تل أبيب عام ١٩٨٥م

وهأنذا أتحدث كأديب إلى أدباء، وإنما أؤمن بالكلمة الصادقة الشريفة، وأومن أن سلاح الأدباء الحقيقيين هو الكلمة وليس البندقية، الكلمة التي اعتبرها سفير خير يصل الإنسان بأخيه الإنسان، ويعد للآتي الأفضل، ولذلك يحارب الأديب بكلمته الصادقة فيؤثر على قرائه، وتصبح كلمته سيفا مشهرا في وجه الظالمين والظلم، وتضئ كلماته لصنع غد أجمل، إذ لا قيمة للأديب إن لم يؤمن بالإنسان وبالغد الأفضل.

ويضيف فوزي قائلا عن الأديب الحق إنه يلتزم بالموقف الإنساني، فيتحول إلى مناضل في سبيل نصرة وطنه وشعبه، في الوقت الذي تسمو إنسانيته في كل كلمة من كلماته؛ لأنه يرى مصلحة قبيله كما يرى مصلحته، ويعمل من أجل خير الشعوب كما يعمل من أجل خير شعبه، ولا يتعصب لدين أو قومية أو جنس، لأن التعصب يؤدي إلى الحقد.

والأديب الحقيقي يمتلئ قلبه بالحب، ولا يعيش ازدواجية نرقبها بين سلوكه وأدبه لأن هذا يعني بعدا عن الصدق وخوفا من مواجهة الواقع.

مصادر ثقافة فوزي عبد الله

أولا: المصدر العربي:

فقد ملكَ فوزي زمام العربية، وأبدع فيها، وعن طريقها تعرف على مصادر الثقافة العربية ونهل منها، وتناول بعضها بالدراسة والتحليل، كما فعل عندما كتب عن بخلاء الجاحظ، وقد أحسن كثرا في الإشارات الكثفة في ديوانه (شدوا الخطى) إلى أبيات سائرة من شعر طه، وأبي تمام، وأبي فراس والمتنبي وغيرهم.

ثانيا: المصدر الأجنبي:

فقد تعرف عن طريق المطالعة الخاصة أولا، ثم عن طريق الدراسة الجامعية المنتظمة على مصادر الثقافة الغربية فأفاد منها في أبحاثه. كما تستنتج من رجوعه إليها في دراساته الأكاديمية عن بخلاء الجاحظ والتجديد والرومانسية في شعر إبراهيم ناجي.

ثالثا: المصدر الأدبي الثوري - العربي والعالمي:

حيث اطلع عليه الشاعر غالبا عن طريق الترجمة إلى العربية، وإذا كانت الحياة خير معلم فإن الخبرة التي اكتسبها فوزي عن طريق التجارب التي مر بها كانت الإطار الذي بلور الثقافة والشخصية، ليكون الإنتاج كما كان عليه.

صفات فوزي عبد الله

كان فوزي عبد الله متفائلا، وكان بشوشا، وصادقا، وكان معطاء، يحب الخير والسلام لكل البشر. وكان متواضعا وطيب القلب، وكان فوزي عبد الله وطنيا صادقا في وطنيته، صادقا في إنسانيته، داعية للحق والعدل والسلام، يعمل من أجل عالم يسوده الخير وينحسر فيه الشر، عالم يقوم على مبدأ المساواة والعدل والأخوة حيث لا ظلم، وحيث لا إكراه، إنها رسالة كبيرة على قلب إنسان عادي، ولكن الإنسان الكلمة يحمل مالا يحمله الإنسان العادي.

آمن فوزي عبد الله إن مصلحة شعبه، حقه في الاستقلال والحرية والكرامة وقد عبر عن هذا الموقف الإنساني في قصيدته:

الحق الحق أقول
لا أقصد ما كان
لكني أتحدث عما سيكون
جيل يذكر مأساة لا تنسى
جيل الوعي يكون
إيمانا بالنصر ليكون
إيمانا بفلسطين يكون
إيمانا بالحق الشرعي يكون
إيمانا بأخوه شعبين يكون
قلبا أوسع من إدراك مداه
حبا أكبر من فهمك معناه.

كلمة البرفوسور جورج قنازع في فوزي عبد الله، وتقديمه لكتاب التجديد والرومانسية في شعر ناجي

إنه شاعر تركَ عددا كبيرا من القصائد، موزعة على أربع مجموعات، تظهر عمق وعيه لقضايا شعبه، وصدق حسه الوطني، كما تظهر فكرة الوطني الرائد وإيمانه بحتمية ميلاد الأمل من الألم، والحياة من التضحية، وسعادة الغد من شقاء اليوم.

إنه خطيب مفوه ملك عنات الكلمة، فاهتزت المنابر من وقعَ كلماته ومن صوته الذي كان يجلجل في المناسبات الوطنية صادعا بالحق لا يخشى فيه لومة لائم.

إنه صاحب فكرٍ صائب، يطرح إرادة وتحليلاته النظرية لما يعالجه من مواضيع، فيثير الجدل بين الناس، وفي هذا ما فيه من شحن للأفكار وتحديد للمواقف واستئناف بالرأي أنه ناقد أدبي حصيف، يعتمد على ثقافة عربية أصيلة وعلى معرفة شاملة بالتراث الإنساني ويستطيع بذلك أن يدرس ويحلل ويقيم فيأتي تحليله سلسا وتقييمه دقيقا ونقده على قدر كبير من الموضوعية.

ولقد شاء فوزي أن يعمق دراساته الأدبية عن طريق الدراسة الأكاديمية، فقطع شوطا بعيدا فيها، وحصل من جامعة تل أبيب على درجة الماجستير في الأدب العربي بتقدير عال بعد أن أعد دراسة رائعة عن شعر الشاعر المصري الدكتور إبراهيم ناجي، وليس غريبا أن ينال فوزي شهادته بتقدير عالٍ؛ فهو بعد كل ما ذكرنا عنه من كونه شاعرا وخطيبا وناقدا واسع الثقافة، خير من يستطيع النفاذ إلى شعر إبراهيم ناجي ليسبر غوره. ويجدد رومنسيته من خلال معالجته للنص وما يحمله من أفكار ومن خلال ربطه بالموروث الأدبي الإنساني عامة. وبذلك يكون فوزي قد فتح مغاليق رومنسية إبراهيم ناجي، وسهل على الكثير فهم شعر هذا الشاعر الكبير وتحقيق المتعة الأدبية عند قراءته الواعية المعتمدة على الفهم الثابت.

قصيدة الشاعر حبيب في رثاء فوزي عبد الله

لا الدمع يجدي إذا فاقت بنا الغمم
فالعمر كأس منايا خمرها العدم
فوزي ! ! ملكتَ عنان الشعر في زمن
كنت المجلي . . . وكاد الشعر ينهزم
إن القوافيَ تبكي خير ناظمها
باتت يتامى على أغصانها الكلم
هذي فلسطينَ كم غنيتها فبكت
شوقا حميما . . . وأضنى قلبها الألم
غادرتها والدم القاني يخفيها
والنار فوق بِطاح القدس تضطرم
ما عهدنا بكَ في الميدان منكفئا
بل أنت سيد من يعطي ويحتدم
«أدار المواكب» يا فوزي ! تسائلني
عن شاعر حبها في قالبه عرم
إن جئتها كلِ ما فيها يذكرني
أوراق شعرك يبكي فوقها القلم
في الركن مكتبةٌ مشدوهة ألما
والحزن في جنبات الركن والسقم
ما زال مقعدكَ المشتاق منتظرا
وصوره خلفه قد زانها علم
سلمْ على راشد . . . قل إن ساحتنا
أضحت أتونا . . . ففيها الموت والحمم

فوزي سنبقى على عهد نجدده
والشعب يوما من الباغي سينتقم
يا شاعرا ! لم يمت في الخلد منزله
أنت المبادئ والإخلاص والقيم

قصيدة الشاعر الدكتور جمال قعوار في تأبين فوزي عبد الله

رحيل الأحباب

بَعدَ المرتجى وضاق المجال
يا دروب الأحزان أين المال
ذبَلتْ في ربى الوعود الأماني
وذوت في شعابها الأمال
أيها الحزن يا خدين فؤادي
يا تريلا لم يغره الترحال
رحل الحب والحبيب
وظلت عاديات بها تنوء الجبال
لست أرجو جملا خفيفا
ولكن منكبا لا تهده الأحمال
يا رحيل الأحباب! يا نار قلب
موجع لم يعد لديه احتمال
يا رحيل الأفكار مَن للأماني
إن تخلى عن ردها الأبطال
قدر الأهل يا فلسطين أن يعطوا
وأن يبذلوا وأن لا يبالوا
إيه فوزي وكنتَ رمز نضال
يتنامى إلى علاه النضالَ
كنت شعبا يبث في نبضات
الشعب روحا لا يعتريها الهزال
كنتَ شعرا يضفي على الشعر
لونا وطنيا تشدو به الأجيال
كنتَ عزما مواكب العزم تقفو
خطوة إن تراكمت أوحال
يا حبيبي! يا ورده العمر يا فوزي
استبد الهوى وعز الوصال
يا فلسطين! يا ربوع جلال!
وبأرض الجلال يثوي الجلال
فاجعلي تربك الطهور نديا
لنزيل يسمو به الإنزال
فلذكراه هامة المجد تحنى
ويدومَ الإكرام والإجلال

المهرجان الشعبي الذي نظمَ لإحياء ذكرى الأربعين لرحيل الشاعر الكبير فوزي

نظمت لجنة تأبين المرحوم فوزي عبد الله حفلا تأبينيا ضخما لإحياء ذكرى الأربعين لرحيل الشاعر، عصر يوم السبت 1988/3/26م شاركت فيه جماهير غفيرة من جميع أنحاء البلاد ومن الضفة والقطاع.

افتتح الحفل التأبيني الأستاذ الشاعر حنا أبوحنا، أمين علم رابطة الكتاب الفلسطينيين بكلمة مؤثرة عن فوزي عبد الله فارس المنابر، والشجرة المطعمة بثمار متعددة، ثم وقف الجمهور دقيقة حداد.

ثم ألقى الشاعر جمال قعوار كلمة تحدث فيها عن فوزي ومجلة المواكب، تبعه الأستاذ أنيس أبوحنا، ثم الدكتور إبراهيم الخواجا نائب رئيس جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فميشيل حداد، ثم ألقى الشاعر أحمد طاهر يونس قصيدة تأبينة مؤثرة، ثم تبعه الشاعر ناثان يوناثان، وبعده ألقى الشاعر عطا الله جبر كلمة الأستاذ لطفي مشعور.

وشارك في القاء الكلمات التأبينية السيد حسن جبارين والشاعر سليمان سماره من هضبة الجولان والدكتور جريس خوري والأستاذ حاتم حسون وعضو الكنيست محمد ميعاري ثم كلمة كريمته علا ثم عمه نعيم قرواني فكلمة أخيه فؤاد جريس عبد الله.

قصائد مختارة لفوزي عبد الله

في البدء كان الكلمة
توقظني من عذابي خيالات الكلمة
ماذا لو رفعت صوتي
هل ترتج الكلمة
هل يكثر أنصار الكلمة
ما أكثرهم حين يموت ظل الله
ويها للمنسيين على هامش أسياد العمر ....
فتضئ دروب المقهورين
ويحترق الصمت
وتحيا أحلام الفارس
تحيا تحيا حتى تصبح أروع ما في العصر
فتأتيك حبيبة عمرك
لا أبهى... لا أروع... فجرا أبديا

من قصيدة كتبها سنة ١٩٨٠م بمناسبة يوم الطفل العالمي

ماذا أعددتم للأطفال
هل في قلب الظالم دائرة للطفل وموضع حب لعيون
تشرق في عز الليل
ماذا أعددنا يا شعبي لغد آت؟
للطفل يموسق عمرا . . .؟
ماذا أعددنا؟
ماذا أعددنا
تولد أكبر من عمركَ
لا تعرف من عمر الأطفال سوى اسم الأطفال.

قصيدة النهوض الدائم

تعود ينهض ربا جديدا
ورجلاه في الأرض ثورة عشق
وعيناه نحو وصوب الشروق
وهامته في العلا . . . لا تدوم سواه
كأن الدراررري وكل الأعالي
لرصد هواه
تعود ينهض . . . ينشر ماضيه، يبني
يشكل فجرا جديدا

***

وصاحت بكل قواها
وهول الوقيعة يصدم حسن الوليد
أناديك . . . ويلاه . . . تطعن في الظهر
في الصدر
تكبو وأنت الأمير
النبي الأكيد.

***

المراجع والمصادر:

1. تراجم وآثار في الأدب العربي في إسرائيل، شموئيل موريه، محمود عباسي، ط3، دار الشروق، شفا عمرو، 1987م
2. التجديد والرومانسية في شعر ابراهيم ناجي، فوزي عبد الله، مقدمة جورج قنازع، إصدار المواكب، الناصرة، 1988م.
3. المواكب، العددان 9، 10، 1986
4. المواكب العدد 11، 12، 1987م.
5. المواكب العدد 3، 4، 1989م
6. الشروق، العدد الأول، آذار 1988م.

إحسان النمر
1905 – 1985م

اعداد: أ. نعيمة زياد

إحسان النمر
١٩٠٥ – ١٩٨٥م

المقدمة

حين يكون الحديث عن الفكر يبدأ الحيز المشغول بالفراغ ينكمش ما بين الساحات البيضاء ومداد التعبير... تسطر الأحداث بصورة تقليدية للكتابة ومضمون مشوه استثنائي ... من اللاشيء المناسب إلى مناسبة اللاشيء، وذلك في ميزان التطور التاريخي في تدوين الأحداث الزمانية المؤثرة بالمؤلف.

حين يرتقي المؤلف (المفكر) إلى مؤرخ (موضوعي) يعلمن التاريخ إلى وقائع تحليلية خاضعة للنقد ... لينشأ ناقدا (دفاعيا) يرتقي إلى أديب (مبدع) فيه من السمات ما يجعل منه مادة ثرية للبحث العلمي والدراسات المنهجية.

إحسان النمر بدأ مؤرخا ينهل من معين التاريخ القومي مادة خصبة لمؤلفاته فكان له منها كثير، ومن ذلك تاريخ جبل نابلس والبلقاء بأجزائه الأربعة وقضية فلسطين في دورها البلدي وغيرها كثير في مختلف مجالات التأليف مما سيأتي ذكره فيما بعد.

بدأ إحسان ذلك في فترة اعتزاله إبان الحرب الفلسطينية وغلبة الصهاينة واستيلائهم على فلسطين عام 1967 فانقطع إحسان في تلك الايام للكتابة مستمدا مادة كتبه من سجلات البلديات وغيرها من المصادر الدقيقة.

وأنتج إحسان في هذه الفترة ما يقرب من الخمسين مؤلفا طبع منها في حياته أربعة وثلاثون مؤلفا. وأوصى إحسان في آخر حياته بطباعة ما بقي، وأن لا يخرج أي كتاب من مكتبته الخاصة التي تحتوي ما يربو على ألف كتاب، وأن ما في المكتبة ملك خاص لابنته الوحيدة خديجة.

لذلك فقد رأينا أن نغوص في بحر هذه المكتبة، لنجتني منها ما فيها، من أسرار حياته ومؤلفاته، وما نرى من أعماله على الصعيد السياسي على مستوى فلسطين خاصة والعالم العربي عامة وآثاره الدينية التي توضح غيرته على الإسلام وأهله.

والله ولي التوفيق

ال النمر عشيرة تنتمي إلى أسد ربيعة العدنانية، انضمت إلى تغلب في حروبها مع اليمانيين، وانطوت تحت لوائها بعد ذلك، تقيم حيث تقيم، وتظعن حيث تظعن، ولما دخلت بكر إلى الشمال، ولحقتها تغلب، نزلت النمر بين القبيلتين، وامتدت من الموصل إلى بلاد الأناضول، وفي الفتح الإسلامي استنجد المثنى بن حارثة قائد جيش المسلمين بأنس بن هلال النمري فأنجده بجموع كثيرة من تغلب والنمر وإياد، فاشتركوا في واقعه البويب وتكريت الموصل، واشترك فريق منهم بقيادة صهيب النمري المقلب بالرومي في فتح الشام، وقد مات هناك ودفن في الميدان الأوسط بدمشق.

ولما أسس الحمدانيون التغلبيون دولتهم في الموصل وحلب اشتركت معهم النمر إلى أن دالت هذه الدولة، وقد نزحت في الحروب الصليبية إلى الجنوب، فنزل أمراؤها في بادية مهاين وامتد باقيها حتى حوران.

بعد خروج أمراء النمر من مهاين صاروا يعرفون بالمهاينة، ولا يزال فريق منهم يعرفون بهذا الاسم، وفريق عرف بالصواف لتجارتهم بالصوف، وعرف فريق بالدفتري لأن جدهم كان دفتر دار دمشق، وهذا قد انقرض، وفريق عرفوا بابن هانئ، نسبة لجدهم هاني بك، وفريق عرفوا بالإمامية لحراستهم طريق الحج، وقد تفرع هؤلاء لعدة فروع، وهم الأغوات في الكرك الذين نسبوا للقب آبائهم، والبشابشة الذين نسبوا للقب أبيهم عبد الله باشا. وقد تولوا حراسة قلعة حسبان. وفريق عرفوا بالقضاة نسبة إلى جدهم القاضي (الشيخ عمر)، والذين في نابلس عرفوا باليوسفيين نسبة لجدهم الأول الأمير يوسف، وبالجربجية، كما عرفوا بدمشق، وقد لقبوا بالأغوات أيضا، وقد عادوا للانتساب إلى نسب القبيلة القديم، الا أنهم اضطربوا في القابهم وأنسابهم، فكان بعضهم ينسب للجوربجي، وآخر لليوسفي، وثالث للنمر، مع الاحتفاظ بلقب آغا، وقد لقب بعضهم بك، ثم اقتصروا على لقب آغا ونسب النمر.

نجيب آغا عبد الفتاح آغا النمر

كان نجيب آغا قد تولى عدة وظائف، ثم استقال ليساعد أخاه حسين آغا في رئاسة العائلة بعد موت رئيسها عبد القادر: إلا أنهما تعرضا لخسارة في ضمان أعشار القرى حسب عادة أمراء ذلك العهد. فتركا العمل بذلك، وعكفا على مجالسة العلماء لا سيما آل صوفان، وقد صادقا أكثر وجهاء البلاد الذين منهم بشير بك طوقان وشيوخ بني صعب. وزاد نجيب آغا على ذلك أنه دخل حلقة عالم نابلس الشيخ نمر الداري، التي كانت تجمع أذكياء نابلس والقضاء.

وكان نجيب آغا يتلو على زوجته الست خديجة بنت المرحوم عبد القادر وأولاده ما يسمعه من أولئك العلماء. وكان رحمه الله ذكيا نبيلا دمثا متواضعا، شبهه النصارى بالحواريين. كان يزور الجيران وله أصدقاء في جميع أنحاء البلد، وقد ظلوا يذكرونه حتى كبر إحسان وهم يبكون. وبموته أوقفوا أفراحهم زمنا، وقد كان مأتمه آخر مأتم كبير للعائلة، وقد ظلت زوجته أم أحمد وولدها أحمد يسددون بعد موته التعازي أمدا، إذ بلغت السبعين بين حلة وصدر كنافة. وقد سمى «إحسان» باسم ابن صديقه بشير بك طوقان الذي كان يأتي إلى الديوان بعد موته، ويطلب «إحسان» وأخاه ويجلسهم عن يمينه ويساره، ويشم رأسيهما، ويبكي، ويقول: الرائحة الطيبة.

إحسان بن نجيب آغا عبد الفتاح آغا النمر

ولد إحسان سنة (1322) هجري الموافق لسنة (1905) ميلادي، في الدائرة الوسطى من دار النمر الكبيرة، حيث كانوا يعتقدون أن فيها البركة، لأن الذي أسسها الولي الصالح الشيخ عبد القادر العلمي، وكانت النسوة يقلن إنهن كن يشممن رائحة البخور، ويسمعن الذكر والحضرة في بعض ليالي الاثنين، وفيها نشأ إحسان حتى البلوغ. ولما ولد كانت أمه عليلة، فلم يدر ثدياها، فعاش إحسان أربعين يوماً على عصير الفواكه والنباتات، ثم عاش دور الرضاعة على المرضعات اللواتي بلغن نحو الأربعين مرضعة مما أتعب والده وعمه وأخاه وأخواته.

ولما بلغ عمره سنة أتوا به إلى عمه بدوي آغا النمر، وكان فارسا صاحب فراسة ففتح فمه وقال: «شوفوا هاللسان الرفيع هذا كله فصاحة».

نشأ إحسان، وكل أدوار حياته عقبات، كما سيأتي، وعمل حتى تغلب عليها. ومنها جميعا استفاد المناعة والخبرة على نحو لم يتوفر لأحد من جيله. ولم يكن ما لقيه في طفولته ليضعفه، بل العكس، إذ نشأ قوي العصب رياضي الجسم. وقد أولع بتسلق الجبال والركض ولعب الكرة. وقد تمرن على ركوب الخيل والسباحة واطلاق النار.

وكان حسين آغا النمر فارس الجيل الأشم، شقيق نجيب آغا النمر، وزوج خالة إحسان الست زينب، فاجتمع ببكر طاهر آغا وهو دون اليفاع. وكان ولده مصطفى آغا قد مرض فأولع العم به، لا يحب مفارقته ليلا ولا نهارا، وقد مات والده في طفولته، فازداد به ولعا، وعني به وبتربيته تربية الفتوة. وقد اعتزل العشيرة بعد أخيه نجيب، فلا يجلس في الديوان الا إذا زاره أحد الكبراء لأنه لم يكن راضيا عن أبناء إخوته.

حادثة

مما حصل لعمه بسببه أنه لما ضربه معلم اللغة الفرنسية أمين بك المصري نزل من بيته ليضرب المعلم، فأسرع، فزلق، فكسرت يده رحمه الله تعالى، فعانى منها أمدا. وكان ولده مصطفى قد سيق جنديا إلى اليمن، فتلوع عليه، وصار يأخذ نشرات دعاية الحرب من مدير البنك العثماني، ويأتي بها إلى إحسان يقرأها له ويتسمع أخبار الحرب، راجيا أن تنتهي، ويأتي ابنه مصطفى، الا أنه مات في منتصف الحرب سنة 1334هـ فكان أسف إحسان عليه عظيما لأنه لم يشعره باليتم. وقد كان لتوجيهه وتأديبه فضل كبير لأنه معدود آخر الفرسان من أبطال هذه العائلة المغاوير، الذين سجلوا تلك الأمجاد في تاريخ جبل نابلس والبلقاء.

في هذا العرين نشأ إحسان، وكان موضوع عناية الأسرتين: أسرة والده، وأسرة عمه حسين آغا، فكان يبدو مثال النظافة والدماثة والوعي. لقد أصبح موضع اعجاب أقرانه من العشيرة والحي، فكان رئيسهم في اللعب، وهو الذي يدير اللعبة، وفوق هذا، فقد كان يثقفهم، ويضرب لهم الأمثال. وكانوا يطيعون أوامره ويهملون أوامر أهلهم.

وكعادة الأولاد كانوا يشكلون حكومة، فلما شكلوا حكومة انتخبوا «إحسان» سلطانا، وعين فؤاد آغا النمر وزيرا (أبا النمر)، وعين نايف آغا النمر قائدا، وكان عزة آغا النمر يرتدي بزة ماريشال، ويمشي وراء السلطان بخطوات كالياوران، وعين سعد الدين آغا ورؤوف آغا ضابطين. وقد صنع بيرقا (علما عثمانيا) بهلال ونجمة خماسية على قماش أحمر كان يرفعه على نبوت طويل، وينزل إلى الساحة باب الدار الكبيرة، فيجمع تحت العلم عددا من أبناء المحلة، فيشكل طابورا، ويقومون بالمناورة العسكرية.

صفات إحسان البارزة

الصدق وكره الكذب: نشأ إحسان وأبرز صفاته الصدق، وكان يثور على من يكذب عليه.

التواضع وكره المتكبرين: فلم يكن يترفع على الناس، وهذه صفة العائلة كلها لا سيما أسرته، فقد كان والدهم يوصيهم بالتواضع.

وكان من صفاته الصراحة، فلم يكن يبالي بأحد، فيتكلم كما يعرف، ويشهد بما شاهد، وكم ناله من هذا السلوك نكد، فقد نشأ قوي النفس، لا يهاب شيئا، ولا يتراجع إذا أقدم.

وكان يكره الميزة والمتميزين: ومن طريف ما حصل معه: أن امرأة عمه أمين آغا أم محمود آغا النمر كانت تحب الميزة، فكانوا يجلسون على الأرض، وهي تجلس على كرسي تجاه الجناكي لتشعل (الصوقارة) من نار منقل النقرزان ولتوجه الجناكي فاغتاظ منها إحسان.

ولما انحنت تشعل السيجارة سحب الكرسي، فوقعت على ظهرها، وضحك الكل واشاروا إليه، فلحقته لتضربه، وكادت، لولا أن لحقتها واعترضتها شقيقته فريدة، واوقفتها وكانت تخشاها.

التسديد في كل شيء: كان لا يضيع لأحد صنيعا، فقد سدد فنجان قهوة للسيد توفيق القدومي دفعه عنه سنة 1921م على مقهى باب العامود في القدس، فرد له مثله في سنة 1928م على مقهى المحكمة بنابلس.

تعليمه:

نشأ إحسان في أسرة محافظة اشتهرت بالتدين والأمانة، وكان في العائلة ابنتان، وهما الستات: شمسة ونبيهة، وهما أكبر منه بسنة أو أكثر، فادخلن الكتاب فأصر أن يذهب إلى الكتاب فذهب معهن، ثم أدخل المدرسة الابتدائية دون السن القانونية.

وأرسلته أمه وشقيقته إلى مكتب الخان في سوق السلطان، (الخانق العتيق)، مع الطالبين شفيق العكة المصري، ومحمود العكة المصري. وكانوا يجلسون على الحصير فيخلعون أحذيتهم ويضعونها في كيس يحفظونها بذلك.

وفي السنة الثانية ختم نصف القرآن الكريم، وحصل على شهادة أعلى، أي أنه كان ناجحا، حتى أن معلمه الشيخ فؤاد الحنبلي كان يرفع له المقصرين علقه ويصر عليه يضربهم إهانة لهم.

هكذا كان في القسم الابتدائي بنابلس، وفي بداية المكتب الرشدي، وقد نال عدة كتب كمكافآت منها سيرة الفاتح، وطرزنوين قراءة، وكتب أخرى، وكانت علاماته في التاريخ والجغرافيا والعربي والحساب لا تقل عن التسعين.

وفي السنة الثالثة ختموا القرآن، ونظرا لموت المرحوم ظريف آغا النمر في تلك السنة، لم يحتفلوا به كالعادة، أي أنهم لم يزينوا له الكرسي، فيضعفوا المصحف عليه ويزفوه إلى المدرسة ومنها.

والتحق بعد ذلك بمدرسة النجاح. وكان لبغضه الإنكليز أثره في التأخر في الدراسة، وكان اصطدامه – مع رفقاء الصف، لدعوتهم لمثله العليا ولحضهم على الصلاة _ بذكي النقاش معلم التاريخ ..... سببا في تحطيم علاماته وتقصيره، فكانت أيامه في هذه المدرسة أسوأ أيام حياته، على أنه ييأس لثقته بنفسه، وأن تقصيره كان مكيدة، فدخل الكلية الوطنية في الشويفات اللبنانية.

وبمراجعة بسيطة لدروسها كان بين الثاني والثالث والرابع في الصف، فادهش اساتذتها، وقد تحققوا من مغدوريته في مدرسة النجاح، والذي أدهشهم أكثر سلوكه الممتاز قياسا مع غيره من الطلاب المسلمين، إذ كان يواظب على الصلاة وقراءة القرآن والصوم. وكان يقوم بالإصلاح بين الطلاب، وقد حصل على شهادتنا الاستعدادية، وحصل أيضا على وثيقتها لدخول الصف العلمي في الجامعة الأمريكية بدون فحص.

وحصل فوق ذلك على شهادة خاصة من رئيسها القس طانيوس سعد في جوابه على كتاب الشكر الذي أرسله أخوه الحاج أحمد آغا النمر، وإليك ما جاء فيه:-

«إني بيد التكريم أخذت كتابكم الكريم، من غير سابق معرفته كما تقولون، ولكني عرفتكم، وربما تعجبون من كلامي هذا، فلا تتعجبوا لأني عرفتكم بشقيقكم العزيز إحسان، لأنه يوجد والدون وأشقاء كثيرون لا أعرفهم شخصيا، ولكن أعرفهم من أولادهم وأخوانهم في المدرسة، فما رأيته، من حسن الصفات والأخلاق والمبادئ الطيبة والسريرة بالعزيزة إحسان قد دلني على حسن أرومته وعائلته الكريمة، فمحظوظ هو البيت ومباركة هي العائلة التي أبناؤها كشقيقكم الذي صرف السنة الدراسية بكاملها، ولم يظهر شيئا يكدر، بل العكس فإنه كان أكبر المساعدين لعمدة المدرسة والمعلمين، وحقا لو كان كل التلاميذ كالعزيز إحسان فما أحسن تعليم الشبان مع الصعوبة الموجودة بهذا الزمان الذي هو عصر الحرية والاستقلال. ومثل هذا كتب له نائب الرئيس وغيره من المعلمين في الكلية المذكورة.

واستمرت العلاقات حتى أن حضرة الرئيس طانيوس سعد، وولده الأستاذ شارل سعد، زارا نابلس خصوصا، وقد اهتم بهما إحسان، وفي سنة 1964 زار بيروت وزار مكتبهم فوجد أصغرهم الأستاذ فكتور سعد، فورده الكتاب الاتي:-

لحضرة الاخ إحسن النمر المحترم – نابلس – الأردن

تحية واحترام،

كان للقائنا معكم منذ مدة وجيزة أطيب الأثر في نفوسنا بعد المدة الطويلة التي لم يشاهد خلالها بعضنا بعضا، ولكن لسوء الحظ لم نشاهدكم كثيرا خلال وجودكم هنا بسبب كثرة اشغالكم – إنما نأمل في المستقبل أن تعلمونا عن موعد مجيئكم إلى لبنان لكي نقوم بواجباتنا نحوكم.

المخلص فكتور سعد

ولم تساعده أحواله المالية على دخول الجامعة الأمريكية. فتحول للدراسة على نفسه، ولاجتياز فحص المتركوليشن لدى معارف فلسطين، وصادف ذلك الإضراب الكبير، فأضرب عن تأدية الفحص، ولو أداه لنجح، إذ أن جميع الذين دخلوا الفحص نجحوا لأنهم لم يضربوا.

على أن «إحسان» لم ييأس، بل خط لنفسه منهجا للتخرج على نفسه، فدرس الموسوعات والكتب الكثيرة، لا سيما في التاريخ كالكامل لابن الاثير، واليعقوبي وتاريخ ابن خلدون ومقدمته وتاريخ ابن كثير، والكتب التي وصلته هدية من السعودية، وهي مجموعة كتب لابن تيمية وابن قيم الجوزية والنجديين: محمد عبد الوهاب وسليمان بن سمحان النجدي، وكتاب المصلحين المصريين: السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده، والكواكبي والغلاييني، والمنفلوطي، كما درس كتاب الفقه الحنبلي المعروف بالمغني، والشرح الكبير لابن قدامة، وتهذيب الأخلاق لابن مسكويه والإحياء للغزالي، وفقه اللغة للثعالبي والآغاني للأصفهاني. وكان فوق هذا يقرأ القرآن الكريم مع تفسيري ابن كثير والبغوي يوميا، ثم صحيح البخاري والترمذي وصحيح مسلم وسنن أبي داود، مما ساعده على إنتاج مؤلفاته القيمة.

دخل إحسان المكتب الرشدي، وكان مما استفاده في هذه المدرسة الخطوة الأولى في التمرن على الخطابة، إذ اختير لالقاء خطاب أمام والي بيروت سامي بكر باشا، وقد ربت على كتفه وقال له: «كوجك كوربوز» أي الكشاف صغير، لأنه كان يرتدي لباس كشاف، وكان المدير المرحوم علاء الدين حلاوة قد عهد إلى السيد إسماعيل طيطة من الصفوف الأعدادية بتحفيظه وتدريبه.

وقد كان صوته ناعما غنائيا، وطوره، وصار يحفظ الموضوع غيبا، ويذهب إلى سهل عسكر سرا في نابلس، وكان خاليا، فيصعد على حجر فيخطب في الهواء. فتقدم وأعجب به أساتذة مدرسة النجاح، فقال له: الأستاذ محمد عزة دروزة والشيخ فهمي هاشم: «ستكون خطيب فلسطين». فقال لهما: لا أقبل، فإن كانت فلسطين كبيرة في نظركم، فأنا لا أكاد أراها على الخريطة، فقالا: «إذا خطيب العرب» فقال: «الآن أقبل» وإليك الخطبة التي صفقت لها المدرسة جميعا، فدفعت مديرها وأستاذ اللغة العربية بها لأن يقولا له ما تقدم.

بسم الله الرحمن الرحيم: روح الأمة هي مجموعة عادات مجتمع الأمة، وطبائعهم وقوانينهم، التي يبنون عليها غاياتهم القومية والاجتماعية، لحفظ كيان أمتهم، وإعلاء شأنها بين الأمم. ولا يعتبر أي جيل من الناس أمة ما لم يكن منه روح تربط بعض أفراده ببعض وهذه الروح من شأنها أن تولد في الأمة قوة تتناسب معها عظمة وضعفا، وهي العامل الوحيد الذي يحفظ الأمم أبد الدهر، كلما ذبلت أينعت فأثمرت.

وهذه الروح إما قوية حية، عرفها وتشبع بها الخاص والعام من الأمة، فحافظوا عليها بالأيدي والسيوف، وهي كروح أمتنا العربية، منذ ظهور النبي صلى الله عليه وسلم إلى أيام المعتصم العباسي. تلك الروح التي ولدت في العرب قوة عظيمة دكت أيوان كسرى وعرش قيصر، وسيطرت على العالم بأسره، ولم يكن إذ ذاك عند العرب مثلما كان عند الفرس والروم من العدد والعدة. كان العرب مشبعين بها حريصين عليها. قالت أسيرتهم عند الروم «وامعتصماه»! فاهتز لها عرش الخليفة وقلوب والرعية، فأجابوها لبيك لبيك أخت العرب. فأمدوها بجيش عرمرم دك عواصمهم إذ ذاك.

وإما معتدلة بين الضعف والقوة، حصل بين أفرادها بعض التزييف والتفرقة، فتساوت مع القوى الأخرى، وهذه كروح أمتنا العربية منذ عهد المتوكل حتى نهاية الأسرة العباسية، وقد تدخلت في أمورها الأجناس الأخرى من الترك والفرس.

وأما ضعيفة متخاذلة متفرقة متناحرة انقسمت إلى عصابات وفرق، وهي كروح الأمة العربية في الجاهلية، وفي عهد تغلب الشعوب، فواجب كل غيور العمل لإرجاعها إلى قوتها وعظمتها والله ولي التوفيق.
وفي الشويفات أيضا وجهه الأستاذ فؤاد سعد، وأطلعه على الفرق بين الخطابة والمحاضرة وإخراج الصوت من القلب لا من الحلق. وقد ألقى خطاب الخريجين فكان له أثره البالغ.

وقد برع في الخطابة في الشويفات ارتجالا، وفي صيف سنة 1929م دعوه ليخطب في حفلة أقامها النادي العربي بنابلس لخريجي الكليات، فألقى كلمة كان لها وقعها، واستمر يخطب في المناسبات لا سيما في اضطرابات سنة 1936م.

بالرغم من أن بدء دراسته في المدرسة العثمانية والتدريس بالتركية العثمانية لا أن موهبته الانشائية كانت موضع إعجاب أساتذته، وقد ساعده عليها تفكيره وحبه للتاريخ والتحليل النفسي، مع دراسة ما حوت مكتبته من كتب الدين والأدب، والتاريخ. وقد اتصل بالصحف والمجلات يكتب المقالات الإصلاحية السلفية لا سيما في الصراط المستقيم في يافا، والكرمل في حيفا، وقد تجاوزها إلى صحف دمشق وبيروت، اضافة إلى مجلات فلسطين والأردن كما سيتبين، وكان أول مقال كبير وجهه إلى الوفد الفلسطيني الذاهب إلى لندن بعنوان (لا تطعموا أن تنالوا حقوقكم باللين والأمل بل بالرجولية والعمل) وقد جاء فيه أن لندن فيها أعداؤكم وقد صدق العربي حيث يقول:

يا طالب النصر من أعدائك مت كمدا
كطالب الشهد من أنياب ثعبان

ونظر لدراساته العميقة فقد كانت مقالاته ناضجة أعجب بها القراء، ولما قام بجولته في فلسطين، لا سيما في الجنوب، صحبة المرحوم الشيخ عبدالله القلقيلي، صاحب الصراط المستقيم، لم يصدقوا أنه هو صاحب تلك المقالات، إذ كان في شرخ شبابه، وكانوا يظنون أنه ابن خمسين سنة.

عودته إلى اللباس البلدي:

فطن إحسان للباس البلدي وكان يرتديه كل يوم جمعة فخيطت له بضعة قنابيز، وساكو بلدي، وكان من عادته أن يعتمر الحطة والعقال منذ ثورة سنة 1936م. ولم يرجع إلى الطربوش رغم الضغط عليه.

وفاته:

توفي إحسان في 1985/5/21م في مدينة نابلس، ودفن في مقبرة آل النمر بنابلس وترك من بعده زوجته، وابنة واحدة هي السيدة خديجة.

الفصل الثاني

شعره:

قال إحسان الشعر في سن الحادية عشرة في مكتب الرشدي، في زمن لم يكن فيه من يقدر الشعر. ولم ينشر ولم يلق تشجيعا، فقد أطلع عليه معلم العربية في الثانوية الصلاحية الشيخ أحمد البسطامي فقال له متهكما « قسته بالخيط!» ولكنه لم ييأس، بل ظل يقول، وقد أنشده قصيدة في الجمال، فأرسلها إلى الأستاذ هارون عبود أستاذ العربية في كلية عاليه في لبنان، فقال لحاملها: «إن عنده قابلية فليداوم». وقال قصيدة رائعة عن السكر المعنوي، وهي معارضة لقصيدة «سلوا قلبي» إلا أن شوقي وجه القارئ للزهد، وإحسان وجهه للمعالي، وهذه أقرب لروح العصر، قال فيها صاحب كتاب: «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» الذي طبع حديثا في عمان «نظم إحسان مقطوعة شعرية صور فيها معنى لم يتناوله سواه من الشعراء، هو السكر المعنوي، وفي يقيني أنه لون من الشعر الصوفي، وإليك القصيدة:

أسائل هل صحا قلبي وثابا ... فكم أنسى بسكرته الصوابا
وقد جربت! ايقاظي وصحوي ... فهام القلب لا يرجو إيابا
فيسكرني أنين الصب شوقا ... وأذهل ما شكى حبا وهابا

***

ويسحرني الجمال إذا تناهى ... وأنفرأن أتى شيئا معابا
جمال الروح يسكر كل صب ... جميل الروح يستهوي الصحابا
له فتن تزيد على المزايا ... فتسحرنا فلا نحرى جوابا
إذا ابتسموا كأن الشمس ضاءت ... وان نطقوا جلوا عني مصابا
ولا تبخس لحسن الصوت حقا ... إذا من الجميل لهم عتابا
على ألم تطوحه جراح ... فأحرقنا من الشكوى وذابا
وصيرنا بمجلسه سكارى ... ولم نشرب من الحان الشرابا
ومن يخبل على طرب وشوق ... فقد وفى إلى النفس الحسابا

***

وقد ظنوا بسكر الخمرلهوا ... تجرع للفتى سما مذابا
ولو ذاقوا لسكر الشوق طعما لصار الصاب في فمهم رضابا
ولست بشارب خمر الندامى ولست بذائق منها هبابا
ولكن نشوتي مثل تسامت ... الى العليا مفاخرنا حقابا
ولعت بهم فلم احفل بشيء ... يطير لذكره غيري اهابا
ومن ينشد ذرا العليا فاني وجدت طريقها ملأى صعابا
فلم أر مثل نشوتها بنفس ولو مزجوا بها شهدا وصابا
تراني صاحيا لا شيء أشكو وان حققت تعرفتي مصابا
فذا سكر العلا من غير شك ومن يختر على علم اصابا

قد لا نجد مثيلا لهذه القصيدة في كتب الأدب العربي، ومهما بلغ بها فقد جعلها خاتمة قوله الشعر، لأن الملكة العلمية غلبت عليه، وبها أخرج مشروعه الضخم من المؤلفات، وهي أثمن شيء في حياة المتعلم، وهي عمدة التفكير العميق الذي يسمى في لغتنا بالحكمة، وقد سبقها بالتفكير الجريء وسرعة في فهم المعضلات كما يظهر من مؤلفاته.

أسلوبه الخاص في الكتابة

كان أسلوبه في الكتابة ممتازا معروفا، وقد شهد له محرروا الصحف، فقال له الأستاذ صادق الشنطي محرر جريدة الدفاع يوما: إن أسلوبك فريد لا مثيل له اليوم لولا بعض الاستطراد. وقال الأستاذ علي منصور المصري، المحرر في جريدة فلسطين ثم الصراط: ان كتابك مادة ليس فيها زخرف قول. وقال الأستاذ القلقيلي، صاحب جريدة الصراط المستقيم: (إن مقالتك هي الوحيدة التي أرسلها إلى المطبعة رأسا).

ب_ الانقطاع والاعتزال التام لإخراج المؤلفات

كان في الشباب وفي الفراغ بين مواقف النضال والجهاد، يدون المؤلفات. فاجتمع لدى إحسان مدخر من المواد والمعلومات، ولم يكن يعرف اللهو وإضاعة الوقت باللعب، وكان يدون وينشر من وقت لآخر في الصحف والمجلات، وكان يعطي للتأليف والنشر فائض وقته، ولما لم يجد في الدعوة للإصلاح كبير نفع ترك الكتابة في الصحف، واقتصر على المجلات الإسلامية الكبرى. ولما وقع الاحتلال الإسرائيلي، وانقطع عن العالم العربي، حول جميع جهوده إلى التأليف، فأتم نحوا من خمسين مؤلفا. ومنها ما يقع في أربعة مجلدات وثلاثة واثنين. ولما تحسنت أحواله المالية شرع بطبعها. بدأ بطبع الجزء الأول من تاريخ جبل نابلس والبلقاء سنة 1938. طبعه في مطبعة ابن زيدون في دمشق، وكانت البلاد مضطربة، فلم يصحح بنفسه، فوجدت فيه أغلاط طباعية كثيرة. وعندما وقعت الحرب العالمية الثانية، ثم المحلية توقف طول تلك الفترة عن التأليف. وقد أعد عشرة مؤلفات خرج بها إلى سوريا ولبنان بحثا عن ناشرين فلم يجد. فاتفق مع الأستاذ وجيه بيضون صاحب مطبعة ابن زيدون على طبع مؤلفه الخطير الذي نال الدرجة الأولى من الاستحسان، وهو (أمراضنا ومشاكلنا) وقد ناقش فيه آراء جميع من عالجوا المشاكل العربية فاورد فيه ثمانين رأيا مبتكرا.

وقد تزودت منه معارف خمس دول عربية وهي: الكويت والعراق وسوريا والسعودية ثم الأردن. وقد قيلت فيه أقوال كثيرة، منها ما نشرته مجلة الأديب التي كانت تصدر في بيروت. وهي من كبريات المجلات. والكتاب كما قال الأستاذ وجيه بيضون في المقدمة صورة جلية لأحوالنا وخطوبنا التي لا ترى فيها إلا الصواب وما هي إلا عكس الصواب، هو دعوة صارخة إلى التجديد في البناء الخلقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، أضف إلى ذلك أنه مجمع لفنون متنوعة في كثير من العلوم، وبخاصة التاريخ العربي.

ثم طبع كتاب بطولات الجزائريين الخالدة عام 1959، وذلك عندما فتح مكتب للجزائر في عمان. اتصل به، وألف كتابه هذا، وقد دفع لهم مئة دينار من ريعه، ووزع قسما كبيرا للدعاية. وقد كتب له رئيس البعثة الجزائرية كتاب الشكر التالي:-

عمان في 1963/4/17

أشهد شهادة خالصة للحق والتاريخ أن الأستاذ إحسان النمر من نابلس _ المملكة الأردنية الهاشمية _ من: الرجال الذين عملوا بجميع ما يملكون من قوة مادية وأدبية على إنجاح مهمتي لصالح القضية الجزائرية أثناء حربها التحريرية.

إن الأستاذ إحسان قد عمل بلسانه وقلمه في سبيل القضية، ومن ذلك تأليف كتب (بطولات الجزائريين الخالدة) وإهداء شطر من ريعه للمجاهدين الجزائريين على ضعف إمكاناته، وبذلك استحق منا هذا الاعتراف مع الشكر والتقدير.

رئيس البعثة الدبلوماسية الجزائرية
عبد الرحمن العقون

ثم ألف كتابا في تاريخ الحمدانيين أوضح فيه ما كانوا عليه من بطولة وجلاد. ثم توقف، وتحول إلى المحاكم لحل المشاكل المتعلقة بأملاك العائلة التي أخذت كل ماله ووقته إلى أن انتهت، فخرج بنصيب الأسد، فقد توفق إلى تصفية أملاك جده والوقف. وأصبح عنده مورد ضخم يستطيع به طبع جميع مؤلفاته، وكان قد مضى على طبع الجزء الأول من تاريخ جبل نابلس والبلقاء ثلاث وعشرون سنة. فقام إحسان بطبع الجزء الثاني منه ثم الثالث فالرابع، وهذا الكتاب الذي خشي أن يحصل عليه شغب كبير، إلا أنه لم يحصل، لأنه جرد الحوادث من الدعايات، فنفذ إلى الحقائق، فرفعه إلى مصاف المؤرخين العالميين لأنه، كما قال أساتذة الجامعات: ملأ فراغا في تاريخ الشرق الأوسط، ولولاه لظل شاعرا إلى الأبد. وقد قرر كمرجع للشرق الأوسط.

وأصبح إحسان _ بحق _ أحد علماء تاريخ الشرق الأوسط، كما يظهر من دعوته للمؤتمر التاريخي في القدس، في حزيران سنة 1969 وقد نشر الأستاذ اسطفان مقالا في الصحف عن هذه الكتب جاء فيه:-

لقد كتبت بأسلوب علمي، ولم يقتصر هذا المؤلف في أسانيد كتابه على ما اعتاد المؤرخون الأوروبيون الاعتماد عليه، بل اعتمد على مصدر جديد انفرد به، وهو الوثائق الخاصة بذلك العهد، والمسجلة في سجلات المحاكم الشرعية في دمشق ونابلس والقدس وغيرها، ولقد حوى الكتاب معلومات من مصادر كثيرة، وفيها وثائق رسمية قيمة لدى عائلته وغيرها، مما جعل الكتاب على جانب عظيم من الفائدة. إن هذا الكتاب بمجموعه منجم حوادث وأخبار، يمكن أن يكون مصدرا موثقا للحوادث الشرقية. فهو كتاب عالمي أكثر منه محلي.

وقد حاول الأستاذ علي نصوح الطاهر كتابة تقديم واف للجزأين الأول والثاني، إلا أن مشاغله الكثيرة حالت دون ذلك، فكتب رسالة موجزة اقتطف منها مايلي:-

كثيرون من مشاهير الرجال خرجوا على العالم بتاريخ أسرهم وقبائلهم، ومن هؤلاء الكتب الشاعر الأديب ابن العديم، وهو من عائلة أبي جرادة في حلب، ومنهم الأمير حيدر الشهابي، وغيرهما. ومنهم الأستاذ إحسان النمر. إن في الكتابين الأول والثاني من تاريخ جبل نابلس والبلقاء أخبارا طريفة ووثائق تاريخية نادرة، تعتبر ذات فائدة جلية لكل باحث منقب في تاريخ فلسطين وشرق الأردن، وتعتبر هذه الوثائق فريدة لم يجدها نفر قبله، ويعتبر إخراجها في كتاب مطبوع تسجيلا ذا قيمة علمية هائلة: لقد أقدم المؤلف على تسجيل كثير من عادات البلاد السائدة وأقوال شعرائها، مما كان يسرد في مجتمعنا هذا

مع ذكر تقاليد البلاد قبل أربعين عاما، مما له قيمة عالية بالنسبة للجيل الحاضر.

وجاء في رسالة الأستاذ عارف العارف «وأرجو أن لا تقنط اذا أنت سمعت نقدا من بعض الناس أو لاحظت فتورا في الرأي العام، تلك هي حال امتنا ولكن العاقل لا ييأس» وجاء في رسالة الأستاذ أحمد سامح الخالدي «أنه مجهود عظيم تشكرون عليه، لأن في تدوين هذه الحقائق فائدة وعبرة لابناء وطننا».

وكتب له الأستاذ محمود العابدي «آمل من العائلة الكريمة أن يقدروا لك هذا العمل خلد ذكرها على صفحات الابد، فلا تستطيع أن تطمس ذكرها العابق مهما حاول الاغيار وأرجو ان يقدر النابلسيون مجهودك العلمي الناجح في تسطير صفحة من نور لبلدهم، وأرجو أن يقدر أبناء هذا الجيل هذا المجد الذي كان مبعثرا فجمعته، والذي كان مشكوكا فيه فأثبته بالبرهان القاطع والدليل الساطع، جزاك الله خيرا»

ولما كان في الكلية الوطنية بالشويفات، وكان أكثر من فيها من الطلاب المسيحيين وكذا إدارتها، كان يسمع منهم أن الإسلام ليس فيه دعوة إلى المحبة، وأنه قاس على المحبين، فألف كتابا أسماه (زهر الحب وثماره) فيه جميع ما ورد عن الحب من شفاعات ومواقف في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين، ومن بعدهم، ثم مواقف العشاق في الجاهلية والإسلام. وقد فصل فيه وبين. فبلغ ما يزيد على (250) صفحة قسمها إلى اثني عشر بابا، شرحت جميع المواقف مما لم يسبق في هذا الباب.

ولم يكد يطبعه حتى قام بطبع السيرة النبوية بعنوان (شخصية المصطفى وثمار الإسلام) قام بتأليفه بعد أن درس السير السابقة، ووجد أن السير الأولى كانت مجرد تدوين ليس فيها تفسير لشيء من المواقف التي تبدو غامضة، ووجد أن السير الأخيرة إنما هي ردود علي «المبشرين»، فقام بكتابة السيرة بأسلوب علمي.

وقد أنصف قريشا وشرح موقفهم، وكذا شرح ثمار الإسلام وفضله على العرب فشعوب الشرق وأمم الغرب الجاحدة. ونظرا لمرضه أثناء طبعه فقد ظهرت فيه أخطاء اضطر إلى طبعها منفصلة.

وكان قام بسياحة من السويس إلى العقبة عبر سيناء، وقد قطع في الذهاب والاياب أضلاع مثلث صحراء سيناء الثلاثة مشيا على الأقدام والإبل، وأقام في العقبة أربعين يوما ودرس أوراق أخيه وكتب الأخرى، فكتب تاريخ السويس والعقبة وسيناء وإدارة العقبة وأحوال تلك الحكومة ومعاملة الملك حسين الأول لأخيه، فجاء الكتاب نادرا.

ولما كانت رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي من دمشق إلى الخليل ما زالت مخطوطة آنذاك، ولما كانت من مصادر تاريخ جبل نابلس والبلقاء وقد خشي أن تفقد، رأى أن يطبعها بعنوان (المختار من كتاب الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية) بعد أن أسقط منها ما لا يستفيد منه الجيل الحاضر، وقد ذيلها بشروح قيمة، وزينها بصور المواقع التي مر منها الشيخ النابلسي. وقد طبع معها كراسا يتعلق بهجوم ظاهر العمر على نابلس.

ولما حج بيت الله الحرام والمسجد النبوي لقي مشقات خطره، فقام بعد رجوعه بتأليف كتاب عن الحج، وقد زوده بالمقترحات والوصايا، وشرح ما لم يكن يشرح، لا سيما موضوع (لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)، مستندا إلى تفسيري ابن كثير والبغوي، خاليا من الإبهام والسير على العمياء، وقد زينه بصور الأماكن والملوك والقواعد الذين قاموا بإعمار تلك الأماكن المطهرة.

وكان قرأ كتابا لكاتب مصري منافق ينسب فيه الفتوة للعرب والفروسية للإفرنج مع أن الاثنين للعرب بشهادة المنصفين من المؤرخين كالدكتور غستاف لوبون، وقد ألف إحسان كتابا فيه جميع مواقف الفتيان والفرسان العرب، وقد زينه بصور السلاح والخيل وأوصاف وأسماء الخيل الأصايل، وسماه (الفتوة والفروسية).

وحيث درج العرب في الأدوار الأخيرة على إرسال فلذة أكبادهم إلى سائر جامعات العالم الشرقية والغربية، فقد عادوا يحملون ثقافات تلك الجامعات فأوجدوا بلبلة عظيمة في جميع الأقطار العربية. كما أنه لم يكن لهم منهاج عام يسيرون على ضوئه، فقد قام بكتابة كتابين ضخمين أحدهما (توجيه العربي الكامل) وهو منهج فلسفي مبتكر للمؤلف استوعب كثيرا من الأساليب الإسلامية، والثاني (تطور العربي الخالد) ليقوما منهاج عام شامل ولضخامتهما ولضعف التصريف فقد أخر طبعهما.

واذ أنه درس اللغة العثمانية، وتعمق بدراسة تاريخ تلك الدولة، وقد قلب المغرضون تاريخها، وشوهوه، وهي الدولة التي قضت سحابة ستة قرون تدافع عن الإسلام والشرق ضد الغرب الصليبي المتغطرس، فقد قام بتأليف كتاب بعنوان (نظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني) كتبه كنتيجة لتحقيقاته، وقد نعى على مؤرخي الترك عجزهم عن تقديم تاريخ هذه الدولة المجاهدة، وقد رد على جميع المفتريات والتهم التي نسبت لهذه الدولة المجاهدة. وقد قام بطبعه وعرضه، فوجم المطلعون عليه، إذ وجدوا أنهم على غير الحقيقة، وبعضهم لم يصدق. جاء فيه:

«وسيتغلب الحق على الباطل وتظهر حقيقة هذه الدولة للعيان، ونخذل لئام الغرب والمتغربين الذين إنما أرادوا تفكيك هذه الدولة الإسلامية التي ضربتهم في عقر دارهم ونفذت رغبة السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أخذ على عاتقه ذلك، ثم لم يطل عمره ولم يكن من ذريته وذرية أخيه الملك العادل ومماليكهما من يقوم بهذا العمل الخطير، إلى أن قامت به هذه الدول المجاهدة فاكتسحت شرق أوروبا حتى فيينا عاصمتها».

ونظرا لتربية القطط، فقد درسها دراسة عميقة حل فيها نقاطا لم يحلها العلامة الجاحظ ولا الغربيون، فألف كتابا بعنوان (الهر وأقاربه).

ونظرا لما كانت عليه شقيقته المرحومة الست فريدة من الصفات المتينة العالية ولوقوفها إلى جانبه، وإكمالا للبحث في التراث الشعبي (الفولكلور) فقد رأى أن يؤلف فيه رسالة أيضا. ونظرا لخلط السادات والصعاليك في كتب الاعلام، ككتاب الأستاذ خير الدين الزركلي، فقد رأى أن يؤلف كتابا بعنوان (علماؤنا) وآخر بعنوان (حكماؤنا) وثالث بعنوان (أعياننا) مقتصرا على البارزين الأتقياء.

ونظرا لما تحقق من إهمال التاريخ الديني الذي هو تاريخ محاربة الوثنية والإجهاز عليها وإنقاذ العالم من انحطاطها، ونظرا لما دس في أذهان المسلمين من الخرافات والأباطيل، فقد رأى وجوب تأليف كتاب بعنوان (التوحيد سبيل الترقي) وقد تم طبعه.

ولاستكبار المتعلمين لما ينقلونه من كتب الغربيين عن التربية وعلم النفس، ولوقوفه على ما في الإسلام من كنوز التربية وعلم النفس، رأى أن يكتب مؤلفا لتنوير الناشئين بعنوان (التربية وعلم النفس في الإسلام) وقد طبع أيضا.

ولقد تحقق أن البحث في العبادات والتشريع الإسلامي قد قام به الائمة المجتهدون وأتباعهم رضي الله عنهم. وقد رأى أن أفضل ما يكتب اليوم هو شرح المواعظ والحكم فألف كتابا أسماه (المواعظ والحكم القرآنية) وآخر باسم (المواعظ والحكم المحمدية).

ونظرا لدراسته سجلات بلدية نابلس فقد قام بتأليف كتاب عن ذلك. كما رأى أن لا تذهب المواضيع التي كان ينشرها في الصحف والمجلات سدى، فقرر طبعها، فجمعها تحت أربعة عناوين، وهي (بحوث إسلامية قيمة، بحوث علمية موجزة، بحوث تاريخية مختارة، بحوث اجتماعية صميمة) ووجد أن تاريخ الدولة العربية في الحجاز لم يكتب، وكان قد عرف كثيرا عنها، فألف (أمارة مكة أساس الدولة العربية). وكان من يفاعه يدون البحوث النافعة التي يطالعها في الكتب والمجلات، فرأى أن يفيد منها الأجيال، وهي كالأمالي فجمعها في مجلدين بعنوان (منتجات من سجلاتي). ورأى أن يدون أسفاره ومشاهداته على الاثار، فألف كتابا بعنوان (الأسفار والآثار بادئا بالاسفار على الدواب والعربات).

وهكذا بلغت مؤلفاته الخمسين مؤلفا جميعها لأهداف ومقاصد إصلاحية وثقافية تهدف إلى تجديد الثقافة الإسلامية والقومية.

ومما هو جدير بالذكر أنها كانت، لا سيما جبل نابلس والبلقاء، بمنتهى التجرد، بشهادة أصحاب التاريخ، كما يظهر من تعاونه مع الأستاذين نعيم بك طوقان وأحد آغا طوقان. وكان أحد شيوخ آل طوقان الأستاذ محمد العثمان طوقان بلغه أن إحسانا قد هاجمهم فأعطاه الكتاب كي يطالعه وبعد مطالعته كتب إليه بتاريخ 1974/11/9م: «سيدي الخال (1) الكريم أبا النجيب .....» الخ.

ثم كتب له محمد عثمان طوقان مرة يقول: «ولقد تأكدت بعد تصفح كتبكم من عدم صحة ما روي لي، وها أنا أعيد لكم الجزئين الأول والثاني من دوركم شاكرا ومحتفظا بالجزء الثالث الذي سيكون أثمن كتبي لما فيه من حقائق. أدامكم الله ذخرا للعروبة ولجبل نابلس خاصة، وتقبلوا احترام المخلص».
عثمان طوقان

وكان المرحوم بك عارف بك خليفة طوقان كلما لقي إحسان النمر يشكره على وصله فروع آل طوقان بالاصل، وبهذا حصل على شكر وامتنان وتعاون الفروع جميعها.

وكان يرى أن رجال السياسة العرب يدرسون كتابات الغربيين عن السياسة، فقام بتأليف كتاب بعنوان (السياسة العربية الإسلامية الرشيدة) وقد طبع.

ورأى أن يكتب مؤلفا بعنوان (الحب السامي) أي حب المبادئ العالية وأصحابها وقد تم طبعه. ورأى أن الكتاب يكتبون عن العمل والعمال نقلا مجردا عن كتب علماء الأجانب فألف كتابا بعنوان (روح العمل وصفات العاملين) وقد تم طبعه.

ووجد أيضا أن آداب السلوك عند الناشئين قد اختلفت إلى حد كبير، فألف كتابا بعنوان (فن السلوك).

وللعبرة والتاريخ ألف كتابا بعنوان (مآسي العروش) وآخر بعنوان (هدايا الملوك) ليري الزاعمون أنهم مهما بلغوا فلن يبلغوا مبلغ أولئك الملوك والأمراء.

ولغيرته على الأخلاق، ولما كان يرى من الانحطاط الخلقي والتخبط فقد جعل باكورة أعماله في التأليف كتابا أخلاقيا بعنوان (العلى والتعالي).

ومن دراسته العميقة للتاريخ الإسلامي تحقق أن التاريخ الإسلامي كتب كتابة حزبية سيئة ملؤها الدس والوقيعة والكذب، فألف كتابا بعنوان (عظماء الدولتين) وهو يقصد العباسيين والأمويين، وقد قدم له بمقدمة تاريخية عن صدر الإسلام حلل فيها جميع المشاكل بجرأة. ووجد إحسان أن أمارة الآغالبة في شمال إفريقيا لم تعط حقها، فألف عنها كتابا بعنوان (فتوح شمال إفريقيا ودولها)، وله مؤلف آخر بعنوان (صلات الديانتين وحروبهما).

كان إحسان قد أصيب ببعض الأمراض، فلم ينفع فيه الطب الحديث، فاستوصف بعض الوصفات العربية، فأفادته، فقام بجمع الوصفات المدونة مما كان في بيئته ومن تذكرة داود الانطاكي ومن التداوي بالأعشاب للدكتور أمين رويحة ومن مدونات الشيخ شريف سعد الدين وجعلها في كتاب ضم نصائح طبية.

الحياة السياسية

وطنيته وكفاحه:

صادف تخرج إحسان من كلية الشويفات في صيف سنة 1929م تفجر اضطرابات بين العرب واليهود في القدس والخليل وصفد قتل نحو ستمائة من اليهود. وقد قتل الجيش البريطاني من العرب مثل ذلك، وحكم على نحو مئة عربي بالأعدام والسجن المؤبد.

صارت عقيدة إحسان أن الإنكليز هم سبب البلاء، وهو الذين يساعدون الصهيونيين ويستغلونهم، ويظهر فريق منهم للعرب الصداقة، أي أنهم يضحكون على ذقونهم وكان يفهم هذا للشباب في نابلس حيثما يحل.

ونظرا لأن نابلس خالية من اليهود فكان يبث الدعاية إلى الاصطدام بالإنكليز في أي وقت أو فرصة، ولما كان لا بد كان المرحوم السيد واصف الصرى تحداه بعضهم قائلا: «هل أنت مستعد لأن تخرج بمظاهرة ضد الإنكليز إذ سنحت الفرصة» فقال: «نعم، إنني مستعد لذلك إذا اجتمع حولي خمسة عشر شابا من نابلس».

وهكذا استمر في الدعاية حتى أقنع أكثر الشباب المتحمسين للقضية. فكان لها أثرها هي ومواقف أخرى في تطوير القضية حتى وقعت الثورة، صادف ان اكتشفت مخازن سلاح في المستعمرات اليهودية فنادى الشباب العربي الفلسطيني إلى عقد مؤتمر في نابلس 31 تموز 1931 فقرروا القيام بمظاهرات وإضراب في كل بلد يوم 23 آب.

وفي الليل القي القبض على الخطباء المتحمسين وهم السادة: صدقي ملحس من نابلس وجمال القاسم وصبري عابدين من الخليل. فتظاهر بعض الشباب أمام السجن ليلا.

ودعي إحسان في صيف عام 1932 ليمثل نابلس في اللجنة التنفيذية لمكتب الشباب، فتردد بادئ الأمر، إلا أنه بعد أن عرف السبب لبى الدعوة بحماسة، والسبب هو أن السيد عبد المطلب فضة، عضو اللجنة عن عكة، اكتشف تهريب اليهود على الحدود الشمالية، فاقترح الاحتجاج على ذلك للحكومة المنتدبة، فقام له عضو الناصرة لطفي عودة وصده قائلا: (إن اعترافنا بالهجرة غير المشروعة يعني اعترافنا بالهجرة المشروعة، فأوقفت الجلسة).

كان عبد المطلب رفيق إحسان في كلية الشويفات، وكان يعرف جرأته، فاقترح دعوة إحسان عن نابلس، وكانت شاغرة. ولما عقدت الجلسة قام عبد المطلب وكرر اقتراحه، فقام لطفي عودة، وجدد صده، فقام إحسان وقال: «نحن نرفض الانتداب، ونرفض وعد بلفور، ونرفض الهجرة المشروعة والغير مشروعة، ونقوم بحراسة الحدود، حتى تخجل هذه الحكومة الوقحة التي لا تبالي».

فصفق الحاضرون، وفاز الاقتراح بالاجتماع، فتقرر الاحتجاج وأن يتولى كل عضو حراسة حدوده، وفي اليوم التالي خرج المكتب وفيهم إحسان إلى عرب السويركي بين يافا والمجدل، وأخذوا عليهم العهد بأن يحرسوا الشواطئ.

وعندما أعلن الإضراب الكبير سنة 1936، بلغ الإضراب خمسة أسابيع، أعلن وزير المستعمرات منح أربعة آلاف جواز سفر لليهود، فخطب إحسان في جامع الحنبلي يدعو الناس إلى نقل بضائعهم من الدكاكين إلى البيوت، وقد اقتدت البلاد جميعها بنابلس، فأنقذ بهذا النداء نحو مليون دينار ثمن البضائع، كما قدر الخبراء.

نشاطاته الاجتماعية

اعتقد إحسان بمبدأ الوطنية متعددة الجوانب، أي أن التوجيه الوطني لا يقتصر على المظاهرات والمؤتمرات، بل ينبغي أن يشمل التعليم والتثقيف والدفاع عن العمال والطبقات وقد قام بهذا بالفعل.

الخدمة العامة :-

شعر صاحب هذا المبدأ (إحسان) بتأخر أحوال عمال الأحذية بعد افتتاح فرع شركة باتا التشيكوسلافية في نابلس، و ان كثيرا من الناس قد اقبلوا عليها، فقام بتشكيل جمعية باسم « جمعية عمال الأحذية بنابلس « وقد تولى إدارتها و شاركهم في نفقاتهم _ حتى شك عمال الأحذية به و ظنوا ان عطفه لمأرب سياسي، فخطب بهم، و اكد لهم بان لا غرض له الا مساعدتهم، و كان ذلك التشكيك دس من بعض السفهاء _ و كذلك فعلت سائر بلدان فلسطين، ثم عقد عمال الأحذية العرب مؤتمرا في القدس، و قرروا طلب اعلاء الضريبة الجمركية فلبت الحكومة الطلب .

كان في نابلس مدرسة تسمى (مدرسة العرفان) تنفق عليها دائرة الأوقاف غلة الأوقاف في لواء نابلس، فقامت اقضية طولكرم و جنين تطالب بحصتها، فاصبحت حصة قضاء نابلس لا تكفي، فاعطيت لمدرسة النجاح شريطة ان تقبل عشرين طالبا من أذكياء الفقراء مجانا.

ولما الغيت اتفق إحسان مع بعض أساتذتها على فتح مدرسة باسم (مدرسة النهضة)، اشترك معه السادة: الشسخ محمد البسطامي، وصبحي حجاب، و سرى البسطامي، ثم اسس مدرسة باسم (مدرسة النهضة الإسلامية) سنة 1932 وقد اشترك معه الأستاذ الوفي الشيخ محمد البسطامي وعمه المرحوم الشيخ حامد والسيد حمدي العمد وقد جهز إحسان المدرسة من جيبه الخاص. وفي السنة الثالثة قامت الحكومة بفتح مدرسة استوعبت طلابا كثيرين مما اضطر لإيقاف العمل والتحول لغيره .

كان الكل يتذمر من وجود الخلاف بين فريقين في البلاد وفي كل سنة يحدث التوتر على حساب علم النبي موسى؛ فبث إحسان الدعاية مع شيوخ الشباب لتوحيد البلد وبعد سنتين نجح بهذا المسعى فاصدر نداء في الصحف لمصالحة الفريقين فريق المغني ورجال الدين الذين عرفوا بالمجلسين، وفريق النشاشيبي أي رجال البلديات الذين عرفوا بالمعارضين لأنهم عارضوا باستمرار رئاسة المفتي للمجلس الإسلامي لأن القانون لا يسمح بوظفتين ولكن أكثر الإنكليز لم يسمعوا.

ثم عقد إحسان لشيوخ الشباب اجتماعا في جامع الأنبياء واتفق الجميع على العهده بهذا العمل للوجهين الكبيرين إذ ذاك الحاج توفيق حماد وقاسم آغا النمر فجمعا جميع الأطراف باسم (حزب التوحيد) فبردت حدة التوتر، وفازت البلدية بالتزكية، وكان هذا تمهيدا لوحدة البلدة في الإضراب الكبير والثورة (وقد سمي إحسان علامة السلام في البلد)

تشكيل حزب التقدم العربي الفلسطيني:-

كان ذلك في آخر الحرب العالمية الثانية أي سنة 1945م حين قام العرب يعملون لاستئناف قضيتهم؛ فقام إحسان بتأسيس هذا الحزب لأنه الهدف الثاني من أهداف جمعية الهداية الإسلامية، وكانت مبادئ الحزب وأهدافه على الوجه التالي:

- العمل لحفظ أراضي وأملاك عرب فلسطين وتأكيد حقهم فيها.
- السعي للحصول على جميع حقوق ومطالب الشعب العربي الفلسطيني ولتحقيق أهداف الأمة العربية.
- رفع المبادئ والأخلاق فوق جميع النزعات الشخصية والعائلية.
- العناية بتثقيف الشعب العربي الفلسطيني تثقيفا قوميا صحيحا.
- الاختصار من المظاهر وحصر الجهود في الجواهر والأعمال النافعة.
- التفضيل بنسبة الجهود الوطنية مع المساواة في الحقوق العامة.
- يتكون الحزب تكوينا شعبيا شاملا على أساس التجانس في المبادئ والميول.
- تشييع الشعب العربي الفلسطيني بالمناعة الأخلاقية وروح الوطنية لا سيما الناشئين.
- السهر على الشعب العربي الفلسطيني من تطرق العناد اليه، وفي مقدمة ذلك التقليد الاعمى.
- إصلاح ذات بين المختلفين من الشعب العربي الفلسطيني.
- العمل لترقية الشعب العربي الفلسطيني حتى يصل إلى درجة الشعوب المتقدمة علما وثقافة ومادة وعملا.

إلى غير ذلك من المبادئ الطيبة. وقد تكون من نخبة أعضاء جمعية الهداية الإسلامية وغيرهم، فتقدم بسرعة، إذ صار كثير من الشخصيات يقسمون أنه أفضل وأطهر الأحزاب، وفي مدة سنتين بلغ أعضاؤه المئتين، وقد قام بالأعمال المعتدلة الآتية والتي نفذ أكثرها:-

- طالب بنقل المبعدين السياسيين إلى الأقطار العربية المجاورة.
- طالب بتسليم المعارف العربية للعرب أنفسهم.
- طالب بإعادة النظر بالضرائب والغاء ضرائب الحرب.
- طالب بالإسراع بمنح فلسطين الاستقلال الذاتي الاداري تمهيدا للاستقلال التام.
- طالب بإعادة أسماء الالوية السابقة والغاء الاسماء المحدثة في عهد الانتداب.
- استفسر عن سير الهجرة وبيع الأراضي وأحوال المساجين والمعتقلين.
- عارض في إزالة قبر أمير الركب المصري وانشاء مراحيض مكانه.
- قام بالحث على مساعدة قبيلة الضراغمة في طوباس لإنقاذ أراضيها التي سجلت على الحكومة.
- اشترك في مهرجان صندوق الأمة في الناصرة والتبرع له، رغم مقاطعة الأحزاب الأخرى له، ولما اشتد الخلاف بين الأحزاب أصدر نداء يدعو لتجنبهم ولزوم الناس المساجد والبيوت.
- السعي مع السيد عبد الحميد شومان لتأسيس شركة لإنقاذ الأرض، وقد نفذت أكثر المطالب.

نماذج من مراسلاته:-

كتب إحسان النمر للشريف عبد الحميد شرف مطولا في انتقاد سير الإذاعة والجواب عليه، ولما عين الشريف عبد الحميد شرف مديرا للإذاعة كتب إليه كتابا مطولا مليئا بالانتقادات والتوجيهات القيمة فورده الجواب التالي:-

■

رئيس التوجيه الوطني
الإذاعة

الرقم: د/1227/634
التاريخ: 1963/4/30

حضرة الفاضل الأستاذ إحسان النمر المحترم – نابلس
تحية طيبة وبعد؛

تسلمت رسالتكم المؤرخة في 1963/4/15، ولا يسعني ازاء ما انطوت عليه من كريم المعنى الا أن أشكر لكم مشاعركم الطيبة، كما يسرني افادتكم بأن ملاحظاتكم القيمة ستكون موضع العناية والاهتمام، منتهزا هذه المناسبة لتجديد الاعراب لكم عن أملنا في استمرار صلة التعاون بيننا لما فيه صالح وطننا وأمتنا العزيزين.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام
عبد الحميد شرف
المدير العام للإذاعة

■

الرقم 4880/14/3
الموافق 19 جمادى الأولى 1381
التاريخ: 1961/10/28م
طلب العمل لإحياء المعالم الإعلامية الإسلامية
كتب القائم بأعمال قاضي القضاة لرئيس الأوقاف ما يلي:
قدم الي الأستاذ إحسان النمر مذكرة مرفقة بشأن العناية بالمساجد التاريخية ومواقع الاعلام الإسلامية، ولما كان الأمر الذي أشار إليه جديرا بالدرس فإنني أرجو دراستها ووضعها أمام مجلس الأوقاف ليتخذ ما يراه مناسبا من الإجراء بهذا الخصوص.

واقبلوا الاحترام
القائم بأعمال قاضي القضاة
بشيرالربـاع

■

طلب العناية بسبسطية:-
ورفع كتابا لرئيس الوزارة طالبا تحسين سبسطية فورده الكتاب التالي:-
المملكة الأردنية الهاشمية

سلطة السياحة
عمان: ص.ب 224 الرقم س44491/10/4
القدس: ص.ب 174 التاريخ 1963/12/7

السيد إحسان النمر – نابلس
أشير إلى كتابكم المرفوع لسيادة رئيس الوزراء الافخم بتاريخ 1963/11/26 ونسخة منه إلي:
أرجو أن أعلمكم بأن موضوع تحسين سبسطية هو قيد الدراسة الآن، وسيباشر في ذلك في القريب العاجل.

واقبلوا الاحترام

نسخة – لسيادة رئيس الوزارة الافخم رئيس مجلس سلطة السياحة
نسخة – لعطوفة مدير الآثار

النشاطات القومية
التنبيه للتشويه القومي

بنظرة من نظراته القومية وجد إحسان أنه مما يشوه الوجه القومي للأمة العربية الأسماء الأجنبية للأشخاص والاماكن، فنبه إلى ذلك ببرقية لمؤتمر القمة في الاسكندرية.

■

برقية إلى مؤتمر القمة:
في 1384/4/29هـ وفق 1964/9/6م
الاسكندرية: أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء العرب المعظمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،
وبعد فإنني أرفع أسمى التهاني بهذا الاجتماع التاريخي راجيا له التوفيق والنجاح.
هذا ولما كان من واجبنا التذكير بما يعود على أمتنا بالخير، ولما كان ردء المفاسد أولى من جلب المصالح، أرفع هذه المذكرة بأمور جوهرية هي في منتهى الخطر على أمتنا العربية التي باتت تخرج من قوميتها خروجا سريعا سافرا، فلا تمضي بضع سنين حتى يضمحل كل ما هو عربي جوهرا ومظهرا.
إن الأجنبي الذي يزور بلادنا العربية يدهش حينما يشاهد هذا الخروج والتبدل في كل شيء؛ أسماء أجنبية لعموم الأمم: غاندي رومل، نابليون، جورج، فيليب ... الخ، ويجد لافتات أجنبية على أبواب الفنادق والمطاعم وأبهاء الحلاقة نحو فوليت، بارك، ناسونال، بلازا، كونتنتال، هلتون. وحينما يدخل البيوت يجد الأثاث غريبا فلا يجد في البيوت ذلك الاثاث الشرقي، وكذلك المباني والأزياء، يجد التغرب غالبا عليها، لا في المدن فحسب، بل وفي القرى وفي الأرياف حتى البوادي. وإذا كان يعرف العربية دهش لاستعمالنا كلمات ومصطلحات أجنبية كثيرة تشوه جمال لغتنا العربية.

ويجد تبديلا وخروجا في عاداتنا وتقاليدنا، أعظمه وأبرزه تبرج النساء مع الاستهتار بالحشمة الإسلامية. وقد ترك الرجال العمامة والكوفية والعقال ذلك المميز العربي الخاص وإذا نظرنا إلى صحفنا ومجلاتنا وجدناها تعلن عن الخمور مع أن دستورنا، وهو القرآن الكريم يحرم ذلك تحريما قاطعا، كما يرى على صفحاتها أخبار ممثلي وممثلات الغرب كجزء من ثقافتنا.

يا أصحاب الجلالة والفخامة: ان الانشغال بالناحية السياسية فقط هو أهم أهداف المستعمرين منذ اتجهت أنظارهم نحو الشرق يستعمرونه. إن الواجب العربي يقضي بإصلاح جميع النواحي والقضاء على مفاسد المدنية الغربية التي أخذت تقوض مجتمعنا العربي بصورة لم تسبق.

يا أصحاب الجلالة والفخامة: أرجو أن تتداركوا هذه الأخطاء قبل اتساع الخرق أعانكم الله وأدامكم إنه سميع مجيب.

رافع المذكرة
إحسان النمر
نابلس الأردن

■

وأرسل نسخة عن البرقية السابقة لرئاسة مجلس الوزراء فكتب دولته إلى وزير الداخلية ما يلي:

رئاسة مجلس الوزراء الرقم 190/15/14/30

التاريخ: 1962/8/19م

معالي وزير الداخلية

أشير إلى المذكرة المقدمة من السيد إحسان النمر _ من نابلس والمرسلة نسختها لمعاليكم مباشرة، حول تسمية المحال التجارية بأسماء افرنجية، مع نسخة من جواب لجنة أمين العاصمة بشأنها، رجاء أخذ ما جاء فيها بعين الاعتبار.

واقبلوا فائق الاحترام

نسخة إلى سماحة رئيس مجلس الأوقاف والشؤون الإسلامية الأعلى.

نسخة إلى السيد إحسان النمر بنابلس

■

برقية أخرى:

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو المعظمين

سعي مشكور وجهد مبرور، أرجو أن يختم مؤتمركم بقرار يقضي بتكرار هذه الاجتماع في كل عام، لتنسيق قضايا ومشاكل العالم العربي، فتجدد الامال، ويكبت الأعداء، ويحسم الداء.

معتمد جمعية الهداية سابقا ورئيس حزب التقدم العربي بنابلس سابقا

إحسان النمر

■

شكر بتوقيع جلالة الملك الحسين

نعتز بتأييدكم _ وأنتم جند الدفاع الأول عن أمة العرب – وندعوه تعالى أن يحقق لأمتنا النصر، وبلوغ ما تصبو إليه من أهداف شريفة.

الحسين

الدعوة إلى الوحدة العربية:-

وتوكيدا لما مضى دعا إحسان إلى الوحدة العربية في جريدة الكرمل أيضا بعشرة مقالات. بدأها من إرهاصات الإسلام في الجاهلية، ثم شرح عظمة الوحدة العربية تحت راية الإسلام، ثم زوال الرئاسة العربية العليا أي الخلافة، وبقاء الامارات العربية الصغيرة ومع الاتصال برؤساء الدول التركية إلى أن ضعفت فقووا، إلى أن انحسر الحكم العثماني فظهروا دولا، وقد عمت الروح القومية عند العرب.

وأخيرا تكلم إحسان عن عوامل الوحدة وصيرورة الدول العربية أمة واحدة، وقوة واحدة، مبينا موقع البلاد العربية في بلاد العالم وثرواتها وخيراتها، فكان لهذه السلسلة وقعها، لا سيما عند الواعين للتاريخ والمتفائلين بالوحدة.

الدعوة إلى الإصلاح الديني السلفي:-

كان إحسان شديد الغيرة على وحدة البلاد العربية وكان يؤلمه ما كان يقرأ ويسمع عن وجود فرق في جزيرة العرب. ولما وقعت الحرب بين نجد والحجاز صار يتابع سيرها بدقة، ولقد كان فرحه عظيما حينما وقع بيده كتاب الهداية السنية والتحفة الوهابية للشيخ سليمان بن سحمان النجدي، وعليه شروح من الإمام المصلح السيد محمد رشيد رضا الذي قرر أن المذهبين الزيدي والجعفري مدونين معتبرين، كما أوضح أن مذهب الإصلاح الوهابي هو حنبلي يتلخص بالرجوع إلى الأصل، وتصحيح العقيدة بعدم الاستغاثة، وأن ينوي الحاج زيارة الحرم النبوي ثم زيارة الرسول. وهم يستندون على آيات وأحاديث صحيحة. فصحح إحسان عقيدته وعقيدة شقيقاته، فامتنعن عن الاستنجاد بالأولياء حين الملمات، وأصبحن داعيات بين معارفهن، وصار يدعو إلى هذا الإصلاح كل من يصادف.

كتابه لسماحة رئيس المجلس الإسلامي:-

يستنهض همته لتكليف – علماء نجد للمجيء إلى فلسطين لنشر العقيدة الإصلاحية السلفية، والكتاب مطول، ننقل بعض فقراته:

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد المقدمة والتحية قال: إنني فكرت في حالة هذه الشعب من جميع النواحي، وفي مقدمتها الناحية الدينية؛ ولما كنتم رأس رجال الدين في هذا البلد، رأيت من واجبي أن أتشرف بتقديم رسالتي هذه إليكم خاصة، لأنني أفضل هذا على النشر في الصحف.

كلنا يعلم بأن العرب ظلوا آلاف السنين منسيين لم يظهروا ولم يعزوا إلا بالإسلام. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام).

هنا نقف فترة قليلة لنبحث عن المظاهر، فنجد أننا نسمى مسلمين واننا ندين بالإسلام، ولكن هل الإسلام هو ما نرى؟ وهل ما نعتقده هو معتقد الإسلام؟ إن المتنور الذي يبحث في حالة هذا الشعب لا يستطيع الجزم بإسلامه، كما أنه لا يجزم بكفره، حيث نرى المرابي يزكي ماله، والمدمن للخمر يتحاشى أن يدخل المسجد جنبا، والمصلى ينذر للاولياء والمقامات ويستنجد بها، والمتحمس للاسلام يفرط بأراضي الأوطان. إذ أن عقيدتهم مكونة من صحيح وفاسد، كالبناء المكون من صف لبن وصف حجر، فهو ينهار إذا أصابته هزة بسيطة أو مطر ليلة ماطرة، وهكذا نجد شبابنا يخرجون من الدين زرافات ووحدانا. وأن تمذهبوا وتظاهروا بالسياسة الإسلامية.

«إن هذا الشعب يتداعى بسبب ضعف عقيدته التي كانت كل شيء في حياته».

وبعد أن تكلم عن أسلوب دعوة علماء نجد وقيامهم بالارشاد قال: «فلا تمضي بضع سنين حتى نصبح إخوانا بحق برابطة متينة دينيا وسياسيا. ولا تخفى على سماحتكم القوة الروحية التي تتولد عندنا والمحبة التي تتولد لنا في قلوب إخواننا في جزيرة العرب لا سيما نجد الناهضة».

انتقاد المجلس الإسلامي ورئيسه

على أن هذا الكتاب لم يكن له أي أثر، فاعتقد إحسان أن الحاج أمين تقليدي، وليس إصطلاحيا، فوقف له بالمرصاد ينتقده علنا على صفحات «الصراط المستقيم» إلى أن قيل له إن الإنكليز واليهود يحبذون ذلك فتوقف عنه.

مطالبة الهيئة العلمية بالإصلاح السلفي

أصحاب السماحة والفضيلة رئيس وأعضاء الهيئة العلمية بالمملكة الأردنية الموقرة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد؛

فقد كان من دواعي سرورنا تشكيل هذه الهيئة الموقرة، آملين تطهير البلاد مما فيها من بدع سيئة وضلالات مفسدة للعقيدة.

وإنني أذكر سماحتكم بضرورة تنبيه سكان هذه البلاد لدسائس الشرك التي يهملها الوعاظ، ثم محاربة عادات التبذير والفساد والاسراف لا سيما في المأتم وما تبعها حتى الأربعين كاليوم الثالث من المأتم المعروف بيوم الدلايل وتقديم الكنافة مع أن الافضل توزيع شيء من الصدقات كالطحين مثلا لأنه أفضل وأولى فالمرجو تعميم هذا على الوعاظ حتى يتنبه الرأي العام ونلغي هذه السيئة والله ولي التوفيق.

المخلص

إحسان النمر

الدعوة إلى التوجه نحو الشرق:

عاد الوفد من لندن فاشلا ولما أصدرت الوزارة البريطانية الكتاب الأبيض ثم سحبته انتصرت فكرة إحسان فدعا إلى التوجه نحو الشرق بمقال نشره في جريدة الصراط المستقيم وإليك صورته.
(وجهوا أنظاركم نحو الشرق الحنون)

كفانا اشتغالا بالمشاغل الفردية والمخدرات الاستعمارية. إن صفوفنا فوضى يجب تنظيمها وإيجاد كتلة وطنية ترتبط بالشعوب الشرقية الإسلامية فالغرب أصم فلا يجوز أن نبقة مخدوعين بالإنكليز الذين يعتمدون على اليهود في مصالحهم ويفضلونهم على العرب الذين يتقدمون لخدمة مصالحهم في الحرب وغيره لأن العرب ليسوا كتلة محترمة وليس لهم رأي عام. فلتكن لنا كتلة وطنية تستحق الاحترام، ثم ترتبط بالشعوب الإسلامية في الشرقين الادنى والأوسط فنكسب منها العطف والعون، ونتبادل معها المنافع فنزداد قوة ومنعة، والقوة وحدها هي التي تفتح آذان الغربيين.

إن محاولة خطب ود الغرب، ونحن ضعفاء، حماقة، فلنعمل لنكون أقوياء. إن الصحيح يخشى مصافحة الضعيف، ولكن الصحيح يصافح الصحيح غير حذر ولا هياب.
هيا إلى العمل المثمر الذي كان يجب أن ننتبه إليه منذ عشرين سنة، ولم تكن تنقصنا الأفكار، فقد كان في البلاد من ينبه إلى هذا إلا أن الغرور أعماهم.

أيها الناس غيروا تفكيركم وانتبهوا لأنفسكم، النوم لا ينفع ساعة الخطر، ولئن هاجرنا لا نلاقي سوى التوبيخ لأننا نهدم بيوتنا بأيدينا. يا أدعياء الزعامة، أيها المتزعمون الغافلون؛ معظم اللوم يقع عليكم، لأنكم لا تعملون، ولا تدعون غيركم يعمل، قد شللتم الحركة الوطنية بطعمكم في التفوق والوظائف، وإهمالكم الأراضي وتأليف الشركات.

عليكم بالتشكيلات المتينة، والارتباط بالشعوب العربية الإسلامية، عليكم بالعمل للعمران، والإخلاص الحقيقي للقضية، والسهر الدائم، والعمل لإيجاد المال والقوة الحقيقية، اتركوا الوظائف والتنازع على النفوذ، عليكم بالاعتراف بالخطأ، والخضوع للحق، فهذا الذي ينقذنا من هذا المأزق الحرج والخطر المحدق.

نابلس: إحسان النمر

تأسيس الهيئات المستقلة (جمعيتي الهداية الإسلامية والرياضية)

وفي محرم سنة 1353هـ الموافق نيسان سنة 1934م، قام إحسان بتأسيس هاتين الجمعتين بعد أن مل الكتابة إلى المراجع الوطنية على غير طائل، فرأى أن يعمل هو بنفسه.

وإذ قد جرب المتظاهرين بالعمل الوطني وأنهم متورطون في الحزبية، ولم يتمكن من فصلهم، فقد قرر أن يعمل مع الشعب مباشرة، وأن لا يقبل أحدا من أولئك، فقد أقام جمعية نواتها بعض أعضاء

جمعية عمال الأحذية والمتدينين الواثقين به، ولم يقيد الجمعيتين بعدم التدخل بالسياسة بل كان في مبادئهما المقدمة في طلب الترخيص: العمل لترقية أحوال المسلمين من عامة الوجوه.

وكان أول قرار اتخذته الامتناع عن المسكرات والتدخين، وكان هدف إحسان إصلاح الأخلاق، ولم يضع لها قانونا داخليا، بل أعلن أنها قائمة على أساس التجانس أي بدون الانتخاب. ولما دعته جمعية منع المسكرات في القدس إلى إلقاء محاضرة عن الجمعية دعت معه للغداء قسيس طائفة الإنكليكان.

نجاح جمعية الهداية الإسلامية السريع:-

قامت الجمعية بمراقبة أماكن بيع المسكرات، وصار إحسان يكتب إلى مراجع الأمن للمساعدة، فقاموا بمطاردة المعربدين، فلا يكادون يغادرون السجون وكان السقاؤون من أعضاء الجمعية يقومون بمراقبة مقطري المسكرات من السامريين.

فصاروا يخبرون عنهم البوليس، فيكبسونهم، ويصادرون خراجاتهم، وكان في نابلس فندق يسقى المسكرات، فأراد إحسان المزاد على المحل، وكانت الإيجارات حرة، وكان البناء ملكا للبلدية، فأشار عليه نائب الرئيس الحاج عبد الرحيم النابلسي، المسلم الغيور، بأن يرتاح، وأنه سيكفيه مؤونة ذلك، وحين حل موعد الإجارة، وضع المحل باسم الغرفة التجارية، وكان يرأسها، وبذلك أغلق أسوأ محل في البلد.

وكذا كتب عن محل آخره فروقب، لقد عمل ما يمكن حسب الظروف، فنجحت الحملة بسرعة، وسرت الحركة إلى البلاد الأخرى، فصارت جمعياتها تقوم بمثل ذلك. وقد نشر بيانا عن نجاح الحملة نشرته المجلات الإسلامية لا سيما مجلتي الفتح والهداية الإسلامية بمصر. واستمرت الجمعية تعمل، وقد نشط أعضاؤها، وكثر مؤازروها، فقامت فيما بعد بالأعمال الآتية:-

قامت بجمع إعانة لفقراء المدينة المنورة _ أثر نداء أصدرته الحكومة السعودية _ قبل أن تعطي امتياز البترول لأمريكيا.

وقد اتصل بالمرحوم الأمير فيصل آل سعود بوصفه نائب جلالة الملك، فأهدى للجمعية مجموعة من الكتب المطبوعة على نفقة جلالة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود وورده الكتاب الاتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية — الرقم: 197
نائب جلالة الملك — التاريخ: 1353/5/24
المكتب الخاص

حضرة الفاضل المحترم إحسان النمر معتمد الهداية الإسلامية بنابلس سلمه الله،

السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد؛

فقد وصلنا خطابكم المؤرخ في 1353/5/15هـ واطلعنا على ما جاء فيه من عبارات الإخلاص والولاء ما نشكركم عليه، ولقد أمرنا الجهة المختصة هنا بإرسال مجموعة من مطبوعات جلالة مولاي الملك المعظم إليكم، هذا، وتقبلوا في الختام فائق تحياتنا.

الأمير فيصل

ولما أشيع عن وجود ثورة في الحجاز كتب للمعتمدين السعوديين في مصر وسوريا عن ذلك، فورده الكتاب الآتي:

وزارة الخارجية
وكالة المملكة العربية السعودية — القاهرة في 20شوال 1354
(15 يناير 1936)

حضرة الفاضل السيد إحسان النمر المحترم _ نابلس (فلسطين)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

تلقينا كتابكم المؤرخ 1354/1/18، وشكرنا غيرتكم على الحج والإسلام. وقد علم الناس جميعا أن الطريق البحرية والبرية إلى الديار الحجازية آمنة من كل خوف، والحمد لله. نسأله دوام النعمة والرضى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

معتمد المملكة العربية السعودية
فوزان السابق

قامت الجمعية بمساعدة وفد صفد في جمع تبرعات لعائلات المحكومين بالمؤبد في حوادث سنة 1929م. وقام مقام جمعية مساعدة المساجين التي لم يدع للاشتراك بها مع أنه مؤسس الفكرة.

وقام إحسان بصفته معتمد جمعية الهداية الإسلامية بحملة لإعادة بناء جامع النصر وكان هدم بالزلزال، وكادت الحملة أن تنجح كثيرا، إذ تعهد سليمان بك طوقان رئيس البلدية بجمع أربعة آلاف جنيه من النابلسيين النازلين في حيفا وعمان وغيرهما، مشترطا تشكيل لجنة مستقلة عن الأوقاف، وبمساعي إحسان توصل مدير الأوقاف العام الأستاذ عزة دروزة إلى فكرة وافق عليها سماحة المفتي الحاج أمين وأمين بك التميمي عضو جبل نابلس في المجلس الإسلامي، وهي أن تقوم الأوقاف بعمل، ويقوم سليمان بك وجماعته بعمل، فاطمأن إحسان لهذا. ولكن جماعة المفتي قاموا في رمضان بتشكيل لجنة برئاسة الشيخ عبد الحميد السايح، بجمع إعانة من سوق نابلس وبعض الأغنياء، فاتفق سليمان بك وجماعته، وهم أثرياء، على دفع مبالغ ضئيلة.

شهادات المجلات ورجال الإسلام للجمعية:-

وقد كانت الجمعية تصدر بيانا سنويا، تنشره في الصحف، عن أعمالها، فكسبت ثقة لم تسبق في برهة وجيزة، وإليك ما كتبت المجلات الإسلامية وعلماء الإسلام المخلصين إذ ذاك:

لما اجتمع إحسان بالحاج أمين أفندي الحسيني لمصلحة إعادة بناء جامع النصر، دخل الأستاذ عزة دروزة، فقال له سماحة المفتي مفتخرا: (هذا معتمد جمعية الهداية الإسلامية) فقال له: (نعم وقد نجحت).

ولما كان إحسان مع الوفد الصفدي على مائدة الحاج نمر النابلسي، أكبر أثرياء فلسطين إذ ذاك، قال الحاج مشيرا إلى إحسان: (هذا الثري أوجد شيئا من لا شيء). وهو يقصد ضيق مورده وعداء أقاربه.

ولما زار رئيس الكلية العربية بالقدس، الأستاذ أحمد سامح الخالدي، لمساعدة الطلاب على الصلاة، قدمه الأستاذ أحمد سامح لعمه الشيخ خليل الخالدي، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية، وأكبر علماء المسلمين في فلسطين، وقال عن جمعية الهداية: (هذه خير جمعية أخرجت للناس).

أما في الخارج فاليك:

لما ذهب الحاج حسين جابر إلى حلب _ وكان طالب علم في بدايته _ سأل عن أكبر علماء حلب، فقيل له: الشيخ كامل في إدلب، فذهب إليه، فلما عرف أنه من نابلس، كان أول سؤاله عن جمعية الهداية الإسلامية.

وعلقت جمعية الهداية الإسلامية بمصر على بيانها الأول بما يلي: (قام حضرة الأستاذ إحسان أفندي النمر بإنشاء جمعية اسلامية في نابلس، وقد وفقه الله في مسعاه، وتم إنشاء هذه الجمعية، وسميت (جمعية الهداية الإسلامية) وأخذت من القوة في وقت قريب ما يسر كل مسلم غيور، نحن نرحب بهذه الجمعية المباركة، ونحث المسلمين على مؤازرتها بكل ما استطاعوا، حتى يمكنها القيام بأعباء ما أخذته على نفسها من جلائل الأعمال، ونسأل الله تعالى أن يكل مساعيها بالنجاح، ونشكر القائمين بها على هذه المهمة العظيمة).

وأصبحت الحكومة تحسب لها حسابا، وقد أسر السيد منير أبو فاضل _ أحد رجال مدير الأمن العام لإحسان _ والذي كان رفيق صفه في كلية الشويفات _ قائلا: لقد أصبحت تأتي بعد الحاج (أمين في الخطورة).

وقال له السيد سعادة الجلاد من رجال الأمن _ (لقد حاولنا أن نمسك عليك شيئا فلم نقدر).

لقد توقفت الجمعية طيلة الحرب العالمية الثانية تم استأنفت أعمالها مع الهيئات الأخرى إلى أن حصلت النكسة، فتوقفت كغيرها من الهيئات.

قائمة بأسماء المؤلفات المطبوعة لإحسان النمر

1. أشهر الملوك والخلفاء في الجاهلية.
2. أمراضنا ومشاكلنا.
3. بطولات الجزائريين الخالدة.
4. تاريخ جبل نابلس والبلقاء (أربعة أجزاء).
5. تاريخ الحمدانيين.
6. أهم عظماء الدولتين الاموية والعباسية.
7. التصدي لدعاة الالوهية والنبوة والمخادعين.
8. التوحيد سبيل الترقي.
9. الحب السامي للمبدأ السامي سر تقدم الأفراد والامم.
10. الحج والحجاج في 1935م.
11. زهو الحب وثماره.
12. السياسة الإسلامية العربية الرشيدة.
13. شخصية المصطفى وثمار الإسلام وأهدافه.
14. الفتوة والفروسية عند العرب في الجاهلية والإسلام.
15. قضية فلسطين في دورها البلدي.
16. مذكرات المؤرخ الأستاذ إحسان النمر.
17. معالجة البغضاء.
18. معلومات عمومية وعلمية تفيد المعلم والتلميذ.
19. من السويس إلى العقبة عبر سيناء.
20. امارة مكة أساس الدولة العربية.
21. نظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني.
22. نقد رسالة الراميني عن نابلس.
23. منهج التربية وعلم النفس في الإسلام.
24. الهر واقاربه (السنورية).
25. الوصفات الطيبة العربية النصائح الصحية.
26. عبد الغني النابلسي 1050 _ 1143هـ
27. امتياز ولاية الشام في عهد آل عثمان.
28. روح العمل وصفات العاملين.
29. شقيقتي فريدة.
30. المواعظ والحكم القرآنية.
31. المواعظ والحكم المحمدية.
32. رواية العز بالتضامن.
33. تودد الديانتين وحروبهما.
34. فتوح شمال افريقيا ومصير الاندلس.

بعض من مؤلفاته غير المطبوعة

1. حكامنا وحكماؤنا.
2. مآسي العروش.
3. الأسفار والاثار.
4. هدايا العظماء.
5. آداب السلوك.
6. توجيه العربي الكامل.
7. التطور العربي الخالد.

كامل السوافيري
1917-1992

تأليف : أ. وديع فلسطين
أستاذ الصحافة بالجامعة الأمريكية في القاهرة

كامل السوافيري
١٩١٧/١١/٠٦ – ١٩٩٢/٠٢/٠٨

مقدمة الطبعة الأُولى

تسعد الجمعية العلمية الفلسطينية بأن تقدم لقرائها الأعزاء سيرة موجزة للأديب الفلسطيني الراحل الدكتور كامل السوافيري، لما تجسده من زخم في الدراسات الأدبية العربية بعامة والفلسطينية بخاصة، فكان معلما من معالمها المميزة في العصر الحديث.

ونسعد أيضا بانضمام الكاتب العربي المصري المرموق، وديع فلسطين، إلى كتاب الموسوعة، هذا الكاتب الذي كان له نصيب وافر من اسمه، إذ أولى فلسطين الإنسان والقضية والحركة الأدبية جل اهتمامه، وقد كنت أظنه من قبل فلسطيني الهوية، فإذا به فلسطيني الهوى، وأدركت ذلك عندما التقينا في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق في الذكرى الخامسة والسبعين لإنشائه 25 - 1995/11/29 وكان معنا العالم الأديب عبدالسلام العجيلي، الكاتب العربي السوري المعروف أيضا بفلسطينياته، وكنت أظنه هو الآخر ليبيا، من قبيلة العجيلات، التي تسكن مغارب ليبيا، فإذا به من شمال سورية، وقد خطرت ببالي فلسطينيات وديع البستاني، وقد كدت أخلط بينهما لولا ماصححه لي تقادم عهد البستاني. وجدير بالذكر أن اسم « فلسطين « شائع في أعلام الناس في صعيد مصر.

وكان بين الكاتبين مودة وتواصل، ويظهر ذلك في اهتمام الأديب وديع فلسطين بصديقه السوافيري، وفي معرفته بتفصيلات حياته ومراحلها، وشعوره معه بما كان يلقاه من مرارة، ويتعرض له من تقلب الأحوال.

ولم يتح لنا أن نعرف أديبنا الراحل عن قرب، على الرغم من رابطتي الزمالة والجوار اللتين كانتا تربطاني بشقيقيه أمين وأحمد، حين كنا في بنغازي في أواخر السبعينات، فقد كان الرجل ملازما أرض مصر، بل استجاب لرابطة الخئولة أكثر حتى تجنس بها. رحم الله السوافيري... ونسأ الله في أجل وديع ليمد المكتبة العربية بفيض من إنتاجه.

أ.د. يحيى جبر
القاهرة في الثالث والعشرين من شباط 1996

كتب وديع فلسطين:

أخي العزيز الأستاذ الدكتور يحي جبر
دام مع من يحب في أحسن حال من الصحة والعافية
شكرا على رسالتك المؤرخة في 2/14 التي وافت ونحن في آخر أيام عيد الفطر المبارك وهو عندنا يمتد أربعة أيام – فانتهز هذه الفرصة لأبعث إليك تهنئة متأخرة داعيا الله أن يجعل كل أيامك عيدا.

وقد أسعدني كثيرا أن انعقدت بيننا المودات في العيد الماسي لمجمع دمشق، وآمل أن تزداد هذه المودات وثوقا مع كرور الأيام. وقد أكرمني الله فعرفت جملة خيرة من أعلام فلسطين منهم خليل السكاكيني وقدري حافظ وخليل طوطح وإسحق موسى الحسيني وعادل وأكرم زعيتر وأحمد صدقي الدجاني وكامل السوافيري وغيرهم. وعسى أن يضم مجمعكم علماء من هذه الطبقة.

وكان أخونا السوافيري قد كتب بنفسه « لمحة عن حياته وموجزا عن آثاره في الدراسات الأدبية» وأهداني نسخة منها مازالت ضمن أضابيري. وقد قمت باستنساخها لإرسالها إليك، ولكنني آثرت أن أقدمها إليك يدا بيد في مؤتمر مجمع القاهرة، مادام موعده المحدد يحل بعد شهر واحد. ومن عادتي أن أشهد حفل افتتاح المؤتمر، لأنه جلسة عامة، ثم انصرف إلى شؤوني الخاصة؛ لأنني لست عضوا في مجمع القاهرة، وإن كان مجمعا دمشق والأردن شرفاني بانتخابي عضوا منتسبا إليها. وأظنك عرفت أن أستاذنا الدكتور شوقي ضيف انتخب رئيسا للمجمع بعد وفاة رئيسه السابق أستاذنا الدكتور إبرهيم بيومي مدكور، وكان انتخابه موضوع ارتياح عام.

أرجو إبلاغ تحياتي إلى الأخت العزيزة الأستاذة نائلة زعيتر، وقد تحرجت من الكتابة إليها معزيا في المرحومة والدتها لنفس السبب الذي جعلني أتحرج من موافاتك بتراجم الأدباء على عنوانك في نابلس وآثرت عليه عنوانك في عمان؛ فقد أورثني اسمي الجغرافي كثرا من المتاعب على مدى أربعين عاما ولست أريد تجديد هذه المتاعب ذلك أنه:

إذا رضيت على كرام عشيرتي فمازال غضبانا علىَ لئامها.
ولعلك لاحظت أنني ألمحت إلى هذه المتاعب في مستهل كلمتي في عيد مجمع دمشق. وأبديت خجلي بسببها.

أكرر شكري على عباراتك الكريمة التي سمعتها شفاهة ثم تجددت سطورا في رسالتك، وعسى أن يكون محمودا لي في العمر لكي أصافح وجهك مرة أخرى في مجمع القاهرة.
ولك كل الود والتقدير والحب.

وديع فلسطين

كامل السوافيري
مستودع الأدب الفلسطيني

في البدء كان هاتف وكان الختام أيضا حديث هاتف، وبين المهاتفة الأولى التي تلقيتها على غير معرفة سابقة من كامل السوافيري، والمهاتفة الأخيرة الملهوفة التي تلقاها مني قبل يوم واحد من رحيله خمسة وأربعون عاما من أصفى المودات، وأنبل مشاعر الوفاء والولاء، وهي قد مضت – وآسفاه – عجلى متسارعة، وكأنها غمضة عين.

كنت في الأربعينات أعمل صحفيا في دار المقتطف والمقطم، وهي دار تصدر أقدم الصحف اليومية بعد الأهرام وأعرق المجلات بلا منازع. وكان تواتر اسمي في الجريدة والمجلة يورثني شهرة بازغة تفوق كثيرا حجم صاحبها. كما كنت أكتب في مجلات أدبية كثيرة « كرسالة « أستاذنا الزيات ومجلة « الأديب « لألبير أديب في بيروت وغيرهما فانحشر اسمي بين أسماء الأدباء. وكان السوافيري بدوره ينشر فصولا في « الرسالة» وسواها من الدوريات أكسبته بدورها شهرة، ولو في النطاق الأدبي. فلما تلقيت ذات صباح هاتفا من السوافيري لم يكن أحدنا يجهل اسم صاحبه، وإن جهلنا كل ماكان وراء الاسمين. واستأذن السوافيري في زيارة مكتبي تحقيقا للتعارف، فرحبت به. وكنا في ذلك الحين السحيق نعرف أن رأس مال الصحفي هو الصلات والعلاقات ننشؤها على أوسع نطاق، ولهذا لم نعرف في قواميسنا المتداولة حشود السكرتيرات يقفن بالأبواب لصد القاصدين، ولا كتائب الحراس المسخرين « لتطفيش « – الزائرين، ولا مكاتب الاستعلامات تعتصر القادمين باستفساراتها، ولا كانت لدينا أرقام سرية للهاتف نتحصن وراءها من كثرة المطاردين. وكانت أبواب مكاتبنا وصحفنا، ابتداء بالباشا رئيس التحرير، وانتهاء بأصغر محرر مفتوحة على مصراعيها لكل طارق، سواء أكان من رجال الدولة المسؤولين أم من عامة الناس وسوادهم، فلما جاء السوافيري لزيارتي، لم يجد من يقول له: قف، من أنت؟ ولا سأله سائل عن بغيته، ولا استفسر منه مستفسر عما إذا كان على موعد مضروب، ولا اعترض طريقه « شحط « رغبة في ثنيه عن الزيارة.

وبعد عبارات التعارف التي أراد بها كلانا استكشاف كنه صاحبه، دعوته لحضور ندوتنا الأسبوعية في مجلة « المقتطف « كما دعاني لحضور ندوة دورية كان يقيمها في بيته في ميدان حليم باشا بالقرب من ميدان الأوبرا. أما ندوة « المقتطف « فكانت تضم صفوة من رجال العلم وأساتذة الجامعات والأدباء من مصر والبلاد العربية جميعا، ويعييني أن أحاول تذكر أسمائهم. وأما ندوة السوافيري، فكان العنصر الغالب فيها هو عنصر المنتسبين إلى الأدب. وفي زيارتي الأولى لها، قابلت بعض من أعرف كسيد قطب وكمال نشأت ومحمد الفيتوري، وقابلت من لم أكن أعرف مثل الشاعرة جليلة رضا والشاعر محمد مصطفى الماحي وعلامة الحجاز أحمد عبدالغفور العطار ومحمد فوزي العنتيل وسواهم. وكان كلانا حريصا على المشاركة في الندوتين، فضلا عن « رابطة الأدباء « التي أنشأها الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي عام 1945 وتوالى انتخابي وكيلا لها إلى انحلالها في عام 1952، وفضلا عن وريثتها « رابطة الأدب الحديث « وغيرها من منابر الثقافة والفكر التي كانت منتشرة في مصر في تلك الفترة الزاهرة انتشار نبات الفطر – أو عش الغراب – الذي يضرب به المثل في لغات الفرنجة لسرعة تكاثره وانتشاره. وكم ذرعنا القاهرة طولا وعرضا لغشيان هذه الندوات الأدبية حتى انفض سامرها.

وكان السوافيري يعمل إذ ذاك مدرسا في إحدى المدارس الثانوية، ومن أسف أنه عاش كل عمره؛ حتى بعد الماجستير، وحتى بعد الدكتوراه، ومهمته الوحيدة هي تدريس طلاب الثانويات، دون أن يرقى في سلك الوظائف حتى إلى درجة مفتش – أو « موجه « حسب التطوير اللغوي الذي أدخل على هذ الوظيفة! – أسوة « بالمحظوظ « الدكاترة زكي مبارك، أخلد المفتشين في تاريخ وزارة المعارف المصرية. وإذ أراجع سيرة حياة السوافيري كما كتبها بنفسه، لا أرى في حياته أي معالم بارزة، عدا كونه قد جاء إلى مصر هاربا من مطاردات سلطة الانتداب الإنكليزية في فلسطين، واطردت حياته بين التدريس في المدارس والسعي لتحصيل أرقى الدرجات العلمية، والعكوف على التأليف والتصنيف. وكان في ملته واعتقاده أن من يعمل بصمت ويؤدي للأدب والعلم والبحث حقوقها؛ فلن يلبث المجتمع أن يكافئه على جهده وتفانيه ومثابرته وإخلاصه. ولكن المجتمع لم يكفه أن تجاهله أصلا، بل رماه في جب الأسود حيث قضى في عالم القيود والسدود ثلاث سنين كبيسات.

وخرج ليجد نفسه مفصولا من وظيفته، ليس له راتب أو إيراد. بل إنه رأى ابنته للمرة الأولى وهو يرسف في أغلاله، إذ ولدت وهو في الجب، فكان عليه أن يبدأ رحلة الحياة من نقطة الصفر، تؤوده أعباء أسرة ومطالب أطفال، ساعيا هنا وهناك، مستجيرا بالقضاء. ولم يستطع حتى بعدما انتصف له القضاء أن يستخلص شيئا من حقوقه الضائعة، ودع عنك عمره المسلوب في دياجير الظلام.

ولعل النقطة المضيئة الوحيدة في كل حياة السوافيري التي امتدت قرابة خمسة وسبعين عاما هي» رصيعة القدس « التي قلده اياها حامي ذمار القدس – أبو عمار – من بضعة أعوام قائلا أمام الملأ الغفير: حيوا معي معلمي وأستاذي الأكبر.

استطاع السوافيري، برغم المثبطات الكثيرة في حياته، أن يخرج طائفة من نفائس الكتب تاريخا وتقييما للحركة الأدبية في بلاده فلسطين، وتسجيلا للآثار الأدبية التي كادت تعدو عليها سنوات النكبة التي طالت وامتدت. فأصدر كتاب « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة 1917 - 1955»، وكتاب « الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر « وكتاب « الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860 - 1960» وكتاب « الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود: حياته وشعره « فضلا عن كتاب « دراسات في النقد الأدبي «. هذا إلى جانب كتب مخطوطة هيأها للنشر هي « أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي: حياته وأدبه « و» ابراهيم الدباغ «: حياته وأدبه و»ديوان أبي إسحق الغزي» المتوفي عام 534هـ و» شاعر الوفاء ابن حمد يس الصقلي: حياته وشعره « و» مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، لأبي محمود بن هلال المقدسي المتوفى عام 765هـ و» التعريف بكتب التراث « وسيرته الذاتية بعنوان « في سبيل المجد « فضلا عن مذكراته التي كان يدونها يوميا.

وكلها كتب تحدثت عنها غير مرة في حياته، وأدع للمنصفين من دارسي أدبه العكوف على استظهار مزاياها. وإنما أريد في هذا الفصل أن اتحدث عن ملامح من شخصية السوافيري عرفتها بحكم اقترابي منه نحو نصف قرن.

كان كامل السوافيري، بحكم استغراقه في خدمة كل قاصد إليه يذكرني بالشاعر القروي رشيد سليم الخوري (1887 – 1984) الذي كان يقول عن نفسه إنه « حامل فوق همه هم شعبه «! فقد كان السوافيري حمال هموم عشرات، بل أكاد أقول، مئات من الساعين إليه لقضاء مصالحهم في الدور الحكومية بأسمائها المتعددة، أو لترتيب أوضاعهم في الجامعات والمعاهد المختلفة، أو للبحث عن مرجع نادر أو مخطوطة مجهولة أو للتحقق من مسألة أدبية أو تاريخية، أو للاستيثاق من صلاحية بحث للظفر بدرجة علمية، أو لنشر كتاب أو حتى لتوزيعه، أو للبحث عن مسكن يقيم فيه زائر! ..

لقد كان رجلا سخر نفسه بكل طواعية قلب لخدمة الناس ممن يعرف أو لا يعرف. وما أكثر ما أشركني معه في هذه المآرب دون أن يكون لي جلده عليها أو دأبه في متابعتها وقضائها. وماأكثر ما وطأ هذا الرجل أسباب العيش الرخي لقاصديه، فأقبلت عليهم الدنيا بفضل سعيه وتوجيهاته وإرشاداته، وبقي هو في مكانه: محلك سر! ..

وكنت أمازحة بقولي: أنت مستودع الأدب الفلسطيني. فكان يتقبل مني هذه الدعابة لأنه يعرف أنني إنما أبغي وصفه « بعميد الأدب الفلسطيني «. وأعتقد أن مكتبته الخاصة، التي تضم أمهات الذخائر العربية، إنما تتميز عن سواها بأنهم تضم أكبر حشد من الكتب الفلسطينية الحديثة والقديمة، وأعانت خضرمته على اقتناء حتى ماطبع منها قبل نكبة عام 1948. وقد استعار مني غير مرة بعض ماكان عندي من هذه الكتب لاستنساخها بالتصوير وإعادتها حتى لا تخلو خزانته الخاصة. واعترف مثلا بأنني عجزت عن تلبية رجائة المكرر المعاد باستهدائه نسخة من كتاب «كشاجم « الضخم من مؤلفته البارعة الدكتورة ثريا ملحس لأن أبا الفتح كشاجم (الكاتب الشاعر الأديب المنجم المطرب) كان فلسطينيا من الرملة، ولا يصح أن تخلو مكتبة السوافيري منه. ولم يشفع لي عنده تعللي بأن الكتاب مطبوع في نسخ معدودة لتقديمه كأطروحة جامعية، وأن صفحاته التي تقرب من الألف لا يهون استنساخها.

وكنت أقول للسوافيري: إن اقتناء كل أثر هو ضرب من المستحيلات، فكان يجيبني بقوله: إن واجبنا مادمنا على قيد الحياة أن نلغي أسطورة المستحيلات!

وكان في إلحاحه على اقتناء الكتب يذكرني بصديقنا المستشرق المجري عبدالكريم جرمانوس(1884 - 1979) الذي كان يكرر في رسائلة الي قوله: اعذرني إذا ماتحولت إلى شحاذ كتب، فأنا أعيش في عالم شيوعي لا تربطني به إلا صلة الإقامة، فابعث الي بأي كتاب عربي تصادفه إرواء لروحي العطش، وسأظل أشحذ الكتب إلى أن أموت، ولم يكن السوافيري يجد بدوره حرجا في استهداء الكتب.وكنت أقول له: وهل تطمع في مزاحمة دار الكتب الوطنية؟ فيرد قائلا: ولم لا؟ فالدار الوطنية تستهدي الكتب بقانون الإيداع الإلزامي، أما أنا فأستهديها بقانون التآلف الأدبي.

كان أسرع الناس إلى المجاملة وأداء الواجب، لايتخلف عن عيادة أديب مريض، أو توديع جثمان أديب راحل، أو حضور مناقشة رسالة جامعية تربطه بصاحبها صلة، أو الحفاوة بأديب زائر من قطر عربي، أو المشاركة في ندوات لمناقشة الكتب الجديدة، أو حضور المناسبات الشخصية، أو المشاركة في الأنشطة الأدبية المختلفة، وكنت في بعض الأحيان أحاول ثنيه عن هذا النشاط ترفقا بشيخوخته، ناصحا

إياه بالاقتصار على برقية تقوم مقام المشاركة الشخصية في هذه المناسبة أو تلك، ولكنه لم يكن يستوصي بنصائحي قائلا: المشاركة الشخصية غير المشاركة البرقية.

كان برغم كل المثبطات شديد التفاؤل، وما أكثر ماردد في محضري قول الشاعر المهجري إلياس فرحات (1893 – 1976):

حياة مشقات، ولكن لبعدها عن الذل تصفو للأبي وتعذب

وكان كثير المطامح، ولكن في ميدان الأدب وحده فكان يحدثني عن الخلود.. فأحدثه عن «الرزق «. وكان يسألني عن عضوية الهيئات العلمية والمجامع وهل يستحقها، فكنت أقول له إن العبرة ليست بالاستحقاق، ولكن لهذه الهيئات مقاييسها الخاصة، فإن استوفاها كان خليقا بالعضوية، وإن تنكبها تنكبته. وكان يسألني: أليس لنا في الجوائز نصيب؟

فكنت أقول له: إن الجوائز صنفان: صنف يرشح له الأدباء من جهات بعينها، وليس لك على هذه الجهات سلطان، وصنف يتقدم إليه الأديب بنفسه، وفي هذا معنى الالتماس. وأعيذك في الحالتين من احتمال الرسوب وكأنك تلميذ بليد لم يستظهر الدرس! وعندما رغب في استخراج جواز سفر، سئل عن وظيفته فقال: إنني أديب ناقد! فضحك الموظف المنوط به قبول الطلبات، وقال له: إن توصيفات الوظائف لم ترد فيها هذه الوظيفة. فقال السوافيري: ولكنني أستخرج الجواز لأسافر به إلى مؤتمرات الأدب والأدباء، وهم هناك لا يعرفونني إلا بهذه الصفة! وطبعا لم يفلح في إقناع أهل البيروقراط بهذا المنطق، وقنع في نهاية الأمر بأن يوصف في الجواز بأنه من أرباب المعاشات!.

كان السوافيري معمدا بالأدب، هو طعامه وشرابه ودنياه ومشغلته، وطبيعي أن تنصب كل آماله وأحلامه في هذا الباب، حتى إذا ما خاب رجاؤه استشعر الخيوط دون أن يفارقه أمله. فأحسن ظنه بالأيام وبالأدب، حتى انطبق عليه قول الشاعر خليل مطران (1872 – 1949):

أحسنت ظني، والليالي لم توافق حسن ظني
ورجعت من سوق عرضت بضاعتي فيها بغبن
أفكان ذلك ذنبها ، أم كان ذنبي، لا تسلني

واستطرادا لأسباب الجحود التي أحاقت بالسوافيري، لم أتوقع أن يقام له حفل تأبين كالحفل الذي أقيم له في 13 إبريل 1992. وكان قد سألني عن مثل هذا الاحتمال، فقلت له إن حظ الأديب في دنيانا هو « نعي الأسرة « لأن الأدباء يموتون فطيسا كما تنبأ عن موته الأديب عباس حافظ (1896– 1959). وكنت أقول له: وماجدوى التكريم إذا ماجاء بعد انتهاء رحلة الحياة، ثم أسمعه قول الشاعر القروي:

يا أيها الأدباء موتوا لنكرمكم
إن يخبث العيش قد تحلو المنيات
لو بعض إكرامنا للنابغين بدا
منا لهم، قبل أن ماتوا ، لما ماتوا !

ولعل أكبر من فجيعتي في أخي السوافيري حسرتي عليه، لأن آماله العراض لم يتحقق منها إلا القليل. كان يمني النفس برؤية بلاده ومسقط رأسه ومرابع صباه، ولكن الأقدار أبت أن يرى القرية التي حمل اسمها. وكان يتوق إلى إتمام فرائضه بالحج أو بالاعتمار، فحالت دون ذلك وسائله. وكان يرجو، وقد نال من مراتب التخصص أعلاها، أن يكون له مكان أستاذية، في السلك الجامعي، فلم يصب من هذا إلا انتدابات وقتية عارضة في الجامعات الإقليمية؛ توفي عاما وتختفي أعواما. وكان يعتقد بأنه مؤهل لعضوية المجالس العليا لرعاية الفنون والآداب، فلم يظفر منها بطائل. وكان يريد إخراج المخطوط من كتبه فلم تواته الأسباب، بل كان يريد أن يطمئن إلى موضع يوسد فيه بعد موته، فبعث برسالة إلى رئيس اتحاد الكتاب يشير عليه فيها بتدبير مثوى صالح لأعضاء الاتحاد، فدعا له الرئيس بطول العمر ووعده خيرا. ولولا أريحية منظمة التحرير التي ضمنت جثمانه في مقابر الشهداء لتغالظ الموقف أمام أسرته. ولئن شيعت جنازته بليل وفات كثيرين من أصفياء عمره السير فيها، فقد سار وراءه رهط كبير من عارفي فضله واحتشدت قاعة المناسبات بجمهور ضخم من المعزين.

لقد كان السوافيري اسما أضخم من إماكناته المادية والاجتماعية، وهو ما أرهقه في حياته إرهاقا شديدا، وحمله التزامات ثقيلة ناءت بها أسرته المكلولة بعد رحيله. وكأنما شاءت المقادير أن تفجعني في شهر واحد في أخوين شقيقين تساوت أسباب المنية لديهما وتساوت حظوظهما في الجحود. ففي الثامن من فبراير 1992 فجعت في كامل السوافيري، وفي الثاني والعشرين من نفس الشهر فجعت في أخي الشقيق الذي حقق في إسبانيا وأوروبا مرتبة عالية في الفن التشكيلي، وكان جنازته في مدريد مظاهرة ضخمة، ولكن زملاءه في وطنه ومنبته لم يذكروه لو بهاتف.

ومنذ وفاة كامل السوافيري، وانقضاء ثلاثين سنة على رحيله، قلبت جميع الصحف، ولا سيما صفحات الأدب فيها دون أن أقع على سطر واحد في إنصافه باستثناء ماكتبه الأديب الوفي الدكتور عبدالفتاح البارودي، أطال الله بقاءه. فهل صارت منزلة الأديب مهدرة إلى هذا الحد. إنها لمأساة أن يكافأ الأديب بعد عمر ممتد في خدمة الأدب بمثل هذا الصمت المطبق – وكأنه – كما قال الشاعر محمود أبو الوفا (1901 - 1979) مصورا نفسه:

كأنني فكـرة في غير بيئتهـا بدت فلم تلـق فيها أي إقبـال
أوانني جئت هذا الكون عن غلط فضاق بي رحبه المأهول والخالي

فلم تواضع حظ الأديب في المجتمع حتى صار أدنى الحظوظ حيا وميتا؟ وسلام على أبي علاء، أوفى الأوفياء. والبدر في الليلة الظلماء يفتقد.

لمحة عن حياته وموجز عن آثاره في الدراسات الأدبية:

1. ولد كامل السوافيري في قرية السوافير من أعمال قضاء مدينة غزة حاضرة القسم الجنوبي من فلسطين في السادس من (تشرين الثاني) نوفمبر 1917 م، وإلى قريته ينتسب، وفي مدرستها تلقى دراسته الأولى في المرحلة الابتدائية، وزوده والده- وهو من علماء الأزهر الشريف - بقسط من العلوم العربية والدينية، وحبب إليه اللغة العربية منذ نعومة أظفاره.
2. وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية أرسله والده إلى الأزهر الشريف ليكون عالما مثله، وقضى في الأزهر سنوات يرتشف العلم وينهل المعرفة.
3. وفي سنة 1934 عاد إلى فلسطين، وشهد ثورتها الوطنية الكبرى على الانتداب والصهيونية، وأسهم فيها بلسانه وقلمه.
4. وقبل نشوب الحرب الثانية 1939 عاد إلى مصر، وحرص على استكمال دراسته العالية، فدخل دار العلوم في العام الدراسي 1941 – 1942. وقضى بها أربع سنوات حصل في نهايتها على درجة الليسانس في العام الدراسي 1944 - 1945، والتحق بعد ذلك بمعهد التربية للمعلمين، وأمضى به عامين حصل في نهايتهما على إجازة المعهد في التربية والتدريس في العام 1946 – 1947 م
5. عينته وزارة التربية في مصر بعد تخرجه مباشرة، مدرسا للغة العربية في مدارسها الثانوية بمدينة القاهرة، في العام الدراسي 1947 - 1948.
6. واصل دراسته في قسم الدراسات العليا في كلية دار العلوم، وأخذ يعد نفسه للحصول على درجة الماجستير ثم درجة الدكتوراه.
7. وفي 18 أكتوبر (تشرين الأول) 1962 نوقشت رسالته للحصول على الماجستير في مدرج علي مبارك بكلية دار العلوم، وكان موضوعها « الشعر العربي الحديث في قضية فلسطين قبل المأساة وبعدها من سنة 1917 – 1955 » وحصل على درجة ماجستير في اللغة العربية – مادة تاريخ الأدب، بتقدير جيد جدا أو مرتبة الشرف الثانية، ونشرت مكتبة نهضة مصر بحثه في كتابه الأول « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » سنة 1964، في 670 صفحة من القطع الكبير، ونفذت نسخة.
8. وفي 8 سبتمبر (أيلول) سنة 1970 نوقشت رسالته للحصول على الدكتوراه في كلية دار العلوم أيضا، وفي مدرج على مبارك نفسه، وكان موضوعها« الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر » وحصل على درجة دكتور في اللغة العربية – مادة الدراسة الأدبية بمرتبة الشريف الثانية أيضا، ونشرت له مكتبة الأنجلو المصرية بحثه في كتابه الثاني سنة 1973 في 430 صفحة من القطع الكبير، ونفذت نسخة أيضا.
9. وفي مايو (أيار) سنة 1974 نشرت له دار العودة في بيروت كتابه الثالث عن «حياة الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود وشعره»، في 240 صفحة، من القطع الصغير.
10. وفي مايو (أيار) سنة 1979 نشرت له مكتبة الوعي العربي في القاهرة كتابه الرابع «دراسات في النقد الأدبي» في 400 صفحة من القطع الكبير.
11. وفي أكتوبر (تشرين الأول) سنة 1979 نشرت له دار المعارف في القاهرة كتابه الخامس « الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860 – 1960 « في مكتبة الدراسات الأدبية في 400 صفحة من القطع الكبير، ورقمه في السلسلة 76.
12. منحه الرئيس ياسر عرفات وسام القدس، وقال للحاضرين: حيوا معي أستاذي ومعلمي.

من مظاهر نشاطه الأدبي:

بدأ ينشر مقالاته ودراساته وأبحاثه في الأدب والنقد عقب تخرجه من معهد التربية سنة 1947 في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في القاهرة، حيث نشر طائفة من مقالاته في الأهرام والبلاغ وصوت الأمة ومجلة العالم العربي.

وابتداء من سنة 1950 أخذ ينشر مقالاته ودراساته في الأدب والنقد والتاريخ في مجالات الرسالة والثقافة والكتاب في القاهرة، والأديب والآداب في بيروت، والمنهل والحج في المملكة السعودية، والحديث والضاد في حلب، والقلم الجديد وأفكار في الأردن.

ويعتز ويفخر بأنه من تلاميذ مدرسة الرسالة، وقد نوه بذلك صاحب الرسالة المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات في مقاله عن مدرسة الرسالة المنشور في العدد الثالث من مجلة قافلة الزيت الصادر في يولية (تموز) وأغسطس (آب) سنة 1963 وهو يتحدث عن خريجيها والكاتبين فيها.

ولم يقتصر نشاطه على نشر مقالاته وأبحاثه، ولكنه أسهم بفكره في ندوات الأدب، والجمعيات الثقافية، فألقى طائفة من محاضراته في المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين في القاهرة، ورابطة الأدب الحديث، والرابطة الإسلامية، وجمعية الأدباء.

تناولت مقالاته في الأدب والنقد التعريف بطائفة من الكتب ونقد طائفة من دواوين الشعر والمجموعات القصصية، كما تناولت دراسته بعض الشخصيات التي كان لها أثر في الأدب والفكر.

طائفة من الدراسات والبحوث والمقالات التي نشرها في المجلات الأدبية من سنة 1950 إلى سنة 1980

أولا: مجلة الرسالة التي كان يصدرها الأستاذ أحمد حسن الزيات:

1. من وحي فلسطين – كتاب – مجلة الرسالة – العدد 874 – 1950/4/30
2. ذكرى النشاشيبي – مقال – مجلة الرسالة – العدد 917 – 1951/1/29
3. عبدالقادر الحسيني – مقال – مجلة الرسالة – العدد 927 – 1951/4/9
4. أدب الكفاح – مقال – مجلة الرسالة – العدد 960 – 1951/11/26
5. القوة في الاسلام – مقال – مجلة الرسالة العدد 962 – 1951/12/31
6. وحدي مع الايام – ديوان شعر للشاعرة فدوى طوقان 996 – 1952/8/4
7. تاريخنا العربي والحاجة إلى اعادة كتابته – العدد 1012 – 1952/10/24

ثانيا: مجلة الرسالة الجديدة – القاهرة:

8. حصيد الرحى – كتاب يولية (تموز) 1954.
9. عبير الأرض – ديوان للشاعر فوزي العنتيل، يولية (تموز) 1956.
10. شعب الله المختار – مسرحية – للأستاذ على أحمد باكثير، فبراير (شباط) 1958.

ثالثا: مجلة قافلة الزيت:

11. ابن بطوطة الرحالة ورحلاته – العدد 8 – المجلد السابع – فبراير (شباط) 1960.
12. خليل السكاكيني – العدد9 المجلد التاسع – فبراير / مارس 196 (شباط إذار) 1962.
13. البارودي رائد الشعر الحديث – كتاب – تأليف الدكتور شوقي ضيف – سبتمبر / اكتوبر(ايلول تشرين الأول) 1965.
14. شاعرية فدوى طوقان – يولية أغسطس (تموز آب) 1967.

رابعا: مجلة الأديب البيروتية:

15. اللحن الباكي – ديوان الشاعرة جليلة رضا – مارس (إذار) 1955.
16. أعلام الأدب في عصر بني أمية – كتاب – للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي –أغسطس (آب) 1955.
17. محمد روحي الخالدي – كتاب – للدكتور ناصر الدين الاسد، أغسطس (آب) 1971.
18. الدكتور زكي المحاسني – فبراير (شباط) 1973.

خامسا: مجلة الآداب البيروتية:

19. أثر فلسطين في الأدب – مقال – أغسطس (آب) 1953.
20. الحب المحرم – رواية – تأليف السيدة وداد سكاكيني أغسطس (آب) 1955.
21. مصادر الشعر الجاهلي – كتاب – د. ناصر الدين الأسد يولية (تموز) 1957.

سادسا: مجلة المجلة التي أصدرتها وزارة الثقافة:

22. أنور المعداوى الناقد في ذكراه الثالثة فبراير (شباط) – 1970.
23. عبير من دمشق – ديوان – للشاعر عدنان مردم بك –يولية (تموز) - 1970

سابعا: مجلة البيان التي تصدرها رابطة الأدباء في الكويت:

24. النقد الأدبي – مقال – يولية (تموز) – 1970.
25. النافذة المغلقة – مجموعة قصصية – تأليف يوسف جاد الحق – سبتمر (ايلول) 1970.
26. ثقافة الناقد الأدبي – مقال – يونية (حزيران) 1971.
27. ذوق الناقد الأدبي – مقال – أغسطس (آب) 1971.
28. ضمير الناقد الأدبي – مقال – مارس (إذار) 1972.

ثامنا: مجلة الثقافة التي تصدر في القاهرة:

29. حكاية وجدان – ديوان – للشاعر حسين رشيد خريس – العدد 15 – ديسمبر (كانون الأول) 1974.
30. الدكتور محمد غنيمي هلال – مقال – العدد 19 – ابريل (نيسان) 1975.

تاسعا: مجلات مختلفة صدرت في مصر والاقطار العربية:

31. فلسطين في شعر شوقي – الأزهر – القاهرة – 1962.
32. ديوان ابراهيم طوقان – الكتاب العربي – القاهرة – نوفمبر (تشرين الثاني) – 1965.
33. الرصافي في فلسطين – الكتاب – بغداد – ابريل (نيسان) – 1975.
34. القصة في الأدب الفلسطيني – مجلة آفاق عربية – بغداد – يولية (تموز) – 1976.
35. الشاعر محي الدين الصفدي – أفكار – عمان – الأردن – ابريل (نيسان) 1977.
36. الشاعر ابن حمد يس الصقلي – المجلة العربية – الرياض – فبراير (شباط) – 1979.
37. الحوماني شاعر العروبة والاسلام – مجلة الكويت – الكويت – يونية (حزيران) 1979.

عاشرا: مجلة الفيصل – التي تصدر في المملكة العربية السعودية:

38. من كتب التراث – البيان والتبين للجاحظ – العدد 21 ربيع الأول 1399هـ - فبراير(شباط) 1979.
39. من كتب التراث – يتيمة الدهر للثعالبي – العدد 1 – السنة الثانية – رجب 1399 – يونية ويولية (حزيران وتموز) 1979.
40. من كتب التراث – ابن قتيبة وكتابه عيون الأخبار – العدد 40 – شوال 1400 هـ أغسطس وسبتمبر (آب وايلول) 1980.

الذين كتبوا عن كتبه وترجموا لحياته، ونوهوا بجهوده:

أولا: الكتب المطبوعة

- من تاريخنا المعاصر – تأليف الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي – منشورات رابطة الأدب الحديث 1958 تحت عنوان أديب فلسطين من ص 295 – 318 = 23 صفحة.
- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم – تأليف الأستاذ أنور الجندي – منشورات دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت 1967 من صفحة 177 – 184 = 8 صفحات
- من الأدب المقارن – الجزء الثاني – طبعة ثالثة، موسعة تأليف الأستاذ نجيب العفيفي – مكتبة الانجلو 1976.
- من أعلام الفكر والأدب في فلسطين – تأليف الأستاذ يعقوب العودات: البدوى الملثم – عمان – الأردن – 1976.

ثانيا: الذين كتبوا عن كتبه ونوهوا بجهوده العملية في الصحف والمجلات الأدبية

أولا: كتابه الأول: الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من 1917 - 1957.

- الأستاذ علي الجمبلاطي – مجلة الشبان المسلمين – القاهرة – العدد 89 – السنة الحادية والأربعون – يولية (تموز) 1964.
- الأستاذ أنور الجندي – مجلة الآداب – بيروت – يولية (تموز) 1964.

- الأستاذ عبد الصبور مرزوق – مجلة الكتاب العربي – القاهرة – سبتمبر (ايلول) 1964.
- الأستاذ عيسى الناعوري – الأديب – نوفمبر (تشرين الأول) 1964.
- الأستاذ عامر محمد بحيري – مجلة الثقافة التي كانت تصدرها وزارة الثقافة في مصر – العدد 70 السنة الثانية – 17 نوفمبر (تشرين الثاني) 1964.
- الدكتور محمد رجب البيومي – مجلة الأديب – ديسمبر (كانون الأول) 1964.
- الأستاذ وديع فلسطين – مجلة العلوم – بيروت – يناير (كانون الثاني) 1965.
- الأستاذ طاهر الطناجي – مجلة منبر الاسلام – القاهرة – فبراير (شباط) 1965.
- الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى – مجلة الرواد – ليبيا – مايو 1965.
- الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي – مجلة المجلة التي كانت تصدرها وزارة الثقافة في القاهرة – سبتمبر (ايلول) 1965.
- الأستاذ عبد الله يوركى حلاق – مجلة الضاد – التي تصدر في حلب – العدد 3، 4 إذار ونيسان 1971.

ثانيا: كتابه الثاني: الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر

- الأستاذ رضوان ابراهيم – مجلة البيان التي تصدرها رابطة الأدباء في الكويت العدد 91 – اكتوبر (تشرين الأول) 1973.
- الأستاذ محمد العدناني – مجلة الأديب، فبراير (شباط) 1974.
- الأستاذ رضوان ابراهيم – مجلة الثقافة – القاهرة – فبراير (شباط) 1974.
- الأستاذ محمد عبد الغني حسن – مجلة الأديب، مارس (إذار) 1974.
- الأستاذ عامر محمد بحيري – مجلة الأديب، أغسطس (آب) 1974.
- الأستاذ عامر محمد بحيري – مجلة الأديب، أغسطس (آب) 1974.
- الأستاذ وديع فلسطين – مجلة الأديب يناير (كانون الثاني) 1975.

إبراهيم صنوبر
1325هـ - 1904م

د. حسن أبو الرب

إبراهيم صنوبر

١٩٠٤ - ١٩٩٦ م

مقدمة

ارتبط العلم بالدين منذ عصور بعيدة، وكانت الدعوة إلى العلم والتعلم من الأساسات التي انطلق منها الإسلام، وبنى عليها قواعده... حيث أصبح فريضة على كل مسلم، وبقي العلماء طيلة قرون طويلة ركنا رئيسا من أركان الدولة، فكانوا العقل المفكر واليد الصانعة، يزرعون الخير، ويبنون العز والمجد.

وتقديرا لدورهم المميز في بناء المجتمع، وخلق الوعي والمسؤولية ونشر الهدى والصلاح، وتعزيزا لمكانتهم الرفيعة، وتمجيدا لرسالتهم النبيلة فقد ميزهم الله جل وعلا عندما قال (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون..) ثم جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليرسخ هذه المكانة، ويعلي هذه المرتبة بقوله (العلماء ورثة الأنبياء).

هذا الوضع المميز الذي حظي به العلماء في عصور الإسلام لم يبق على حاله، إذ تغيرت الظروف، وانقلبت الموازين، وتبدلت الصورة، وعصفت رياح هوجاء أخذت تعيد البلاد إلى عصور الجهل والتأخر فتفشت الأمراض، وتراجعت الحضارة، ولقي العلم والمتعلمون ضروبا من المهانة والذل، وألوانا من الحصار والتضييق.

أجل لقد عانى القطاع التعليمي في بلادنا معاناة شديدة، جعلت تقدمه بطيئا، وقد ضاعف الالآم والمعاناة خضوع البلاد للاستعمار والاحتلال فكان الطريق صعبا، ومليئا بالمشقات، مما أوجد أعدادا ضخمة من الأميين الذين لا زالت أعدادهم مرتفعة إلى عصرنا عصر التطور والإزهار.

في هذا الوقت الذي ما يزال الجهل منتشرا فيه بأعراضه وويلاته فإننا نجد أن العلماء قد أبعدوا من ممارسة حقهم المقدس في تحريك عجلة الحياة، وتوظيف طاقاتهم وجهودهم المختزنة، في سبيل خلق جيل واع مبدع مفكر.. فقيدت حركاتهم، وحددت أعمالهم، وروقبوا، وعذبوا وشردوا.

لقد مرت سنون كثيرة، فقدنا فيها كل نفيس، ولم يعد الواحد منا يعرف أين وصل! وكيف سينتهي. لكن تلك السنين القاسية، لم تحل دون بزوغ كوكبة مضيئة من الرجال الذين تسلحوا بالعزم والإرادة والإيمان، وشقوا الطريق بين الصعاب، وصنعوا الخير، وبنوا وشيدوا، وكانوا مشاعل وقادة تنير للأجيال الطريق.

إن تعظيم رجالات العلم والثناء عليهم، هو تعظيم للعلم والدين. وتمسك بالتاريخ، وتمجيد للتراث، في وقت يضيع فيه العلم، ويهان فيه العلماء، ويطمس على أخبارهم وآثارهم.

فإلى أولئك الرجال الذين قضوا سنوات طويلة في أداء الرسالة المقدسة، حق علينا ، وعلى الأجيال أن تخلد أسماؤهم، ونسجل أعمالهم الصادقة.

ونحن باعتبارنا أعضاء في الجمعية العلمية في نابلس، وجدنا أن من الأهمية بمكان إعطاء رجال التربية والتعليم عناية كبيرة، أولئك الرجال الذين عانوا من العذاب والمتاعب وعملوا على رفعة هذا البلد وتقدمه، وكانت حياتهم فيضا غزيرا من المحبة والعطاء.

وفي هذا الكتيب أقدم لك عزيزي القارئ شخصية فلسطينية، كان لها باع طويل في ميدان التعليم والتربية، شخصية عريقة في ميدانها، تعد في رجال الرعيل الأول الذين واكبوا مراحل التعليم منذ أواخر الحكم العثماني حتى وقتنا الحاضر مرورا بفترة الاستعمار البريطاني.

إنه الأستاذ إبراهيم صنوبر الذي عارك الحياة أعواما طويلة قضى جلها في سلك التعليم، وتنقل في مناصب متعددة، وتسنى له ما لم يتسن لغيره من الانجازات.

وقد اعتمدت في جمع مادة هذا الكتيب على أحد الأشخاص القريبين من الأستاذ، إذ زودني من المعلومات بما طلبت، ما كان ذلك ممكنا، وذلك أن وَضْع الأستاذ إبراهيم الصحي لا يسمح بـإجراء حديثٍ طويل معه.

وقد أفدت من كتبه التي أصدرها، واتخذتها مصدرا مهما بين المصادر التي وقفت عليها، ونهلت منها، وقد أوليت تلك الكتب عناية خاصة، وكشفت من خلالها عن أفكار الأستاذ، وعما كان يدور في نفسه، وقدمت موجزا عن حياته العلمية في الصفحات الأولى.

وأود الإشارة إلى أن مركز الدراسة والتوثيق في جامعة بيرزيت كان قد أصدر كتيبا عن حياة صنوبر، وقد أفدت منه كثيرا من المعلومات.

وأخيرا أسأل الله التوفيق والقبول، والحمد لله رب العالمين.

حسن طاهر أبو الرب
1994/3/22م

نسبه ونشأته:

هو الأستاذ المربي إبراهيم محمود عبد الله صنوبر، من مواليد عام 1904م، ولد في مدينة نابلس، في الجزء الشمالي من البلدة القديمة، في حارة معروفة تسمى «حارة الحَبَلة».

أما نسبه «صنوبر» فقيل أن أصله يعود إلى قبيلة طيء العربية التي يعود نسبها إلى قبيلة قحطان.
كان والده محمود يعمل في صناعة الأحذية، رغم أن جده عمل في صياغة المجوهرات، وأمه من قرية برقة قضاء نابلس، وتنتسب لعائلة «عمر».

كان لإبراهيم أخ يكبره بثلاثة أعوام وهو أحمد، وأخت تكبره بخمسة أعوام، في السنة التي ولد فيها، توفيت والدته في وباء الكوليرا، فعملت عمتهم على تربيتهم غالى جانب والده.

كانت مدينة نابلس محصورة في حدود البلدة القديمة، لها بوابتان واحدة من الشرق وأخرى من الغرب، تغلقان مع غروب شمس كل يوم، وتفتحان عند الفجر. وكان في المدينة بعض الأسواق وأشهرها سوق التجار القديم وسوق البصل، ويذكر الأستاذ إبراهيم في مذكراته، نقلا عن والده، إن الحياة التجارية كانت تتسم بالتعاون والإخاء في تلك الفترة.

في عام 1916م أغلقت المدارس أبوابها، وذلك بسبب الحرب، وسيطرت الجيش على المباني المدرسية، فعمل مع أخيه في دكان صغير، وكان الجنود أكثر الناس إقبالا على الدكان.

ويتحدث الأستاذ في مذكراته عن شهر رمضان في نابلس في بداية القرن العشرين، فيذكر أنه كان شهرا مميزا، يصوم فيه جميع أهل المدينة كبارا وصغارا، وإن توزيع أموال الزكاة كان يتم في ليلة السابع والعشرين، ووجد في المدينة بعض المقاهي من أشهرها مقهى «المنشية» ومقهى «الشيخ قاسم»، وكان الشيوخ والشبان يترددون عليها للتسلية.

ثقافته:

كان والد إبراهيم أميا، لم يتعلم القراءة ولا الكتابة، هذا لم يحل دون دخول أبنائه معترك الحياة، فالابن الأكبر أحمد دخل المدرسة، ثم التحق بالمستشفى الوطني، أما إبراهيم فقد التحق بالمدرسة الأولى التي كانت تعرف «بالخان»، وهي قريبة من خان التجار، وكانت تعد أشهر مدارس نابلس في ذلك الوقت، كان الأستاذ «أديب مهيار» مديرا لتلك المدرسة آنذاك.

كانت البلاد في ذلك الوقت تخضع للحكم العثماني، وتبعتْ نابلس ولاية بيروت، حيث أن المناطق التي سيطرت عليها الدولة العثمانية كانت تقسم إلى ولايات، وكان التعليم في تلك الفترة مجانا، فالمدارس حكومية، تتصل بالدولة، والمدرسون موظفون فيها، أما لغة التدريس فقد كانت العربية والتركية.

كان الأستاذ إبراهيم في صغره من الطلبة المتفوقين، الذين وهبوا قسطا كبيرا من الذكاء والفطنة، والأخلاق العالية، فقد أنهى دراسته الابتدائية عام 1913م، وكان يحافظ على الترتيب الثاني بين زملائه.

ثم التحق بالمدرسة الراشدية الإعدادية التي تقع مقابل المستشفى الوطني، ورغم أحداث الحرب العالمية الأولى، وما تبع ذلك من إغلاق للمدارس، وتغيير شامل في الموازين الدولية، والمؤثرات الخارجية وانفجار الأوضاع نحو الأسوأ، رغم كل ذلك انتظر إبراهيم صنوبر حتى أعادت حكومة الانتداب البريطاني فتح المدارس.

مع الوضع الجديد الذي تمثل بتقسيم الوطن العربي إلى مناطق نفوذ للسيطرة الاستعمارية، حدث تغييرٌ في المناهج الدراسية، فحلت المناهج المصرية مكان المناهج التركية، وسميت الصفوف الإعدادية ثانوية، وتحولت المدرسة الراشدية من تعليم الذكور إلى تعليم الإناث، فانتقل إلى المدرسة الصلاحية الثانوية حيث أنهى فيها تعليمه الثانوي.

في عام 1920م كان الأستاذ (إبراهيم) قد أنهى المرحلة الثانوية، هذه المرحلة التي كان يصح للطالب بعدها أن يصبح معلما، شرط أن يتقدم لامتحانين ويجتازهما بنجاح، والأستاذ كان محباً للتدريس، لديه رغبة قوية، وقدرة جيدة على ممارسة هذه الوظيفة المقدسة.

تقدم الأستاذ للامتحان دون الأدنى، لما رأى منه مفتش المعارف من لباقة ومقدرة على التدريس، وكان آنذاك متخصصا في الرياضيات.

الوظائف العلمية التي عمل بها:

يروي الأستاذ إبراهيم في مذكراته (صفحات من الذاكرة الفلسطينية) التي نشرها مركز الدراسة والتوثيق في جامعة بيرزيت، يروي أنه حين نجح في امتحان المعلمين عرض عليه أخوه أحمد السفر معه إلى الشام لاستكمال الدراسة هناك، إلا أنه رفض ذلك مفضلا وظيفة التدريس[1].

أول تجربة خاضها الأستاذ في حقل التعليم كانت حين عين مدرسا في مدينة بئر السبع عام 1920م، براتب قدره سبعة جنيهات مصرية، ولكن المقام لم يطل به في بئر السبع، وذلك أنه نقل إلى غزة حيث وجد صاحبه القديم «كاظم عاشور» الذي كان يشغل منصب المدير في تلك المدرسة التي عين فيها الأستاذ إبراهيم.

ويذكر الأستاذ أيضا في تلك المذكرات أن مدينة غزة كانت تشبه مدينة نابلس في بنيتها العائلية، وأن الحياة فيها كانت جيدة، لذلك استدعى أخاه وأخته للإقامة معه في غزة، ويذكر أيضا وصول بعض المجلات المصرية إلى غزة، كمجلة المقتطف والهلال، وأنه تلقى من المقتطف هدية، وهي عبارة عن كتاب في (بسائط علم الفلك). وبعد أن مكث في غزة ثلاث سنوات أعيد إلى بئر السبع ثانية، ولكن بمنصب مدير لمدرسة ضمت الذكور والإناث، وفي هذه المدرسة تسنى له التعرف على زلفى شعبان بسيسو، وكانت طالبة متفوقة يعود أصلها إلى غزة، وزلفى هذه هي التي اختارها الأستاذ لتكون شريكا لحياته، فتزوج منها وهو في سن الحادية والعشرين.

انتقل الأستاذ من جديد إلى الرملة حيث رزق هناك بمولوده الأول عصام الذي عمل بعد تخرجه في ضريبة الدخل في القدس، ثم غادرها إلى السعودية، ورزق بمولوده الثاني عصمت عام 1927م التي استطاعت الحصول على شهادة الطب (تخصص أمراض النساء والتوليد) من جامعة لندن. وأثناء عمله في الرملة أخبره مفتش المعارف أن الإنجليز يفرضون عليه رقابة صارمة وأنهم يعلمون نشاطه السياسي في اللد والرملة إذ كان في نظرهم رئيسا للحركة السياسية في المدينتين.

ويرى صنوبر أن السبب في ذلك يعود إلى أن مدير بوليس الرملة المصري الجنسية أدرك أن صاحبنا كان يقف خلف مظاهرات طلاب مدرسته التي جرت عام 1929م.
كان زلزال عام 1927م من أهم الأحداث التي شهدتها فلسطين أثناء عمله في الرملة، وقد وقع بعد انتهاء الدوام الرسمي بساعتين، وكان في تلك الفترة ما يزال داخل المدرسة يراقب أحد الصفوف الذي يتأخر دوامه إلى ما بعد الثالثة مساء.

نقل الأستاذ بعد ذلك من الرملة، وعين في طبريا عام 1932م حيث مكث أربع سنوات، ثم تحول بعدها إلى مساعد لمفتش معارف لواء الجليل في حيفا في عام 1936. ويذكر لنا كلفة الحياة في تلك المدينة، وغرابة الجو فيها، وإذا ما قيس بغيره من المدن التي تنقل إليها، وبسبب ذلك أقام في عكا، فكان عليه أن يذهب صباحا إلى حيفا، وأن يعود في المساء إلى عكا. وفي طبريا كان للأستاذ علاقة مميزة بوالد الشيخ المعروف محمد وجدي الطبري الذي كان يحظى بأهم منصب إسلامي في المدينة، وقد دعاه مرة إلى مأدبة غداء أقيمت تكريما للحاج أمين الحسيني.

في عام 1940 عاد الأستاذ إلى الجنوب كي يعمل هذه المرة مساعدا لمفتش مدينة القدس، ويعين عضوا في لجنة فاحصة لامتحان الشهادة العليا لمعلمي المدارس الثانوية في اللغة العربية إلى جانب الدكتورين اسحق موسى الحسيني وعبد الحافظ كمال.

بدأت الظروف تتغير شيئا فشيئا، فبريطانيا تعزم على الرحيل وتقوم بإجراء تغييرات كثيرة أهمها ما كان في دائرة المعارف، إذ وضعت خططا جديدة تم على أثرها نقل الأستاذ إلى مدينته نابلس سنة 1945م، بمنصب مفتش جديد لها. وأثناء عودته كانت تراوده أحلام وآمال كثيرة سعى لتحقيقها، وعلى رأس هذه الآمال؛ فتح صف ثالث ثانوي في منطقة نابلس وجنين وطولكرم وقلقيلية، حيث لم يكن مثل هذا الصف موجودا من قبل في تلك المناطق، وخلال عمله مفتشا استطاع أن يحقق تلك الأحلام.

وفي عام 1948م، قبل الحرب، كان إبراهيم صنوبر قد عين مراقبا عاما لإدارة معارف فلسطين، ولما انتهت حرب عام 1948م، وكان ما كان، من قيام إسرائيل على أكثر من ثلثي أرض فلسطين، وانضمام «الضفة الغربية» للمملكة الأردنية الهاشمية، فعين إبراهيم صنوبر مساعدا لوكيل وزارة المعارف الأردنية، ثم أصبح وكيلا للوزارة نفسها مما مكنه من تحقيق مزيد من الانجازات، فأقام في كل لواء مدرسة، وبذلك تم انشاء مدرسة الملك طلال في نابلس، ومعسكر عمل في ملعب بلديتها، وعندما عقد اجتماع لوزراء المعارف في مصر عام 1953م، تسنى له مقابلة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر. وما لبث إبراهيم صنوبر

حتى استقال عن منصبه. ويروي لنا في مذكراته سبب استقالته من الوزارة فيقول:

(تلقيت مكالمة هاتفية من وزير الدولة تشير إلى أن رئيس الوزراء يرغب في ترقية معلمة، فحولت ملف المعلمة المقصودة إلى لجنة الترقيات في الوزارة، فأخبرني خليل سالم، رئيس اللجنة، أن دور (المعلمة) في الترقية يأتي حسب التعليمات، في آخر قائمة انتظار تضم أسماء (300) معلم ومعلمة. وعندما علمت ذلك لم أتردد لحظة واحدة في تكليف خليل سالم أن يتصل بالوزير ليبلغه أسف الوزارة لعدم استطاعتها سيضمر لي العداء، وأن الجو السائد لم يعد يناسبني، فكتبت إلى وزير المعارف أخبره اعتبارا من يوم غد 1959/2/21م اعتبر نفسي في إجازة.

واعتبارا من ذلك التاريخ لم يداوم في الوزارة ثم ترك عمان عائدا إلى نابلس[2]، حيث واصل الكتابة والقراءة، وبعد فترة قصيرة تم تعيين «هزاع المجالي» رئيسا للوزراء فطلب من الأستاذ العودة إلى الحكومة في أي وظيفة يختار، وبعد ذلك زاره كل من أكرم زعيتر وكامل شريف وأخبراه أن الملك نفسه يريده مديرا لسكة الحديد أو الطيران المدني، أو أي عمل آخر يرضاه. ووصل الأمر ذلك أن ابنته الدكتورة تعترض على عمله في الخارج.

لكنه عين-فيما بعد- عضوا في مجلس الأعيان الأردني بتاريخ 1962/3/1م وبقي فيه تسعة أشهر، ثم استقال مع بقية الأعضاء.

وبعد عام 1967م خضعت الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وكانت المدارس قد بدأت عطلتها الصيفية، وكان امتحان الشهادة الثانوية العامة على الأبواب وسعى رئيس بلدية نابلس آنذاك (حمدي كنعان) لتشكيل هيئة فلسطينية تشرف على مدارس الضفة الغربية، للتحضير لامتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة(التوجيهي). وفي عام 1968م أصدر الحاكم العسكري للضفة الغربية أمرا بتشكيل لجنة امتحانات عامة، كان الأستاذ إبراهيم صنوبر عضوا فيها، ورغم محاولته رفض ذلك إلا أن حمدي كنعان أصر أن يكون إبراهيم عضوا في اللجنة، ولعل خبرة الأستاذ الطويلة في مجال التعليم، ومعرفته في أمور الامتحانات هي التي جعلت حمدي كنعان يصر على إدخاله عضوا.

بعد ذلك عين الأستاذ رئيسا للجنة، ولعب دورا بارزا في حل مشكلة الطلاب المفتعلة حيث كان أول من اقترح إقامة قاعات في السجون. وتحت موافقة السلطات على ذلك.

وعندما أقيم صرح جامعة النجاح، دخل الأستاذ عضوا في مجلس الأمناء إلا أن دخول التيارات السياسية جعله يسحب عضويته من المجلس.

حياته وآثاره:

لم يكن حال التعليم في فلسطين في العشرينات أفضل من الوضع الاقتصادي أو السياسي، فالمدارس محدودة، والوضع سياسي أكثر منه تعليمي، وكان الذين ينقطعون عن التعليم أكثر من الذين يواصلون. ومن طبيعة الظروف في تلك الحقبة، أنها كانت تجعل من المتعلم مدرسا في سن مبكرة من شبابه الغض، فالطالب الذي يكمل المرحلة الثانوية، كان في ذاك الوقت قد بلغ مرتبة عالية، وقسطا وافيا من التعلم ويصبح بوسعه أن ينطلق إلى حياته المهنية.

وإبراهيم صنوبر لم يكد يجاوز السنة السادسة عشرة من عمره حتى ورده كتاب دائرة المعارف، يعرض عليه الوظيفة، في هذا السن المبكر، ولم تكن الوظيفة آنذاك تختلف بمعناها السامي عن وظيفة اليوم، فهي أمانة، ومسؤولية، تحتم على المعلم التحلي بالثقة، والشجاعة، والتمكن، وكان صنوبر يحمل إلى جانب هذه الصفات حبه الشديد للعلم ولبلده، ويشعر بأهمية التعليم، ومدى حاجة أبناء وطنه إليه، لهذا رفض ما عرضه عليه أخوه من السفر إلى الشام لمواصلة تعليمه.

كانت سنين الوظيفة في حياته سنين اتصال مباشر مع عقول الناس، واتصاله بهم هو اتصال بمعاناتهم، وبمعاناة التعليم خاصة، وبالتالي التعرف على سليبات الاستعمار البغيض وآثاره السيئة على بلده وتقدمه وازدهاره. والى جانب ذلك كان صدقه وإخلاصه يسيران، وإيمانه الراسخ بالبناء والعطاء، ولولا كفاءته وصدقه لما تنقل في الوظائف العديدة، وحصل على الدرجات الرفيعة، التي بدأها بسيطا وانتهى بعضوية مجلس الأعيان.

تزوج الأستاذ – كما ذكرنا سابقا- من طالبة كان يدرسها بنفسه، وهي زلفى بسيسو، وهي من أصل غزي، ولم يكن آنذاك قد تجاوز الحادية والعشرين، ورزق منها بسبعة أولاد، استطاع أن يؤمن لهم حياة هانئة وتعليما راقيا، فحصل أربعة منهم على الشهادات الجامعية، وأكبرهم ابنه عصام، الذي استقر في السعودية وتجنس بجنسيتها، وحصلت ابنته عصمت على شهادة التخصص في طب أمراض النساء كما ذكرنا سابقا.

إن ممارسته لعمله ودخوله الحياة الزوجية لم يمنعاه من نشاطاته اليومية، وكان له في كل مدينة ينزل بها حركة ريادية، ونشاط فاعل مميز، ففي أثناء عمله في القدس اختير مسؤولا عن لجنة فاحصة لامتحان الشهادة العليا لمعلمي المدارس الثانوية.

واثناء عمله في عكا عين عضوا في لجنة لحل مشكلة في قرية البصة، من أعمال عكا، وكان من الأعضاء الذين أسند إليهم التحقيق في اضراب المدرسة الصناعية في حيفا.

لقد كان لمشاعر الخير والإصلاح، التي كان يكنها في نفسه، أثر كبير ودافع نحو العمل المتواصل، فنراه يقوم بنقل فكرة تأسيس جمعية البر الخيرية إلى نابلس بعد أن لاحظ نجاحها في عكا. وعندما عمل مفتشا للمعارف في نابلس، وكان الاستعمار البريطاني قد بدأ يدق طبول الرحيل، رأى أن يستغل الوقت بالطلب من وزارة المعارف بإنشاء مدارس حكومية على غرار ما فعلت تركية، حيث كان يدرك تماما أن إمكانات الدولة، وما تستطيع أن تفعله، يفوقان إمكانات الشعب الرازح تحت الظلم والفقر، فتمكن من إقناع الإدارة بفكرة توسيع مدرسة ابن قتيبة في نابلس، وتوسيع المدرستين الفاطمية والغزالية.

مؤلفاته:

لقد أنجز إبراهيم صنوبر الذي ما زال يعيش ما تبقى من زمانه بين أهله وأحبابه أعمالا جليلة وترك لنا أثارا ثمينة تنم عن ثقافة ووعي واسعين، حيث جعل حياته عملا دؤوبا، بيده ولسانه وقلمه، فترك لنا مجموعة كبيرة من الكتب والكتيبات التي ألف جزءا منها بنفسه، والجزء الآخر كان يشترك فيه مع زملاء له في مختلف المباحث، في الدين والحساب والهندسة، وفيما يلي نستعرض المؤلفات التي أنجزها بمفرده، وهي:

1. من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد صدر في عام 1967م وطبع منه اثنا عشر ألف نسخة، وتم توزيعه في جميع أنحاء الوطن العربي.

وقد اقتصر جهد المؤلف في هذا الكتاب على الجمع والترتيب، وبعض الشرح، وقد جاء في مقدمته: (أحمد الله العلي القدير على أن وفقني لجمع هذه الأحاديث وليس لي فيها سوى ترتيبها، والتأليف بين أجزائها، ولم أقصد من وراء اختيارها أن أكون شارحا لها، إذ أنني لست من رجال هذا المقام، ولكني حاولت أن أوضح غريب ألفظاها من ناحية لغوية، كما قمت بشروح بسيطة وتعليقات اقتضتها المناسبات، وذلك تيسيرا لحسن فهمها وإدراكها)[3].

ثم يذكر أن أهم المصادر التي استقى منها الأحاديث هي صحيح البخاري ومسلم وكتاب الجامع الصغير للسيوطي، وغير ذلك من المصادر الدينية.

وقد سلك في كتابه ترتيبا ابتثيا للأحاديث، فبدأ مثلا في حرف الهمزة بالأحاديث التي تبدأ بهذا الحرف مثل الأب والأم، والآثام والخطايا والأذان. ثم الباء، واشتملت على مابدأها مثل البؤس، والبخل وبطانة الخير وبطانة الشر والبيع.

وهكذا حتى نهاية الكتاب.

ويتألف الكتاب من مائتين وثلاثين صفحة بدأها بمقدمة، ثم بتفسير معنى الحديث النبوي، وتحدث عن أقسام الحديث واصطلاحاته، وأردف بموجز من حياة البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي، وابن ماجة.

2. دليل مسلم، و قد ألفه في السبعينات، وهو في العبادات والمعاملات، ويتألف من مائة وعشرين صفحة تقريبا. تحدث فيه عن كثير من الموضوعات التي تهم الناس في معظم أحوالهم، مثل طهارة البدن، والثوب، والمكان، وتحدث عن النية، وعن الوضوء والغسل والتيمم وكيفيته، وأوقات الصلاة ومبطلاتها، وقضاء الغائب منها. وتحدث أيضا عن الصيام وشروطه وأحواله، وعن الزكاة والأموال التي تجب فيها، وعن الحج والعمرة، والزواج والطلاق والبيع والوصية والمواريث، وغير ذلك من مواضيع.

3. بهذا يعرف الله ولهذا يعبد: وقد ألفه في مطلع الثمانينات ويتكون الكتاب من سبع وتسعين صفحة. والكتاب كما يقول صنوبر في نهاية مقدمته: (كتاب ثقافة عامة دينية ودنيوية، اذكرهم

فيه بما يعرف به الله، سبحانه وتعالى، من مآثر جمة على الجنس البشري، لا تسهل الإحاطة بها كلها، ولذا حق الله علينا بعبادته كما أمرنا، وأن نعمل، ما دمنا في هذه الحياة الدنيا، على أن تكون حياة حب في الله ورسوله.

فنعبده حق عبادته، ونقدم بين يديه صالح الأعمال، ونتحلى بفضائل الأخلاق، كما أذكرهم بعظمة الله ووحدانيته، وعصمته وكماله وجماله، وقدرته فيما خلق، وإعجاز قرآنه، ورسالة خاتم أنبيائه الذي بعثه رحمة للعالمين)[4].

وإضافة لذلك فقد بين ما يحق للإنسان أن يتمتع به من نصيب في حياته الدنيا، وما يجب أن يتحلى به من إيمان هو جوهر الإسلام، ليكون من أصحاب الجنان، ثم ختم كتابه ببشرى القرآن إلى الخاطئين من الناس، والأستاذ في عرضه لهذه الموضوعات يستعين كثيرا بالآيات القرآنية، وبما ورد من قصص للأنبياء، عليهم السلام، ليعزز ما جاء به. وكان يستعين أحيانا بآراء بعض المفسرين وبإجمال، يمكن القول إن هذا الكتاب يكشف عن مدى ثقافته الدينية، ومدى وعيه واهتمامه بعلوم الدين، وحرصه على أن تصل أفكاره الدينية إلى قلب كل مسلم حيثما كان. وقد طبع الكتاب في عمان عام 1982م.

المؤلفات التي أسهم في تأليفها

اشترك صنوبر مع بعض زملائه في تأليف عدد من الكتب، وأسهم فيها بخبراته وتجاربه في المناهج المدرسية، التي اعتمدت زمنا طويلا في المدارس. وهي:

1. مبادئ في الدين الإسلامي، ج1، للصف الثاني الابتدائي، شاركه في التأليف الشيخ عبد الحميد السائح، وإبراهيم القطان.
2. مبادئ في الدين الإسلامي، ج2، للصف الثالث الابتدائي، شاركه في التأليف علي حسن عودة.
3. مبادئ في الدين الإسلامي، ج3، للصف الرابع الابتدائي، شاركه في التأليف علي حسن عودة.
4. مبادئ في الدين الإسلامي، ج4، للصف الخامس الابتدائي، شاركه في التأليف علي حسن عودة.
5. مبادئ في الدين الإسلامي، ج5، للصف السادس الابتدائي، شاركه في التأليف علي حسن عودة.
6. أصول الحساب الحديث، ج1، للصف الرابع الابتدائي، شاركه في التأليف خليل السالم، علي شعث، زهير الشهابي.
7. أصول الحساب الحديث، ج2، للصف الخامس الابتدائي، شاركه في التأليف خليل السالم علي شعث، زهير الشهابي.
8. أصول الحساب الحديث، ج3، للصف السادس الابتدائي، شاركه في التأليف خليل السالم، علي شعث، زهير الشهابي.
9. أصول الحساب الحديث، ج5، للصف السابع الابتدائي، شاركه في التأليف خليل السالم علي شعث، زهير الشهابي.
10. أصول الهندسة الحديثة، ج1، للصف الخامس الابتدائي، شاركه بالتأليف خليل السالم، علي شعث، زهير الشهابي.
11. أصول الهندسة الحديثة، ج2، للصف السادس الابتدائي، شاركه بالتأليف خليل السالم، علي شعث، زهير الشهابي.
12. أصول الهندسة الحديثة، ج3، للصف السابع الابتدائي، شاركه بالتأليف خليل السالم، علي شعث، زهير الشهابي.

ختامه مسك:

وقد اختتم إبراهيم صنوبر حياة التأليف والكتابة، برسالتين صدرتا له عام 1986م عن مركز التوثيق والأبحاث في جامعة النجاح الوطنية، وقد توجه بهما إلى الجامعيين، واحدة للجامعيين العرب في المجتمع العربي، والأخرى موجهة للعاملين العرب في ميدان التربية والتعليم، والرسالتان في كتيبين منفصلين لا يزيد الواحد منهما عن ثلاثين صفحة من النوع المتوسط.

لكنك تشعر وأنت تقرأهما انك أمام إنسان سبر أعماق الحياة، وعاد إليك بالنافع المفيد، تشعر انك تقف أمام مرب مجرب غيور على أمته، حريص على إنهاضها من سباتها العميق المؤلم.

يصف لك الداء الذي سقمت منه البلاد، وكأنه، في وصفه، يمسك لك بذلك الداء ويضعه أمام عينيك، فترى كيف تمكن من الأمة، وانشب أظفاره فيها، وأقعدها على عتبات التأخر، وهو في الوقت نفسه لا ينصرف عنك مكتفيا بعرض العلة، بل يعطيك البلسم الشافي لهذه الاسقام كل ذلك بروح المؤمن الصادق، وقلب العربي النابض بالعروبة، والغيرة على عزها ومجدها.

فكره من خلال الرسالتين:

في هاتين الرسالتين، لا يشعر الإنسان انه أمام كاتب مختص في مجال معين، بقدر ما يحس ويدرك عظمة ذلك الكتاب، وعظمة تلك الأفكار التي ينادي بها، فهو قد خرج عن نطاق الذاتية والاختصاص في موضوع فرعي، واعتلى منبر الواقع المؤلم الذي تعيشه الأمة العربية في شرقها وغربها، وشمالها وجنوبها، تلك الأمة التي لم يتيسر لها حتى الآن ركوب قطار الحضارة إلى جانب الدول المتقدمة، والتي مازالت تعاني من صنوف الآلام والويلات والتأخر، وكأن صنوبر وعى كل هذه المشاكل، وتفهم كل هذه العلل، فأخذ يعرض الحالة السيئة، بكل ما فيها من أسى ومرارة...

وتراه يقصر خطابه على عقول الطبقات الواعية، وأصحاب الضمائر الحية، بقلب الإنسان المؤمن، الذي ينتسب لدين يعز العلم والتقدم ويذم الجهل والانحطاط، ويعظم الوحدة والاتفاق، وينبذ التمزق والشقاق. وبروح المواطن العربي الذي ذاق ويلات الاستعمار، ورأى أبناء أمته يقاسون الظلم، ويتألمون لمجدهم الضائع، وعزهم الغائب.

وفي حديثه عن مشاكل الأمة العربية، اعتبر صنوبر أن أكبر هذه المشاكل هي مصيبة الجهل الكامنة في كثرة أعداد الأميين العرب، رغم وجود حوالي ثمانية ملايين إنسان يحملون الشهادة الجامعية، ويقدر عدد الأميين بحوالي اثنين وثلاثين مليونا.

من خلال هذه النتيجة نراه يحمل الجامعيين المسؤولية الكبيرة عن هذه الأعداد الضخمة من الأميين، لأن باستطاعتهم أن يسهموا في التقليل من هذه النسبة والحد منها.

فهو يرى أن الجامعة في أصلها إنما وجدت لإعداد رجال وسيدات جامعيين فيهم الكفاية، ولديهم القدرة لقيادة الأمة في مختلف نواحي الحياة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعلميا، لكننا لا نكاد نرى دورا لهؤلاء الجامعيين.

ثم يقارن بين دور الجامعة في الغرب ودورها عند العرب فيقول: « وقد لعبت بعض الجامعات، مثل باريس وأكسفورد وغيرهما، دورا كبيرا في الحياة العامة والشؤون الدينية والسياسية...» « أما في العالم العربي فلم يبدأ بتأسيس الجامعات بمعناها المعروف في الغرب إلا في القرن التاسع عشر»[5].

ويذكر الأستاذ أن دولة زائير، بعد حصولها على الاستقلال سنة 1960م، عندما فكرت في إنشاء حكومة، بدأت بالبحث عن الجامعيين، وكان عددهم آنذاك سبعة عشر جامعيا(6).

إن الجامعيين بنظر الأستاذ هم مركز الثقل في حياة الأمة، وهم سيرتها وسلوكها، وهم عقولها الواعية المفكرة، التي يجب أن تمارس دورها البارز والطليعي، بكل قوة وثبات، ومن أجل ذلك كله يرى أن على هؤلاء الجامعيين أولا أن يوحدوا صفوفهم تحت اسم (اتحاد الجامعيين العرب) ليستطيعوا حل مشاكل الأمة، وعلى رأسها مشكلة الأمية.

لعل رحلة صنوبر الطويلة في العلم والتعليم، وما شغله من مناصب في هذا المجال، جعله يدرك أهمية هذا القطاع، وإمكانية الدور الذي يمكن أن يلعبه في المجتمع ويؤدي به إلى الرفعة والازدهار، وبهذه المشاعر اللاهبة، والروح الصادقة، جسد أستاذنا انتماءه للدين والأمة. وهو يكشف عن نظرته القومية، حين يرى أن وجود اتحاد للجامعين العرب يمكن أن يتحول مع الزمن ليصبح اتحادا سياسيا بين الدول العربية تحت اسم (اتحاد الدول العربية)، وليس هذا بعجيب ولا غريب على أمة تمتلك الروابط والدعائم التي من شأنها تجسيد هذا الاتحاد، ويتساءل كيف أصبحت الهند شعبا واحدا وهي تفوق عددا الأمة العربية مرتين، وكيف اندمجت شعوب الاتحاد السوفياتي في دولة واحدة، وكذلك ولايات أمريكا، فلماذا لا يندمج العرب وهم أقرب الناس إلى الوحدة والاتحاد؟!

على الجامعيين العرب في قاموس صنوبر أن يصنعوا الحياة السعيدة لشعوبهم وأمتهم، وعليهم أن يشاركوا بأيديهم وعقولهم وقلوبهم في صنع تلك الحياة في جميع مجالاتها سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا.

اقتصاديا بإمكانهم أن يوفروا الكفاية في إنتاج ما يحتاجه الشعب العربي من حبوب ولحوم وطاقة، والعدل في توزيع المحصول على الناس. ويمكن للاتحاد الاقتصادي إذا ما أراد العرب إنجاحه أن يحقق لهم وحدة سياسية تضمن لهم القوة، ولعب دور مؤثر في حل مشكلهم ومشاكل الشعوب الأخرى. ويمكن لهذا الاتحاد أن يوجه نداء لكل الجامعيين وأصحاب الخبرات الذين درسوا خارج الوطن العربي، وما زالوا يبنون غير وطنهم أن يعودوا إليه ويسهموا في تقدم وتطوير هذا الوطن. كما يستطيع هذا الاتحاد أن يجعل المناهج الدراسية والهيئات التدريسية ذات نظام واحد، يلبي القيم والأعراف والمبادئ الفاضلة التي حث عليها الإسلام، مثل الشجاعة والصدق، والإخلاص وغير ذلك.

إن هذه الصيحات والنداءات التي يوجهها صنوبر إلى الفئات المثقفة في الوطن العربي، إنما تنادي فيهم الضمير الحي، وتستصرخ فيهم الهمة والمروءة والانتماء، وأنت تستطيع أن تشعر بحرارة هذا النداء في كل سطر من رسالته، وتلحظ ذلك عندما يقول: (ألا إن الإنسان الحق، والجامعي الحق برسالته السامية، وأن الرسالة أخلاق، وإن الأمم أخلاق، والعلم أخلاق، والزعامة الحقة في الدنيا أخلاق...).

وانظر إليه وهو يتساءل (ما هي الرسالة التي يحملها كل منا في طيات قلبه، ما هو الخير الذي يبتغيه الواحد منا لبني قومه، ما حال شاهدنا في قَسمه، وبائعنا مع عملائه، وعاملنا في عمله...). ويختم نداءه بهذه الكلمات (فمن لهذه الأمة أن يسير بركبها نحو مجتمع أفضل وأسمى، من لهذه الأمة أن يعيش من أجلها ويفنى في خدمتها، ويعمل في سبيل عزتها وسعادتها وهنائها ومستقبل ذراريها، من لهذه الأمة أن يحفظ كرامتها ويعلي شأنها ويجعل لها سامي المقام. أنهم رجالها وسيداتها، وأنهم لجامعيوها الأخيار الأبرار والسلام...)[7].

أما في رسالته الثانية التي وجهها إلى الجامعيين العاملين في حقول التربية والتعليم والذين يبلغ تعدادهم مليون موظف، فقد استمر في ندائه الحار إلى هذه الفئة المثقفة من الأمة، داعيا إياها إلى أن تعي دورها المهم في المجتمع، عن طريق غرس الخير والوعي وتشجيع الإبداع والابتكار في نفوس المتعلمين وطلبة العلم، وأن تعلمهم معنى الحضارة بالشكل الصحيح كما يقول في ذلك: (قولوا لهم إن الحضارة هي مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي، قولوا لهم إننا نعني بالحضارة نمطا من الحياة يتميز بخطوط وألوان من التقدم والرقي، وأن لكل حضارة أدواتها، ومصنوعاتها، وقدرتها التقنية، ونظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولغتها، وكتابتها، وعلمها، وفلسفتها ودينها، وأدبها، وفنها، وما إلى ذلك من الصور والمظاهر...)[8].

ولعل صنوبر قد لمس مساوئ الحكم الفردي، وأثره على الأمة، وما يعانيه المواطن من الخوف، والكبت والانعزال. وما تعانيه الشعوب من الضياع والتمزق، فدعا الجامعيين إلى زرع الثقة بالنفس، وكل معاني الديمقراطية في نفوس التلاميذ، وبين أن الديمقراطية تساعد كثيرا على إيجاد دوافع الإبداع والاختراع ووسائل الرقي، ويتذكر عبارة لونستون تشرشل خاطب بها شعبه قائلا: (لمْ تعد لك الامبراطورية التي كانت الشمس لا تغيب عنها، وليس لك بعد الآن ما تعتمد عليه في حياتك سوى ما تنتجه عقول أبنائك من ابتكارات واختراعات وتقنية).

ويقول إن الدول المتطورة قبل أن تصنع القنابل الذرية وتنزل على سطح القمر قامت بآلاف الاختراعات والمبتكرات، ويتساءل كم من الزمن يحتاج العرب حتى يلحقوا بتلك الدول؟! وهو في سؤاله يصنع مصطلحا جديدا هو الزمن التكنولوجي الذي يعني به وحدة قياسية من الاختراعات التي تتم في سنة زمنية واحدة في أرقى دول العالم تقنية، ويأتي بكلام قاله المعنيون بالتقنية العالمية مفاده: أن الصين تحتاج إلى مائة سنة زمنية لتلحق بالاتحاد السوفياتي، وأن الاتحاد السوفياتي يحتاج إلى عشر سنين ليلحق بالولايات المتحدة، واليابان تحتاج إلى ثلاثين سنة لتلحق بأمريكا.

ويسأل: فأين نحن من هؤلاء وأولئك؟!

ونداء إبراهيم صنوبر ينطلق على هذه الشاكلة. من الجراح المؤلمة، والعلل المستأصلة ومن الشكاوي التي يرفعها المظلمون والبسطاء والفقراء في هذه الأمة، نداء حار لا يحمل إلا الصدق والانتماء، والغيرة على أمته وحرصه على هذا الدين.

يمضي صنوبر في حديثه عن الآلام والمشاكل، وفي كل مشكلة يرسم للناس طريق الأمل والنجاة، ويضرب لهم الأمثال ويأتي لهم بالعبر، من التاريخ العربي، ومن التاريخ العالمي.

ومن جميل ما جاء به، كلامه عن جورج واشنطن، ذلك العالم الزراعي والعبد الرقيق، كيف أنه نال أعلى الشهادات العلمية بكده وتعبه، بعد أن كان عبدا مملوكا يباع أبواه في سوق النخاسة، ويشتريهم البيض للخدمة الشاقة والمذلة، وكيف أن هذا العبد – جورج واشنطن- كان قد بدأ مختبره بما كان يجمعه من أكوام القمامة من زجاجات فارغة، وذلك لفقره الشديد، الذي حال في البداية دون شراء زجاجة اختبار واحدة. وانتهى أمره إلى أن نال أعلى المكافآت والرتب، وبنى له بيتا خاصا به، وبعد مماته قال عنه روزفلت، رئيس أمريكا السابق: (لقد خسر العلم بوفاة الدكتور جورج واشنطن عَلَما من أبرز أعلامه، وإن الإنسانية بأسرها مدينة لمكتشفاته). ومن أبرز اختراعاته الزراعية انه أنتج من الفول ثلاثمائة صنف من لبن، وبن ، وتوابل، ودقيق وغير ذلك. ومن البطاطا مائة وثمانية عشر صنفا بين نشاء ودقيق وأشربه وغيرها.

إن السنين الطوال التي عمل فيها صنوبر معلما ومربيا، وشغل مناصب كثيرة في حقل العلم، جعلته يدرك مدى أهمية المدرس والموظف وفاعليتهما ومدى تأثيرهما في النفوس وفي المجتمع، لذا نراه يعزز من مكانة المعلم، ويعلي من شأنه، ويضرب مثلا صينيا قديما، يقول: (إذا أردت أن تزرع لسنة فازرع قمحا، وإذا أردت أن تزرع لعشر سنوات فازرع شجرة، وإذا أردت أن تزرع لمائة سنة فازرع رجالا....)[10].

ويختم صنوبر رسالته بتحديد طريق الخلاص من المحنة التي تعم الأمة العربية واضحة، في أنه لا يكون إلا في الإيمان بحق الأمة علينا، وحسن الخلق، والعمل المستمر، والجهاد والتضحية والعزة والقوة، ويطلب من الجامعيين أن يعيدوا بصبرهم وإيمانهم عزة العروبة وأمجادها، لأنهم عدة الأمل المرتجى.

وهكذا، جاءت رسالتاه حافلتين بالحث على الإيمان والثقة بالنفس، ومحاربة الذاتية، وشهوات الدنيا، والسير إلى معالي الأمور، وعزة النفس والعمل على نصرة الحق، ودفع الظلم، وأن يردد كل منا قول الإمام الشافعي رحمه الله:

همّتي همة الملوك ، ونفسي نفس حر ، ترى المذلة كفرا

والحق أن الأستاذ إبراهيم صنوبر افرغ كل ما يعتلج بقلبه وعقله ويعتمل فيهما ونطق بما تجيش به نفوس كثير من شباب الأمة، وأبان عما يدور في نفس كل عربي مسلم، مؤمن بحقه بالعيش حرا كريما.

وهو بالتالي يكشف عن الوضع السيء الذي وصل إليه حال العرب الذي يجب على الفئات المثقفة الواعية أن تتحمل مسؤولياتها اتجاهه، وتقوم بدورها خير قيام.

أن هاتين الرسالتين بقدر ما تثيران الألم والأحزان، تبعثان الأمل والبشرى، وتؤكدان أن الأخيار والمصلحين وأصحاب الضمائر الحية باقون ومتجددون إلى يوم الدين.

كلمة أخيرة:

إن الحديث عن إبراهيم صنوبر طويل جدا، حافل بحياة العطاء والمحبة والإيمان، والإخلاص، وعمق الانتماء.

وخلال حياة التعليم التي عاشها بقلبه وعقله، بقي مثالا يحتذى، وعلما من أعلام رجال التربية العرب الفلسطينيين الذين أحبوا وصدقوا، وعملوا فأخلصوا، وتسنموا الدرجات الرفيعة، تقديرا لجهودهم. وقد حصل على وسام الاستقلال من الدرجة الثانية، وعلى الوسام الخشبي للكشافة، وهو أرفع وسام من نوعه.

الهوامش:

1. صفحات من الذاكرة الفلسطينية/ جامعة بيرزيت. مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني. ص11.
2. المصدر السابق. ص35-36.
3. من أحاديث رسول الله/ جمع وتحقيق إبراهيم محمود صنوبر/ قسم المطبوعات التربوية/ الأردن.
4. إبراهيم صنوبر. بهذا يعرف الله ولهذا يعبد الله/ الطبعة الاقتصادية/ عمان.
5. رسالة الجامعيين العرب في المجتمع العربي/ إبراهيم صنوبر/ نابلس/ 1986م. ص7.
6. نفس المصدر. ص9.
7. نفس المصدر.
8. إبراهيم صنوبر/ رسالة الجامعيين العرب في ميدان التربية والتعليم/ نابلس/ 1986م. ص3.
9. نفس المصدر. ص8.
10. إبراهيم صنوبر/ رسالة الجامعيين العرب في ميدان التربية والتعليم. ص21

غسان كنفاني

١٩٣٦ – ١٩٧٢

أ. د. اشتيفان فيلد

ترجمة الدكتور عادل الأسطة

٣٠٩

عزيزي القارئ

يسعدنا أن نقدم لك دراسة عن شخصية فذة، عن شاهد عيان لأحداث هذا الزمان، رجل خاض غمارها وذاق مرها وأمرها، وصدر في كل ما كتبه عن تجربة صادقة، ومعايشة للأحداث فاعلة.

يسعدنا أن نقدم لك غسان كنفاني الأديب المتمرس، والثائر المتمرد الذي عاش النكبة والنكسة، وبذل في سبيل قضيته نفسه، وكانت حياته – على قصرها – طويلة قياساً بما حفلت به من النشاطات، وكان فكره على صغر سنه، عظيماً قياساً بما أبدعه في أعماله الأدبية، وكذلك كانت نظرته للحياة... عميقة تسبر غورها، وتجلو أبعادها، وتكشف الطريق إلى الهدف بمثل ما كان ينشره في (الهدف) وفي ما خلفه من أعمال ومآثر.

أ.د. يحيى جبر

هذا البحث ترجمة لدراسة قام بها الكاتب الألماني الدكتور اشتيفان فيلد، ونشرتها ابتداء OTTO، HARRASSOWITZ، WIESBADEN عام 1975، ونقلها للعربية الدكتور عادل الأسطة الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة النجاح الوطنية، وقد سبق أن نشرت هذه الترجمة في مجلة الكاتب، العدد 145 (1992/6) وها نحن نعيد نشرها مجدداً في سلسلة الموسوعة التربوية الفلسطينية، وقد تجد عزيزي القارئ أسلوبها مغايراً قليلا للأسلوب المتبع عادة في التراجم، ذلك أن المؤلف مزج فيه بين الانطباع وسرد الحقائق والوقائع.

غسان كنفاني
حياة فلسطيني

في صباح الثامن من تموز عام 1972، سبت حار، هز انفجار عنيف أساسات منزل في الحازمية، الضاحية البيروتية القريبة من طريق دمشق الدولي. لقد حاول صحفي فلسطيني، غسان كنفاني، أن يشغل سيارته فلمس، من ثم، قنبلة زرعت في أسفل سيارته خلال الليل، وقد قتل على الفور، وتوفي معه في الانفجار العنيف ابنة أخته، الفتاة ابنة السابعة عشرة. وللتو فقد احتل خبر اغتيال غسان كنفاني الصفحات الأولى للصحف العربية والعالمية. ولم يشك أحد في أن لهذا (الاغتيال) صلة بالمجازر الدموية (التي حدثت) في مطار اللد حين فتح ثلاثة من اليابانيين قبل ذلك بعدة أسابيع تحديداً في 30 أيار – النار في منطقة محددة في صالة القادمين، فقتل ثمانية وعشرون مواطناً، عدد منهم من حجاج Puerto، Rican، وجرح أيضاً أعدادا أكثر. ولقد تبنت جبهة فلسطينية معروفة هي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هذه العملية. وكان غسان كنفاني هو المتحدث الرسمي باسم هذه الجبهة ومحرر مجلتها الأسبوعية «الهدف». ولقد تصاعد الصراع الهائج بين دولة إسرائيل من جهة والدول العربية والفلسطينيين الذين ليس لهم دولة، من جهة ثانية، إلى مرحلة ضارية ودموية من السجال. لقد فجرت القنابل في تل أبيب، في محطة الحافلات، وقتل في الخامس من أيلول، خلال الألعاب الأولمبية في مدينة ميونخ، عشرة لاعبين رياضيين، وخمسة أفراد من منظمة فلسطينية غامضة (يطلق عليها اسم) أيلول الأسود، كما هاجم الطيران الإسرائيلي في الثامن من أيلول، من جديد القرى والمخيمات في جنوب لبنان. وقد بلغ القتل ذروته في الخامس عشر من شباط عندما أسقط صاروخ إسرائيلي طائرة ليبية مدنية فوق صحراء سيناء وأسفر الحادث عن مقتل أكثر من مائة مواطن.

إن التاريخ المعاصر في الشرق الأوسط هو تاريخ الدم والدموع. وغالباً ما يسأل الطالب الذي مجال بحثه العرب والمسلمون في الشرق الأوسط عما يمكن أن يقدمه من أجل تفاهم أفضل في هذا الصراع. وليس بالضرورة أن يحتوي التفاهم الأفضل إيجاد حقائق جديدة. وفي حالة الشرق الأوسط فإن مالا يقبل الجدل هو وجود عدد كاف من الحقائق. ولكن تفسيرها وتقييمها لا يقدم شيئاً.

لقد أفرد اللغويون المحدثون مناهج لاكتشاف البنية العميقة لتعدد القول في اللغة المعطاة. فهل يوجد بالطريقة نفسها تعدد «للبنية العميقة» للعواقب المشوشة للترحيل والحرب والفتك والثأر التي اكتسحت الشرق الأوسط؟ أن مصطلح «البنية العميقة» لم يستعمل كيفما اتفق. ونعوم تشومسكي الرجل الذي صاغه – وهو معروف في العالم على أنه لغوي مشهور – قدم، على الأرجح، تحليلاً ثاقباً ومرهفاً للصراع الفلسطيني –الإسرائيلي.لقد لخص ذلك في الكلمات التالية : «إن كل جانب يرى نفسه مواجهاً بتهديد البقاء. كل جانب يرى نفسه ضحية للإرهاب، كل جانب يرى تصرفاته مقاومة عادلة أو مجرد ردّ ...، ومن خلال بنية الصراع القومي يمكن أن يبني كل جانب حالةً تكون مقنعةً بناءً على شروطها، تسمح لإمكانية ضئيلة لنقاش أو تفاوض، فالمطالب ترى أساساً مطالب للبقاء .[1]» إن الجانب الإسرائيلي

من الحالة مقدم غالباً وجيداً في أوروبا، وليست هذه حقيقة بالنسبة لحالة الفلسطينيين. وأرى أنه من خلال دراسة حياة غسان كنفاني وموته وأفعاله باعتباره شخصية محورية في حركة المقاومة الفلسطينية، يمكن أن يتوصل إلى فهم أفضل لمشهد الشرق الأوسط – حتى وإن كان هذا الفهم الأفضل هو مجرد خطوة متواضعة للأمام، مع التأكيد هنا بأن الأفضل وحده غير كاف. ولقد نعت كنفاني، غالباً، «بالتطرف». وهذه، مع إحساس أكيد، هي حقيقة مؤكدة. وحيث إنه، عادة، ليس هناك شيء يساعد على المعرفة أكثر من امتحان الوضع المتطرف، فإن دراسة حياة غسان كنفاني وأعماله تعتبر مكافأة خصوصية. وما أنوي وضعه أمامك لهذا الغرض هو رسم صورة وصفية لرجل خيف منه وكره كثيراً تماماً مثلما وثق به وأحب، رجل حير بطرق متعددة، الناس الذين، حتى يومنا، ما زالوا في الشرق الأوسط، ضحايا ورهائن، إلى حد بعيد للعبة الأمم.

ولا تقصد هذه الصورة أن تغطي بطريقة متوازنة سطحية أياً من الصراع العربي – الإسرائيلي أو الفلسطيني – الإسرائيلي. ولكنها بالضرورة تلامس في هذا الصراع الحقيقي ما حدد حياة شاب فلسطيني ونضاله وموته. ولم أختر غسان كنفاني فقط بسبب النوعية الرمزية التي تشغل حياته وموته بعض الفلسطينيين. هناك سبب آخر لا يقل أهمية يكمن في أنه كصحفي سياسي عبر عن وضعه وكان صريحاً في ذلك. علاوة على ذلك فقد كان غسان كنفاني أحد أبرز الكتاب المعاصرين الموهوبين في القصة العربية، ونحن مدينون له بعدد من الروايات وعشرات من القصص القصيرة، وهذه في معظمها كانت قريبة الصلة من العالم السياسي الذي عاش فيه كنفاني.

ولد غسان فايز كنفاني في التاسع من نيسان عام 1936 في عكا، وكان الابن الثالث للمحامي فايز عبد الرزاق كنفاني. لقد نظم العرب الفلسطينيون، في ذلك الوقت، في عكا مثلما في يافا والقدس، بكفاءة، معارضتهم ضد سلطة الانتداب البريطاني وحاضني الهجرة الخارجية ليقوموا بإضراب جماعي دام حوالي ستة أشهر – وهو ما كان عقبة رئيسية للإدارة البريطانية. لقد كان الإضراب بعد كل (الجهود) المستحيلة لتسوية الخلاف حول فكرة «الوطن القومي» لليهود في فلسطين – كما اتفق في إعداد بلفور – مع احترام حقوق السكان المحليين غير اليهود – كما اشترط في الوثيقة ذاتها. وبينما كان هتلر يحضر في ألمانيا عام 1936 للحرب العالمية الثانية وللمذابح الأكثر وحشية وإماتة، المذابح التي لم يشهد مثلها التاريخ، اندفعت هجرة اليهود الأوروبيين إلى فلسطين – ولم يتحقق معظم هؤلاء من أن شعار الصهيونية «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» كان نصف الحقيقة فقط، لقد كانوا في الحقيقة – أو أريد أن يكونوا – سكاناً، ولم يمتلكوا أرضاً، ولكن البلد الذي جاءوا إليه كان خصباً، نسبياً منطقة سكانية كثيفة ذات قرى محاطة ببساتين فاكهة خصبة وحدائق زيتون، وذات مدن فيها مدارس ومعاهد مشهورة.

لقد كان مكسيم رودنسون الأول الذي وصف بصراحة وبدقة لماذا دعي خلق دولة إسرائيل واقعاً استعمارياً[2]. لقد أعد الوطن القومي اليهودي في فلسطين وخطط له في وقت لم نناقش فيه يوماً قوانين الاستعمار في الشرق الأوسط وفي أي مكان – حتى من الضحايا أنفسهم – على أية حال فعندما كادت الفكرة تصبح حقيقة أخذ التمرد ضد الهيمنة الأجنبية والتدخل الخارجي في الشؤون المحلية يصبح حركة نامية أكثر فأكثر. لقد تغير وعي الناس المستعمرين بحيث تعذّر إلغاؤه. وبقوة هذا التغير أصبحت،

فجأة، أفعال وسلوكات، كانت تعتبر شرعية وصالحة تماماً، غير مقبولة وخائنة. فهل يمتلك أصحاب الأرض الإقطاعيون، مثل سلام وسرسق، الذين اقتسموا أوقاتهم بين باريس وبيروت، الحق في أن يبيعوا ممتلكاتهم الضخمة في فلسطين إلى الوكالة اليهودية؟ وهل كان على الفلاحين الفلسطينيين أن يقبلوا هذا الفقدان للأرض التي زرعها آباؤهم وأجدادهم؟ لقد ولدت الأسئلة من هذا النوع أسئلة أكثر. هل كان على عرب فلسطين أن يسلموا بالهجرات الجماعية المشجعة والمقبولة، أو على الأقل غير الممنوعة، من سلطة الانتداب؟ وكم بعيداً كان الخروج الجماعي للسكان الفلسطينيين، الخروج الذي أحدثه نداء بعض الرسميين العرب لهؤلاء الفلسطينيين بترك المناطق في عام 1948، لكي يسهل نصراً أكيداً وسهلاً للجيوش العربية القادمة؟ وإلى أي مدى كانت القيادة الفلسطينية التقليدية، مجسدة في مفتي القدس الحاج أمين الحسيني، مسؤولة عن الهزيمة النهائية؟ وهل كانت المجازر ضد العرب المدنيين في دير ياسين مكيدة مدبرة لتحدث رعباً (مصطحباً بالسلاح) بين السكان من أجل أن تسرع في الهروب أو كانت على الأصح حدثاً باعثاً على الأسى ارتكبه متطرفون، لكنه على الرغم من ذلك استخدم وقائع متأخرة كمعنى ملائم لإرعاب العرب غير المرغوب في بقائهم ؟ وهلّم جراً بعض الأسئلة المهمة تاريخياً وأخلاقياً، ولكنها متصلة بالموضوع بمعنى من المعاني. وكانت النتيجة النهائية تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين (14 أيار 1948) وكانت الموجة الأولى من اللاجئين الفلسطينيين إلى الدول العربية المجاورة، الأردن وسوريا ولبنان وإلى قطاع غزة حوالي 800.000 وكان غسان كنفاني ابن الثانية عشرة واحداً من هؤلاء. وكان قد زار، حتى آذار 1948، مدرسة الفرير في يافا، مدرسة كاثوليكية فرنسية، ومن المحتمل أن تعليمه هذا كان الأفضل الذي استطاعت عائلته تقديمه له، وبغض النظر عن حقيقة كون عائلة كنفاني عائلة مسلمة فإنها لم تتردد في إرسال ابنها إلى هذه المدرسة التي كانت لغة التدريس فيها الفرنسية، كما أن القداس والصلاة كان ذا تأثير مهم على أجواء التعليم. وقد وضع زحف فرق الهاغاناة على عكا في آذار 1948 نهاية لهذه الفترة. وكان الحادث الأول ذو المغزى في طفولة كنفاني هو هروبه، وهروب عائلته اللاحق، إلى لبنان. ويصف، فيما بعد، في صورة قصصية لسيرة ذاتية، خروجهم من عكا[3]: «ومضت تلك الليلة قاسية مرة بين وجوم الرجال، وبين أدعية النساء ... لقد كنا أنا وأنت ومن في جيلنا صغاراً على أن نفهم ماذا تعني الحكاية من أولها إلى آخرها. ولكن في تلك الليلة بدأت الخيوط تتوضح وفي الصباح، ساعة انسحب اليهود متوعدين مزبدين... كانت سيارة شحن كبيرة تقف في باب دارنا... وكانت مجموعة بسيطة من أشياء النوم تقذف إليها من هنا وهناك بحركات سريعة محمومة...».

ويستمر كنفاني واصفاً رحلتهم، في خوف، إلى الحدود اللبنانية: اكتئاب والده النـزق وشكه الأول حول ابتسامة الله وطيبته التي حاولت المدرسة الكاثوليكية أن تزرعها فيه. ويصف كيف أيقظه والده في الخامس عشر من أيار ونادى عليه ليأتي معه ويشهد «دخول الجيوش العربية إلى فلسطين» وكان والده يهتف بصوت مبحوح إلى الجنود المارين، راكضاً وراء سياراتهم المصفحة، ليرمي إليهم سجائره الأخيرة. وعندما أخذت أخبار الهزيمة العربية تتسرب، كان يأس والده عميقاً لدرجة أنه يحاول أن يقتل أطفاله. وأخذ الصغير غسان يعدو هارباً، بعيداً، إلى الليل «وعندما كنت ابتعد عن الدار كنت ابتعد عن طفولتي في الوقت ذاته»[4].

لم يشكل الفلسطينيون الذي كانوا يتركون أرضهم في هذه الهجرة غير السعيدة مجموعة متجانسة. فقد كان هناك منذ البدء اختلافات مهمة. لقد كان هناك أولئك الذين امتلكوا تعليماً أكاديمياً وتدريباً مهنياً. وبعض هؤلاء كان يتقن الإنجليزية أو لغات أوروبية أخرى. وكان هؤلاء، في الغالب، من المدن والقرى الكبيرة، وقد شكلوا الجزء الأساسي للنوادي الثقافية الوافرة التي ازدهرت في فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى. ومعظم هذه النوادي كان ذا نشاط سياسي، ووصفت نشاطاتهم على نحو كاف بأنها نشاطات ذات «ثقافة قومية»[5]. ومن غير المعروف فيما إذا كان كنفاني نفسه عضواً في واحد من هذه النوادي. غير أننا نعرف، على أية حال، أنه قد سجن مرات عديدة من البريطانيين لأسباب سياسية[6]. وقد نجح الفلسطينيون، في السنوات التالية لهروبهم وأطفالهم، في أن يحتلوا مناصب رئيسية في بعض الأقطار العربية. وقد شغل هؤلاء وظائف مذهلة بين بنغازي والخليج العربي ليس فقط كمعلمين أو أطباء أو أساتذة جامعيين، بل أيضاً كإداريين ومتعهدين ومستشارين. لقد حصل عدد كبير من هؤلاء الفلسطينيين على جواز سفر أحد الأقطار العربية أو مواطنته، ولكنهم لم يشعروا بهذه المواطنة وما قبلوا أبداً. وكان المجتمع المحيط ينظر إليهم على أنهم كانوا فلسطينيين وسيبقون – اسم جاء ليحتل ضمناً كراهية واضحة – حتى لو أرادوا هم أنفسهم أن يشبهوا المجتمع. وهناك مجموعة قليلة، ولكن مؤثرة، تقدمت لمواطنة بريطانية أو أمريكية وحصلت عليها. على الجانب الآخر كان هناك المعدمون، الفقراء الفلسطينيون القرويون والعمال والريفيون، وكان هؤلاء يتكلمون، على وجه الحصر، لهجتهم الفلسطينية، وغالباً ما كان هؤلاء أميين تماماً. لقد قدر لهؤلاء أن يعيشوا في المخيمات، دون وظيفة ما أو استخدموا للتطرف، عالة على وكالة الغوث. لقد جاءوا إلى أقطار كان العمل غير البارع تماماً موجوداً بغزارة، وكان على الأطفال المتجولين في الشوارع (كماسحي أحذية) أن يكافحوا من أجل كل قرش كسبوه. وبعض هؤلاء الأطفال الفلسطينيين الجوعى والمرهقين وغير المبتسمين كان له حضوره في قصص كنفاني القصيرة[8].

لم يكن كنفاني يخص هذه المجموعة : يقينا لقد كان جزءاً من فئة المحامين - أي من الطبقة العليا من الفلسطينيين. لقد تحركت عائلته، في النهاية، إلى دمشق، وهناك نجح والده في تأسيس مكتب محاماة متواضع. وكان على غسان وأخيه أن يعملا لفترة من الوقت من أجل معيشتهما، ولكنهما أيضاً زارا المدرسة، وقد أنهى غسان الجزء الأول من دراسته وحاز على شهادة البريفية عام 1953، ثم بدأ يعلم الأطفال الفلسطينيين في المدارس التابعة لوكالة الغوث في دمشق. وكان غسان مع مدرسة أخرى أصبحت فيما بعد زوجة وديع حداد، شخص مهم في حركة القوميين العرب، مسؤولين عن عدد مذهل (1200) من طلبة المدارس في دمشق. وكان، في تلك الفترة، مقتنعاً بأن الحالة اليائسة للمخيم لها فرصة واحدة فقط : أن يحارب الفلسطينيون من أجل العودة إلى فلسطين. وأتيح للشاب الصغير المتقدم أن يكون معلماً مؤثراً : لقد ذهبت زوجته فيما بعد إلى القول بأن أكثر من ثلثي تلاميذ كنفاني شاركوا في النهاية في مجموعات المعارضة[9].

بمعزل عن هذا التوجه العام لم يكن الصغير كنفاني، في ذلك الوقت، في الأصل، مهتماً بالسياسة. ولم يلفت انتباهه كل من خالد بكداش – شيوعي سوري – الممثل الشيوعي الأول والدائم في البرلمان العربي، أو ميشيل عفلق وأفكاره البعثية. ويبدو أن الحزب القومي السوري هو الحزب الوحيد الذي تعاطف كنفاني معه بشكل غامض، ولكن دون أن ينضم إليه[10]. ولقد أعلن كنفاني بشكل واضح أن اهتمامه الأساسي، في سنواته الأولى، كان الأدب وحده : «إن وضعي السياسي يقفز من كوني روائياً، وحتى الآن

مثلما أنا مهتم، فإن السياسة والرواية حالة لا تتجزأ، وأستطيع أن أعلن بثقة أنني أصبحت معلقاً سياسياً لأنني روائي، لا العكس. لقد بدأت كتابة قصة حياتي الفلسطينية قبل تكويني موقفاً سياسياً أو اشتراكياً في أية منظمة»[11] ولم تكن المجموعة السياسية التي انضم إليها عام 1955 حزباً مثلما كان حركة رباطها رخو : القوميين العرب. لقد ظهرت هذه الحركة إلى الوجود بعد هزيمة الجيوش العربية في فلسطين، وأيدت بتطرف إعادة البناء لاستمرار المجتمع العربي[12]. وأصبحت فيما بعد الحركة الأم لكل التنظيمات الفلسطينية المقاومة[13]. وكان الرجل الذي قدم الصغير كنفاني إلى هذه المجموعات واحداً من مؤسسي حركة القوميين العرب، وهو طبيب فلسطيني كان قد قابله مبكراً في عام 1952 أو 1953 في دمشق[14]، وامتلك هذا أكبر تأثير من أي شخص آخر على حياة كنفاني – مع الاستثناء الممكن لزوجة كنفاني مستقبلا – واسم الطبيب جورج حبش الذي أصبح، فيما بعد، الشخصية المركزية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وأصبحت «الرأي» الأسبوعية التي كانت منبر الحركة في دمشق، لفترة، الصوت المحبب لكنفاني للنشر. وقد نشر كنفاني في أقل من سنة ونصف، على صفحاتها، ثماني عشرة قصة قصيرة. وفي هذه الصحيفة نعثر كذلك على التعبير الأول لكنفاني. وعنوان المقالة[15] التي هي في الأصل محاضرة ألقاها في النادي العربي في دمشق عام 1957 كان «الإنسان والمبدأ»، وهي محاولة لنقد الذات العربية، وهذا النقد كان شيوعه في حينه قليلاً جداً فلم يكن نمطاً كما سيصبح بعد عشر سنوات. يبدأ كنفاني كلامه بهز جمهوره الدمشقي فيصرخ بأن ثلاثة أرباع الشباب في دمشق يبذرون وقتهم كله بلعب الطاولة في مقاهي الشوارع. إن هذا الجيل يتمثل في الرجل الصغير الذي «يخمد تثاؤبه في مقاهي دمشق، خارجاً في الشارع في منتصف الليل، ناظراً بطريقة مضجرة إلى السماء، سائلاً رفيقه الذي يتكئ عليه مخموراً : «لماذا ما زالت الوحدة العربية غير منجزة ؟» وما يحتقره كنفاني يتجسد في «ذلك الرجل المتعلم، الأنيق مع شعر لامع، الذي يقرأ جوركي وألبرتو مورافيا ويتحدث عن السياسة ويقرأ الجرائد ويعلق ساخراً على الأخبار وبعض الفقرات، وينظر إلى السياسة كمهنة مؤسسة على الكذب والرياء». إن ذلاقة اللسان هذه، يجزم كنفاني، تسير جنباً إلى جنب مع نقص الموهبة في تثمين الوقت، في تحديد اللحظة الصحيحة، مع روح الارتجال التي يعتبرها كنفاني واحدة من الأسباب المسؤولة عن هزيمة الجيوش العربية في فلسطين. ويوضح ذلك فيشير إلى أن هوايته الوحيدة تقع مع ذلك الجزء من الشباب العربي الذين تعهدوا تماماً بأن يبذلوا حياتهم الخاصة لينجزوا التغيير الجذري الضروري في المجتمع العربي. هذا الجهد الشخصي يعتبر أكثر بروزاً من الدين أو من أية مؤسسة عقائدية أخرى.

في عام 1956 حين كان كنفاني في العشرين من العمر عرضت عليه وظيفة معلم في الكويت فقبلها، تماماً كما فعلت أخته الكبرى وأحد إخوته. وتلعب هذه الفترة التي أقامها في الكويت، بحرارتها وإحباطها الجنسي وعزلتها، دوراً حاسماً في بعض قصصه القصيرة المبكرة. لقد استمر يكتب وربح في حينه الجائزة الكويتية للقصة القصيرة على قصته «القميص المسروق» التي فيها وصف لاذع للمعاملة المهينة في المخيم حيث يحرض موظف وكالة الغوث الفاسد فلسطينياً ضد فلسطيني آخر[16]. وتبلور قصص كنفاني في هذه الفترة الاقتناع بأن على الفلسطيني في جيله المسؤولية الراسخة كي يبقى فلسطينياً[17]. وعليه، من ثم، ألا يندمج في المجتمعات العربية وغير العربية. وليس مصير الفلسطيني الذي يفضل سعادته على سعادة شعبه سوى الإخفاق. ولعل رواية كنفاني «رجال في الشمس» وهي إنجازه الأدبي الأكثر تأثيراً، تبلغ هذه الرسالة : ثمة ثلاثة فلسطينيين ينتمون لأجيال مختلفة – هكذا تجري القصة – يلتقون في البصرة في

جنوب العراق، ويحاول كل واحد من هؤلاء أن يفرّ من الإذلال والبؤس في المخيم. ويكون أملهم الأخير إيجاد طريقة غير شرعية للوصول إلى الكويت، الإلدورادو (الجنة المنشودة ع.أ)، حيث يوجد هناك النفط والنقود والعمل. ويعرض فلسطيني رابع عليهم أن يهربهم عبر الحدود العراقية – الكويتية، (وذلك بإخفائهم) في خزان ماء كبير فارغ. ولا يصل الثلاثة إلى هدفهم أبداً – فلقد ماتوا على الطريق مختنقين من الحرارة الخانقة للخزّان. ويلقي (سائق الخزان) بجثثهم في مزبلة خارج مدينة الكويت[18].

إن التشابه البنائي بين شتات فلسطين وشتات اليهود، الغربة وgalut، قد بولغ فيه من الحركتين الفلسطينية والصهيونية. وعلى أية حال فليس هناك شك في أن هناك ثمة تشابهاً جزئياً بينهما. فثمة تشابه قوي إلى حد ما بين الطريقة التي وصف فيها كنفاني أرض فلسطين في قصصه، وتحديداً في المهمة المطلقة للعودة مهما كانت التكاليف والنتائج والعواقب، وبين الكتاب الصهيونيين الأوائل.

لقد كان اقتناع كنفاني غير القابل للاهتزاز، معبراً عنه في بعض الأحيان غالباً في مصطلحات دينية، يتمثل في أن الطريقة الوحيدة للفلسطينيين المذلين والمستغلين في المخيم، في الحصول على الكرامة والحياة الجديرة بالعيش هي العودة إلى الوطن، إلى فلسطين.

ولقد أصبح كنفاني، خلال سنواته الأربع التي أنفقها في الكويت، مقتنعاً بأن هذه العودة في ذاتها كانت غير كافية، وقد اشترك كنفاني في شقة، لمدة، مع ستة شباب عرب آخرين وجدوا عملاً في الكويت، غادروها، فيما بعد، ليكونوا أعضاء في خلية شيوعية[19]، ومن خلال مناقشة وقراءة ماركس وإنجلز ومؤلفين آخرين، اشتراكيين وشيوعيين، نمت قناعته بأن الصراع بين دولة إسرائيل والفلسطينيين العرب ليس صراعاً قومياً فقط، بل هو أيضاً صراع بين مستعمرين ومستعمَرين ومستغلين ومستغَلين. وبالتالي فيجب ألا تكون فلسطين التي حلم بها مجتمعاً إقطاعياً كما كانت إبان حكم العثمانيين والبريطانيين، بل يجب أن تكون (مجتمعاً) اشتراكياً لعدالة اجتماعية.

وليفهم كيف أن الكويت أثبتت كونها ذات أهمية حاسمة لمستقبل كنفاني السياسي والأدبي، فعلى المرء أن يعرف أن كنفاني اكتشفت هناك أنه يعاني من مرض السكري، مرض يحتاج إلى معاملة ثابتة، وفي حالته يؤكد غالباً أنه لن يعمر إطلاقاً طويلاً. ومنذ ذلك الوقت فإن فكرة الموت كانت تقترب منه بثبات، وبعض قصصه تلقي بظلها على الاقتراب هذا[20]. وقد أقنعه جورج حبش في عام 1960 بأن يتوقف عن تعليم الفن والرياضة في الكويت وأن يذهب إلى بيروت ليعمل هناك صحفياً. ووصل كنفاني عام 1960 إلى بيروت، العاصمة اللبنانية النامية بسرعة للبنان الصغير، من اجل ذلك الغرض. لقد كانت بيروت باريس الهادئة للشرق الأوسط، فقد سمحت بالرأسمالية والإقطاعية تماماً كما أجازت حرية الصحافة والنشاط المحموم للبنوك ودور النشر، كما كانت في ذلك الوقت مأوى لعدد غير محدد من اللاجئين السياسيين وملجأ لـ Kim، Philibies من كل المعتقدات.

بدأ كنفاني في بيروت مهنته الصحفية في الصحيفة الأسبوعية «الحرية»، المنبر الرئيسي لحركة القوميين العرب في بيروت، وتزوج في عام 1962 من (آني هوفر)، معلمة دانمركية وابنة قائد نقابة عمال كان ذا دور

مهم في المقاومة الدنماركية ضد هتلر. وقد وجد اتقاد شعور كنفاني، وأحياناً طاقته المتفجرة، فيها وفي طفليه المولودين فيما بعد دعماً ثقافياً وعاطفياً تماماً مثلما وجد ثباتاً واستقراراً أكيدين، وبفضل موهبته وحسن علاقته مع القائد الأساسي في ح.ق.ع فقد رقي في عام 1963 إلى رتبة رئيس التحرير في «المحرر» الجريدة اليومية الأكثر تأييداً للناصرية خارج مصر. وقد حصل كنفاني، خلال هذه الفترة، على جواز سفر لبناني – الإذلال الذي يجب إخفاؤه – لم يكن قادراً على السفر بسبب عدم حصوله على أوراق رسمية وهكذا انتهت عند هذا الحد. وفي عامي 1966/65 زار الصين. وكان كنفاني كاتب عمود أسبوعي عنوانه «ما وراء الأخبار»، وقد حرر ملحق المحرر الشهري «فلسطين» التي أصبحت بطرق عديدة المنبر السياسي غير الرسمي للفلسطينيين في العالم العربي كله. وبالتدرج فقد أصبح واحداً من ألمع الصحفيين وأنشطهم في بيروت.

وليس من الصعب تلخيص الكم الهائل من المقالات السياسية والتعليقات التي كتبها كنفاني خلال تلك الفترة. فعندما بدأ عمله في بيروت كان هناك نجم وفقط نجم واحد غير قابل للنقاش في عالم السياسة العربي: الرئيس المصري جمال عبد الناصر. وقد كانت الجمهورية العربية المتحدة في عام 1960، أي الاندماج بين مصر وسوريا، ما زالت قائمة. وبدا أن هناك خطوة عملاقة اتخذت باتجاه إيجاد أمة عربية قوية من المحيط الأطلسي حتى الخليج العربي. ولقد تحدى ناصر بنجاح قانون الاستعمار البريطاني في أكثر نقاطه حساسية، قناة السويس، لدرجة أنه حوّل الهزيمة العسكرية الناجحة من خلال الحملة الإنجليزية الفرنسية الإسرائيلية إلى نصر سياسي مدّو[21].

ومثله مثل الملايين من العرب، من الفلاحين حتى الأساتذة الجامعيين، فقد عقد كنفاني أمله على شخصية ناصر الجذابة[22]، وانحاز في أثناء الصراع بين ناصر والشيوعيين العرب بدون إحجام إلى جانب ناصر. لقد كانت فلسطين له قضية قومية للعرب كلهم، يمكن أن تستعاد فقط خلال الجهد العربي المشترك تحت القيادة التامة للرئيس المصري. وحججه السياسية في تلك الفترة موجودة في كتابي ملاحظات غير منشورين كتبهما في أثناء إقامته في الكويت أو في أثناء سنيه الأولى في بيروت. وقد سميا «حالة العرب في عهد الجمهورية العربية المتحدة» و «الماركسية في النظرية والتطبيق : مناقشة[23].

وينظر كنفاني إلى القومية في المحيط الآسيوي على أنها أهم قوة محركة، وهو يستشهد بوضع السلطان جالييف ويأخذ به، هذا المتمرد التتري ضد ستالين زعم أن التاريخ الأوروبي لصراع الطبقات لا يخدم، كنموذج، الشرق الأوسط[24]. «إن حقد المجتمعات الآسيوية في مرحلة التحرر الوطني يجب أن يوجه ضد المستعمرين لا ضد المواطنين التابعين». وحاول كنفاني أن يربط الناصرية والاشتراكية والكفاح السياسي والعسكري لفلسطين، وأن يدمج هذه الأشياء الثلاثة في كل فعال.

وقد جمعت معظم قصص كنفاني، منذ عام 1961 فيما بعد، وأعيد نشرها في بيروت. وقد كتب كنفاني، فيما بعد، نصه الرئيسي «رجال في الشمس»، ودرب يده على كتابة المسرحية وبدأ يعمل بجد على صوره الزيتية ورسوماته. ونظرة استرجاعية، فإن أعمال كنفاني أول من لفت انتباه جمهور عريض، للمرة الأولى، لشعراء منهم محمود درويش وسميح القاسم[25].

وحسب معلوماتي فقد كان أيضاً العربي الأول الذي درس الأدب الصهيوني، قدر ما كان هذا متوافراً

له، وحلل على سبيل المثال الطريقة المهينة التي صور فيها العرب في رواية مؤثرة هي (اكسودس) لـ (ليون أوريس).

وكان عام 1967 العام الحاسم إليه، تماماً كما كان العام الحاسم لمعظم المثقفين العرب والسياسيين الآخرين. فقد كتب كنفاني في الأول من حزيران 1967 في «المحرر» تحت عنوان «أهلاً بالمعارك» تحليلاً للوضع العسكري والسياسي الموجود المبني على الوهم. وحملت الصفحة نفسها في 6 حزيران، عندما امتلكت إسرائيل كل الأغراض والأهداف العسكرية وكسبت الحرب، واحداً من مقالاته تحت عنوان مخيف «دعنا ندمرهم» والحقد الذي يتخلل كتابة كهذه، سبب تحليلي أعمى، ينبغي ألا يتغاضى عنه أو يتنصل منه. ويبدو أن المهم أن يتذكر أن حقداً كهذا هو حقد أحس به المضطهدون والمتضايقون، وليس الذين يضطهدون ويضايقون[26].

لقد كانت النتيجة السريعة والأكثر تفاهة، لهزيمة حزيران المذهلة، تغييراً في الوظيفة. ولما كانت المحرر، مع ملحقها فلسطين تمول أساساً من مصر، فإن موجات الصرامة التي انسابت في كل الفعاليات المصرية خفضت أساساً الرواتب في المحرر. وقد ترك كنفاني، الذي كان له في تلك الفترة زوجة وولدان يهتم بهم، «المحرر» إلى «الأنوار» وهي صحيفة بيروتية يومية أخرى ذات نزعة ناصرية قومية «بسبب نزاع مالي حيث أضعفت مركزه السياسي»[27].

لقد وضع انتصار الجيش الإسرائيلي في حرب 1967 نهاية للناصرية، وأصبح الرئيس المصري ظلاً لنفسه. وكان واضحاً أيضاً أن الأنظمة العربية وجيوشها – بما فيها مصر – لم تكن قادرة على حماية حدودها الخاصة، هذا إذا تجاوزنا قدرتها على عمل أي شيء للفلسطينيين. وبدأ كنفاني، الذي لم يكن أبداً حتى نهاية حياته ليهاجم ناصر بالاسم، يتحقق بأن القومية العربية والوطنية الفلسطينية ينبغي ألا يتداخلا معاً بالضرورة. وكان ثمة رابط سببي بين ضعف الأنظمة العربية والازدياد الملحوظ في نشاط الفدائيين داخل إسرائيل وخارجها وفي المناطق المحتلة عام 1967. فقد كان هناك لاجئون جدد، وبعضهم لاجئاً للمرة الثانية، إنها مأساة داخل مأساة.

في تشرين أول من عام 1967 انضمت ثلاث مجموعات منشقة عن حركة القوميين العرب إلى جورج حبش ليشكل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين[29]. وقد تسبب التنوع في الاندماج في شقاق في قاعدة المنظمة، وعانت الجبهة الشعبية من انشقاقها الجدي في الأيام الأخيرة من كانون الثاني عام 1969، أي بعد أكثر من سنة من تأسيسها: لقد انفصل نايف حواتمة ليشكل مجموعته الخاصة، الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين، وأخذ معه معظم المثقفين. وليبطل حبش فراغاً ثقافياً مؤكداً في منظمته ولكي يعطيها صوتاً إعلامياً فقد أسس مجلة الهدف الأسبوعية. وكان كنفاني رئيس تحريرها منذ عددها الأول (26 تموز 1969) حتى وفاته. وقد ترك وظيفته المربحة في «الأنوار» ليحصل في المقابل على وضع لا يدفع القليل وحسب، بل ويعرضه أيضاً للخطر.

وقد قابل كنفاني، ضمن فعالياته محرراً للهدف أولاً ومتحدثاً باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين،

بين صيف 1969 وحتى وفاته آلاف الصحفيين والدبلوماسيين والطلبة. لقد دفع إلى فعالية محمومة، متزايدة باستمرار، بالحوادث السياسية : قبول ناصر مشروع روجرز، هذا المشروع الذي اعتبره معظم الفلسطينيين تصرفاً نهائياً لخيانة القضية الفلسطينية، ومجاز أيلول في عمان ومناطق أخرى من الأردن حيث قتل الجيش الأردني الآلاف من الفدائيين، فحيدت تبعاً لذلك معظم قواعد النضال الفلسطيني المهمة، واختطاف الجبهة الشعبية أربع طائرات من خطوط جوية غربية إلى القاهرة وعمان، وكذلك حوادث أخرى مشابهة.

لقد أصبح تفكير كنفاني، في ذلك الوقت، مثل تفكير الجبهة الشعبية تماماً - أي ماركسياً لينينياً[30]. وكان ضد السوفيت، وبدون تحفظ مع الصين. وتقتبس الملاحظات التي تعكس حالته السياسية لعام 1970 «المقاومة ومعضلتها» مرة من يوسف ستالين، وثمان مرات من ماوتسي تونغ.

وقد حملت جموع الكادحين في المخيم وكذلك جموع القرويين المحرومين الأمل للثورة الفلسطينية. وما نوقش بحدة هو كيف كان يمكن للثورة أن تجعل عمان هانوي العرب، وكيف يمكن أن تربط الكفاح ضد الأنظمة العربية المرتدة مع «الوحدة في قواعد المقاومة»، وكذلك نوقشت أيضاً أسئلة مشابهة حول التكتيك الثوري والاستراتيجي. وما كان ذا مغزى لعدم الثقة التي نظرت من خلالها معظم الأنظمة العربية لنشاط الجبهة الشعبية هو أن منشوراتها كانت في عام 1970 ممتدة في مصر وسوريا والسعودية العربية والجزائر والمغرب وتونس والأردن[31].

وقد انعكس اعتقاد كنفاني الذاهب إلى أن الوعي الطبقي النامي بين سكان المخيمات سيحضر النصر في قصصه القصيرة عن «أم سعد»، المرأة الفلسطينية الفقيرة في مخيم لبناني، أم سعد التي ينضم ابنها إلى الفدائيين.

وتعتبر روايته الأخيرة «عائد إلى حيفا» الرواية الأكثر إثارة، على الرغم من أنها ليست الأفضل فنياً. وتسرد الرواية ما حدث مع زوجين عربيين، سعيد وصفية، هرباً من بيتهما في حيفا عام 1948، ونسياً من خلال حالة الفوضى التي أحدثها هذا الهرب ابنهما الأول، خَلدون، لقد حصل الزوجان بعد الانتصار الإسرائيلي في حرب 1967 على إذن بزيارة حيفا، وغادرا بعد عشرين سنة تقريباً ليزورا بيتهما مع أمل دفين في أن يجدا ابنهما.

وقد وجداه في بيتهما القديم – لكن امرأة يهودية تبنته، امرأة في الأصل لاجئة من بولندا وكانت قد فقدت والديها في ألمانيا في معسكرات الإبادة. ويصبح اسم خلدون الآن دوف، وأخذ يخدم في الجيش الإسرائيلي. وعندما عاد دوف إلى البيت ووجه بوالديه الطبيعيين. ويخفق الحوار الناشئ بين الأب العربي وابنه الإسرائيلي. ويرفض خلدون / دوف التخلي عن هويته الإسرائيلية، ويرفض من ثم العودة مع والديه. وتكون الكلمات الأخيرة التي تفوه بها سعيد لابنه وأمه بالرضاعة : «تستطيعان البقاء مؤقتاً في بيتنا، فذلك شيء تحتاج تسويته إلى حرب»[32] «إن أكبر جريمة يمكن لأي إنسان أن يرتكبها، كائناً من كان، هي أن يعتقد، ولو للحظة، أن ضعف الآخرين وأخطاءهم هي التي تشكل حقه في الوجود على حسابهم»[33] يقول سعيد. س لابنه.

وبطرق عديدة فإن الجملة تعتبر مفتاحاً يصدر للفلسطينيين بحثاً عن فلسطين. ويعني ازدهار الدولة

اليهودية، حسب وجهة نظر كنفاني، البؤس لفلسطينيي المخيمات، إن هذين هما جانبا العملة الواحدة. وهذا هو السبب، حسب وجهة نظر كنفاني، في أنه حتى عمليات مثل الهجوم على مطار اللد هي ضرورية وعادلة. هناك شك قليل يكمن في أن قتل غسان كنفاني كان نتيجة حادث اللد على أيدي العملاء الإسرائيليين مباشرة أو غير مباشرة[34]. لقد كانت جنازته المظاهرة السياسية الكبرى في بيروت منذ وفاة ناصر.

في فلسطين هناك مجموعتان من الناس تدعيان الحق في المنطقة نفسها: الإسرائيليون والفلسطينيون. وكم حرباً شهد التاريخ على ادعاء كهذا ؟ إن كلا الفئتين يصبح شعباً حين يدعي حقه في فلسطين. وقد أصبح أحد الشعبين شعباً من خلال كسب النضال – حتى الآن – في حين أصبح الآخر شعباً جراء تحوله إلى لاجئين وفقدانه المعركة – حتى الآن. ويذكر غسان كنفاني في حياته وموته بأن عدالة ما ينبغي أن تكون وبخاصة للضعفاء. ويجب على أية حل سيوجد، سواء كان قومياً أو ثنائي القومية أو متخطياً للقومية، أن يقر أن السعادة والرفاهية والحياة لطرف لا تعني الشقاء والبؤس والموت للطرف الآخر.

الهوامش

1. Noam، Chomsky،، A، Radical، Perspective، in:، Abdeen، Jabara، and، Janice، Terry، (edd)، The، Arab، World، from، Nationalism، to، Revolution، Wilmette،، III، 1971، 184191–، Noam، Chomsky، وقد أعيد طباعة هذه المقالة بشكل معدّل تعديلاً طفيفاً في Peace، in، Middle، East?، Reflections، on، Justice، and، Nationhood، Irene، مع مقدمة لـ Gendzier، New، York، 1974، 93104–.
2. Maxime، Rodinson،، Israel،، Fait، colonial?، In:، les، Temps، Modernes، 22، (1967)، no، 253، bis،، 1788–، and، idem،، Israel، et، Ie، refus، arabe،، Paris، 1969.

3. آثار 2، 363 :
ليس من الواضح في هذه القصة المقتبس منها هذه الفقرة المقدار الذي يعتبر سيرة ذاتية والمقدار الذي يعتبر قصصياً. والاقتباس هنا من «أرض البرتقال الحزين»، وهي القصة التي حملت عنوان المجموعة القصصية، وقد اتخذت شكل رسالة لأخيه. يقول Hajjar، 1974)) : «يكتب كنفاني القصة على شكل رسالة لأخ غير محدد الاسم، على أية حال، لا يوجد في الآثار. هناك أيضاً ثمة غموض حول التاريخ الدقيق لرحيل عائلة كنفاني من فلسطين يسمى Hajjar، 1974) التاسع من نيسان 1948، يوم مجازر دير ياسين، ويقتبس من آني كنفاني مصدراً له. ولكن في رسالة الكتيب (11) يؤرخ الترحيل بـ«فترة قصيرة قبل 15 أيار».

4. آثار، 374.
عدنان أبو غزالة، الثقافة القومية في فلسطين خلال الانتداب البريطاني، عمان 1984 ترجمة د. حسني محمود. (بتصرف ع.أ).
5. Y، Porath،، The، Emergence، of، the، Palestinian، – Arab، National، Movements، 1918–1929، London، 1974.

6. فاروق غندور، غسان كنفاني – نشأته وحياته – الهدف (15 تموز 1972) ص8.
7. سيجد القارئ الغربي تصوراً ذكياً للفلسطينيين في فواز تركي :
.The، Disinherited، Journal، of، a، Palestinian، in، Exile، New، York، 1972
8. مثال جيد هو «كعك الرصيف» (آثار 2، 81–98).
9. آني كنفاني (1973) 13.
10. أجاب غسان كنفاني على سؤال من أجرى معه المقابلة في الجريدة الرسمية البيروتية لهذا الحزب، البناء، « إلى أية حركة سياسية أنتميت في شبابك المبكر ؟» قائلاً : «في شبابي المبكر كان معظم أصدقائي أعضاءً في الحزب القومي السوري. أنا لا أستطيع التذكر الآن لماذا لم أشاركهم ... ربما كان لطبيعة حياتي ووضعي المزعزع شيء ما لأشاركهم.ولكن ما أرغب في توكيده هو أنه في صلتي بهؤلاء الأصدقاء، المعاملة المميزة التي أعطيت لهم بسبب المستوى الثقافي العالي الذي كتبت فيه أدبيات الحزب « (البناء، من مقال غير محدد في 1970، وهذا الاقتباس وفقاً لـ (1974) Hajjar ص7.
11. مقابلة مع السياسة (الكويت)، هنا أيضاً الاقتباس من Hajjar ص7.
12. وقد كان من العوامل التي حثت كنفاني على الاهتمام في اللغة العربية، للمفارقة، حقيقة أن المدرسة الفرنسية في يافا قد علمته العربية قليلاً. وكان كنفاني في المرحلة الاخيرة في المدرسة السورية موضع سخرية زملائه بسبب هذا العجز، ولهذا فقد بذل جهداً خاصاً ليغطي هذا الضعف. (انظر ش / فل 35 تموز 1974 – ص136) وقد قال كنفاني قبل فترة وجيزة من موته إنه لا يتذكر فيما إذا كان اهتمامه الأدبي سبق اهتمامه السياسي (نفسه 138).
13. تبقى المعرفة عن تاريخ هذه الحركة المهمة قليلة. وانظر (1974) Hajjar ص7. وانظر :
Bassam Tibi، Nationalismus in der dritten welt am arabischen Beispiel ، Frankfurt 1971 ، 193.
14. ولكن إصرار K.S.Karapt في :
"Polticaland Social Thought in Contemporary، Near East ، the London 1968 ، P206f"
15. الذهاب إلى «أن حركة القوميين العرب جاءت إلى نهايتها بعد إنهاء ناصر البعث في 22تموز 1963» هو، في كل الأحوال، خطأ.

ومهمة الباحثين هي إلى حد ما مفتتنة بحقيقة أن مصطلح «حركة القوميين العرب» استخدم غالباً بمعنى القومية العربية في العموم. ولهذا فإن دراسة مجيد خدوري «عزيز علي المصري وحركة القوميين العرب» في:

Middlle، Eastern، Affairs، Number، 4،، ed، by، Albert، Hourani، في، St، Antony's، Papers، No، 17، PP 14063–.

16. ليس لها بالطبع أية علاقة مع ح. ق.ع.

17. إن الأصول البرجوازية الصغيرة لـ ح.ق.ع. والأيديولوجية الناتجة عن ذلك وسط حركة المقاومة الفلسطينية كانت وما زالت واحدة من أكثر نقاط الخلاف جدلاً بين المثقفين العرب. انظر صادق جلال العظم، دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية، بيروت 1973، دار العودة (000). لقد حاول كنفاني أن يدحض تحليلاً مبكراً لصادق العظم وذلك في دفاع قصير عن البرجوازية العربية الصغيرة «قضايا الجدل الفكري من خلال ظاهرة وحيدة. رد على صادق العظم» دراسات عربية (بيروت) تشرين 1/ 1969، 88–96. وانظر:

"S، Wild،، Gott، und، Mensch، im، libanon، Die، Affare، Sadiq، al، – 'Azm، Der، Islam، 48، (1972) 20653–.

18. وأيديولوجية البرجوازية الصغيرة ممثلة في الناصرية كان أيضاً نقطة مركزية في نقد جورج حجار، مع الاحترام لكنفاني.

19. ش / فل 34 (تموز 1974) 136.

طبع في الرأي (دمشق) 2/ 9/ 1957 مع المقالة اللاحقة.

20. آثار 2، 781–790.

ورقة من غزة. آثار 2، 341–350. وتبدو هذه القصة القصيرة الأولى التي كتبها كنفاني. في المقابلة الأخيرة معه (ش / فل 35 تموز 1974/ 137) يقول كنفاني إن القصة الأولى له هي قصة «شمس جديدة» ونشرت في 1956. ولا توجد في الآثار الكاملة قصة تحت هذا العنوان. وما يمكن زعمه هو أنه يمكن أن تكون القصة نفسها مثل «ورقة من غزة» التي نشرت كذلك في 1956 (الكويت). ويقول كنفاني عن قصته الأولى: إن الشخص الرئيسي فيها كان طفلاً من غزة، وهذا ما ينطبق كذلك على «ورقة من غزة»، وربما يكون العنوان قد غير فيما بعد.

حول التغير المميز لسيناريو الفيلم المعد عن هذه الرواية، السيناريو الذي أنجزه توفيق صالح في عام 1972 تحت عنوان «المخدوعون» انظر 1975 .Wild) لقد قال كنفاني بعد أن رأى الفيلم: إن موضوع القصة كتب في عام 1961 وكان أدبياً أكثر نضجاً من اقتناعه السياسي في تلك الفترة. (ش/فل 35 تموز 1974/ ص138) والحقيقة في أن الفنان داخل كنفاني كان أكثر حساسية من السياسي يمكن أن يثبت الحقيقة للأعمال الكاملة لكنفاني ككل. وقد اعتبر بعض النقاد العرب اليأس المطبق للقصة الأصلية غير ملطف من أية وجهة نظر إيجابية فضيحة. وانظر: إحسان عباس، المبنى الرمزي في قصص غسان كنفاني؛ دراسات عربية (بيروت) 9/ 1972، ص47–54 وبخاصة ص49. (مقدمة المجلد الأول من آثار ص11–27). وفي مقالة إحسان عباس المبنى الرمزي في قصص كنفاني يفسر كاتبها أبا الخيزران على أنه رمز للقيادة الفلسطينية والجيش الفلسطيني المهزوم. هذا بالتأكيد حقيقة. وما هو أقل وضوحاً لي هو تفسير عباس الأبعد بأن أبا الخيزران في تعامله مع شرطة الحدود الكويتية يجسد تستر القيادة الفلسطينية عن البيروقراطية الفاسدة. وعلى أية حال فربما مالا يقبل الجدل هو المعنى الرمزي لرواية رجال في الشمس وموضوعها ككل. انظر كذلك إحسان عباس، الجسور والعلاقات في قصص غسان. دراسة في فكر غسان القصصي. ش/فل 13 (أيلول 1972)، فضل النقيب، عالم غسان كنفاني. ش/فل 13 (أيلول 1972) 205–221.

لقد حاولت تحليل شخصية الفلسطيني (ونظيره الإسرائيلي) في أعمال كنفاني الأدبية في (1975 Wild) والشيء نفسه، ولكن مع مقاربة مختلفة، فعله إلياس خوري في: البطل الفلسطيني في قصص غسان كنفاني. ش/فل 13 (أيلول 1972) 167–180.

21. ش/فل 34 (تموز 1974) 139. وكذلك كان كنفاني متأثراً بأخيه الحامي وهو شيوعي معروف.

22. انظر بلال الحسن، غسان والموت. ش/فل 13 (أيلول 1972) 150–155.

ما هو مميز للإثارة العالية لدى كنفاني ولحساسيته غير العادية هو ذلك الحادث العرضي المخبر عنه هنا وفقاً لـ (1974) .Hajjar P7: لقد حدث في أثناء زيارته للصين، حيث ذهب إلى هناك عام 1966 ليحضر مؤتمر الكتاب الأفرو – أسيوي. لقد وزع كاتب فيتنامي شمالي، بعد قراءة كلامه، على الأعضاء الآخرين في المؤتمر شظايا تذكارية من بقايا طائرة أمريكية أسقطت قبل أسبوع. ومس هذا كنفاني مساً هائلاً، وعندما جاء دوره للكلام لم يقرأ كلامه المعد. وبدلاً من ذلك فقد قال إنه لا يملك شيئاً يقدمه بالطريقة نفسها التي قدم فيها زميله الفيتنامي الشمالي، ولكنه وعد أن يفعل ذلك في المؤتمر القادم، وجلس من ثم، وانفجر باكياً.

لقد تم اللقاء الأول في أوائل 1965. وقد زار رئيس م.ت.ف. أحمد الشقيري الصين في الفترة بين 15–22 آذار من عام 1965 مع وفد فلسطيني. وسئل الدكتور جورج حبش ليشارك في الوفد، ولكنه رفض. (انظر: أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء، بيروت 1971، ص219 وما بعدها).

إن زيارة كنفاني تشكل نقداً حاداً للشقيري الذي كان متحمساً في خريف 1965 حيث استقبله وزير خارجية الصين شون لي، كانت بالتأكيد تقدم وجهة نظر حبش، وبالتأكيد فقد كانت وجهة النظر هذه، في حينه، تشكل نقداً حاداً للشقيري وطريقته في الجري في م.ت.ف. في الاتجاه المعاكس. وقد نشر كنفاني الذي كان متحمساً للصين واستقبل هناك، في المحرر في 18 تشرين ثاني

1965 مجموعة حرفية لمحادثاته مع وزير الخارجية الصيني (71 (1974) Hajjar).
ولم تتحقق خطة كنفاني في أن يكتب كتاباً حول زيارته للصين (وللهند) تحت عنوان «ثم أشرقت آسيا» على أية حال. انظر حول ذلك الهامش التالي.

23. هذا الكتاب غير متوفر لي. المقتطف هنا مقتطع من 1974) Hajjar)، ص17 وما بعدها.

24. Cf، Alexander، Bennigsen، and، Qeul-quejay،، les، mouvements، nationaux، chez، les، Musulmans، de، Russie.I : le، "Sultangalievisme"، au، Tatarstan، Paris – The، Hague، 1960، and، Maxime، Rodinson،، Marxisme، et، monde، musulman،، Paris، 1972، 377-389.

25. إن مناقشات غالي شكري وفؤاد دوارة وآخرين (أساساً في الآداب البيروتية الشهرية) حول تعريف كنفاني لأدب المقاومة وفي أي من المعايير الأدبية الصافية يمكن أن يطبق بشكل كاف حللها جدعون شيلوه «موقف النقاد العرب في الأقطار العربية من أدب المقاومة العربي في إسرائيل» (بالعبرية) ونشر في همزراح هحداش 1974 XXIV عدد 1-2 ص47-62. وقدم له ملخص بالإنجليزية : نفسه (IV – VI). والمقالة الأكثر إثارة للجدل كانت مقالة غالي شكري : أبعاد البطولة في شعر المقاومة العربية. الآداب 17 / 7 (1969) 18-23، 58-63.

26. على الأقل فإن ما هو ملائم جزئياً هو وصف فرانز فانون للحالة الكابوسية للمستعمرين (Les، Damme's، se، La، Terre باريس 1961). لقد حلل كاتب فلسطيني، بجدارة، علاقة المثقفين الفلسطينيين المميزة إزاء الغرب، علاقة الحب – الكراهية، (بصورة أساسية العناصر المتحدثة بالإنجليزية) والتي يشارك فيها المثقفون العرب الآخرون. انظر :

27. Hisham، Sharbi،، The، Arab، Intellectuals، and، the، West:، the، Formative، Years،،" 1875-1914، 1970، Baltimore".

وما هو قابل للفهم هو أن هذا البغض موضوع له صلة في إسرائيل، لتلك المجموعات التي يحاول أن تأتي لتشتت بحقيقة الفلسطينيين.لقد كانت الصحفية الإسرائيلية دانا زوهر، بواسطة جنسيتها المزدوجة وجواز سفرها الأمريكي، قادرة على مقابلة كنفاني في بيروت عام 1970. وقد قررت في مقابلة ما يلي : «الرجل الذي تحدثت معه من ج.ش. هو غسان كنفاني، وهو واحد من الأبطال المثقفين للثورة العربية، أنا اعتقد أنه اشتراكي مخلص. ومما تفوه به لي فقد أعطاني انطباعاً كبيراً على أنه مثلما قال، ولكنه يكره اليهود كثيراً...» انظر : "no. 2March، 39 / 1971 / New، Outlook، 14" ومقابلتها مع الطالبة الإسرائيلية الوهمية Lillit التي أعيد نشرها في New، Outlook وبالتفصيل تقريرها في مجلة أوري أفنيري هعولام هزه (29 تموز1970) هي خليط غريب من البصيرة النافذة والتشويه. وبالرجوع إلى الفقرة المقتبسة فالحقيقة هي أن كنفاني لم ينزعج أبداً في إخفاء هذا البغض، ولكنه بغض يتعالى على بغض الجنس أوالدين.

28. Hajjar، (1974)، 109.

29. (نفسه).

30. لقد كانت المجموعات الثلاث : شباب الثار التي كانت الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب، وأبطال العودة التي أنشئت في تشرين ثاني 1966 وانضمت إلى م.ت.ف. وجبهة التحرير الفلسطينية التي حطت في سوريا تحت قيادة أحمد جبريل. وكانت هذه الثلاث مجموعات مشتركة مع عدد من الضباط المسرحين من الجيش الأردني ومجموعة ناصرية تحت قيادة أحمد زعرور. انظر (غسان كنفاني، المقاومة ومعضلتها، ص3 وما بعدها).
يرى كنفاني في استعادة الماضي تطوراً، على النحو التالي : «ولكننا كنا في مجتمعنا وفي حركتنا (ح.ق.ع.) حساسين جداً في كل شيء يخص الماركسية اللينينية. ولم ينشأ هذا الموقف عداوة تجاه الاشتراكية، ولكنه كان نتيجة الأخطاء التي ارتكبتها الأحزاب الشيوعية في العالم العربي. ومن ثم فقد كان من الصعب لـ (ح.ق.ع.) أن تتبنى الماركسية اللينينية قبل 1964. ولكن في عام 1967، في تموز تحديداً، فقد تبنت الجبهة الشعبية الماركسية اللينينية. لقد كانت المجموعة الوحيدة داخل (ح.ق.ع.) التي خطت هذه الخطوة» (ش / فل 35 تموز 1974، ص139).

31. المقاومة ومعضلتها، ص4.

32. آثار 1 / 413.

33. نفسه 410، وانظر أيضاً.

Trevor، J.le، Gassick،، some، recent، war-related، Arabic، fiction، MEJ، 25(1971) 491-505.

34. بالطبع ليس هناك دليل حاسم ولن يكون أيضاً حتى يقرر أن يتكلم أحد العملاء. رفائيل روتشتاين، مراسل عادي في نيويورك لصحيفة هارتس الإسرائيلية ولكنه حسن الاطلاع، وذهب إلى أن اغتيال كنفاني كان «جزءاً من حملة الموساد ضد الإرهابيين العرب» في أوروبا والشرق الأوسط. لقد قيل أن الفعل قد يكون تحت الإشراف المباشر لأهارون ياريف، المستشار الخاص لأمن رئيس الوزراء الإسرائيلي (جروزالم بوست، 22 كانون الثاني، 1973).

مصادر أساسية

إن كتابات غسان كنفاني الأدبية والسياسية المنشورة في الصحف والمجلات والدوريات والكتب بين دمشق والكويت وبيروت – أحياناً مكتوبة تحت أسماء مستعارة أو حتى دون الإشارة إلى المؤلف – هي إلى حد بعيد مبعثرة، ويبدو الحصول عليها أحياناً صعباً والأسماء المستعارة التي نشر تحتها هي : أبو العز (أساساً في الكويت)، فارس فارس (استخدم أساساً في كتابة العمود الأسبوعي الأدبي في الأنوار)، أبو فايز (استخدم بعد ولادة ابنه فايز عام 1962)، وكذلك اختصار مثل ألف فاء.

إن لجنة تخليد غسان كنفاني التي دفعت بقوة ابن عمه فاروق غندور، بدأت تنشر أعماله الكاملة، مجلد 1 (الروايات) مع مقدمة لإحسان عباس. بيروت 1972. دار الطليعة، في 614 صفحة مع رسومات لمنى السعودي (تقتبس هنا : آثار، I). وبينت لجنة التخليد نفسها ملاحظة تفسيرية قصيرة (آثار، 2، 779 وما بعدها) أن جمعهم للقصص القصيرة هو غير مكتمل. وقصة «الفدائي» مثال على ذلك، ولقد نشرت هذه للمرة الأولى في الحوادث البيروتية الأسبوعية في عام 1968 ثم أعيد نشرها في المجلة نفسها في 14 تموز 1972 ص74 وما بعدها، ولكنها غير موجودة في الآثار 2. والعدد الضخم من الكتابات والمقالات يواجه جمعه مشاكل كبيرة – فلجنة الإشراف تشك فيما إذا كانت تستطيع جمع كل ما كتب (آثار 2، 779).

لقد كان كنفاني واحداً من ألمع الصحفيين في بيروت في وقته، والانحراف الضخم للمواد يعود حقيقته إلى أنه غالباً لم يوقع مقالاته، وما يجعل من هذا معقولاً جداً هو ندوة السلسلة الكاملة للمناقشة في الصحف العربية والمجلات. بالطبع ثمة أسباب أخرى هناك، وكم المواد المكتوبة لم يستطع، ولكن، احتواء إصدارات افتقدت مغزاها، وبالتأكيد ثمة آراء سياسية فضلت اللجنة عدم نشرها مثل الهجوم على الناصرية، وتعطينا القائمة التالية أسماء الكتب التي نشرت منفصلة وبعض المقالات والمقابلات المهمة... الخ.

القصص :

1. موت سرير رقم 12 وقصص أخرى، بيروت. دار منيمنة.
2. أرض البرتقال الحزين، مجموعة قصص، بيروت 1963.
3. رجال في الشمس، بيروت 1963. دار الطليعة.
4. الباب، مسرحية في خمسة فصول، بيروت 1964، دار الطليعة.
5. عالم ليس لنا، مجموعة قصصية، بيروت، 1965، دار الطليعة.
6. ما تبقى لكم، رواية، بيروت 1966، دار الطليعة.
7. عن الرجال والبنادق، مجموعة قصص، بيروت 1968. دار الآداب.
8. أم سعد، قصص، بيروت 1969. دار العودة.
9. عائد إلى حيفا، بيروت 1969. دار العودة.
10. برقوق نيسان، في شؤون فلسطينية، أيلول 1972. ص181-191. وهذه قصة كنفاني الأخيرة.

11. روايتان غير مكتملتين : العاشق والأعمى والأطرش.
12. القنديل الصغير، بيروت 1975. دار الفتى العربي، وهي قصة أطفال كتبها مع رسوم لها. وكانت في الأساس هدية عيد ميلاد لابنة أخته لميس نجم عندما كانت طفلة. ولميس هي الطفلة التي قتلت معه في حادث السيارة.

(ملاحظة : أسقطت هنا إشارات المؤلف حول القصص التي ترجمت إلى لغات فمعذرة. ع.أ)

ب. أعمال غير قصصية :

الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال. بيروت 1968.

1. الأدب المقاوم في فلسطين المحتلة 1948-1966. بيروت 1966. دار الأدب.
2. في الأدب الصهيوني. بيروت 1970 مركز الأبحاث م.ت.ف. دراسات فلسطينية.
3. المقاومة ومعضلتها كما تراها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – بيروت آب 1970. كتاب الهدف رقم 5. كتبه كنفاني ولكنه لم ينشر تحت اسمه.
4. المقاومة الفلسطينية. تجارب ودروس. نص محاضرة أعطاها كنفاني في أيار 1970 إلى رواد نادي الاستقلال في الكويت قسم المعلومات في ج.ش.ت.ف. وهي في 34 صفحة ستانسل.

ج. بعض المقالات والمقابلات المهمة :

1. الغطرسة العنصرية في الرواية الصهيونية. الآداب 6/14 (حزيران 1967 3-5).د
2. وعد. الآداب 1/16 (1968) 42. في ذكرى الكاتبة الفلسطينية سميرة عزام.
3. محمود درويش – قفزة في عشر سنوات. الآداب 3/17 (1969) 27 وما بعدها.
4. العمل الفدائي في مأزقه الراهن. مواقف 8 (1970) 42-66.
5. شعرة المقاومة. مواقف 9 (1970) 139-143.
6. الدنمارك. دراسة في تجربة إعلامية. ش/فل 9(أيار 1972) 187-196.
7. ثورة 36-1939 في فلسطين : خلفيات وتفاصيل وتحليل. ش/فل 6 (كانون 2 / 1972) 45-77.
8. حول قضية أبو حميدو وقضايا التعامل الإعلامي والثقافي مع العدو. ش/فل 12 (آب 1972) 8-18. وهذه المقالة الأخيرة التي كتبها.
9. Interview، The، Liberation، od، the، Occupied، Territories، is، only، the، First، 36-Step، New، Middle، East، 24 (sept، 1970)، 34.
10. Interview، with، Ghassan، kanafani، on، the، PELP، the، September، Attack، New، 57-Left، Review، 67، (May-June، 1971)، 47.
11. حديث ينشر لأول مرة مع الشهيد غسان كنفاني. ش/فل 35 (تموز 1974). 136-142. وهي ترجمة لمقابلة بالإنجليزية تمت قبل أسابيع من اغتيال كنفاني أجراها كاتب سويسري غير معروف.

د. مصادر ثانوية واختصارات :

1. آثار : غسان كنفاني الآثار الكاملة :

#، Hajjar، (1974):، George، Hajjar،، Kanafani:، Symbol، of، Palestine، (Beirut)، 1974،، 8، 173، PP.

وليس هناك إشارة إلى ناشر. لقد ولد المؤلف لعائلة لبناية عاشت في فلسطين. وهو المؤلف المشهور لكتاب ليلى خالد "My، People، shall، live،، London، 1973" ويعمل الآن في مركز الأبحاث التابع ل م.ت.ف، يهاجم باستمرار آراء كنفاني على أنه لم يكن يسارياً بما فيه الكفاية. ونغمته المبالغ في حزنها من ثم تميل لأن تكون غروراً وتقويماً ذاتياً للذات على أنها أكثر أخلاقاً من الآخرين.

#، JPS، :، Journal، Palestine، Studies، (Beirut).

2. آني كنفاني (1973) : آني كنفاني، غسان كنفاني، بيروت 1973. ط2 وثيقة مؤثرة ذاتية كتبتها أرملة كنفاني.

#، MEJ، :، Middle، East، Journal.

3. ش/فل : شؤون فلسطينية (بيروت).

#، Wild، (1975)، Stefan، Wild،، Der، Palastinenser، in، literarischen، Werk، Ghassan، Kanafani.

وانظر المقال في مجلة الكاتب عدد 145 (تموز 1992) حيث نقله إلى العربية عادل الأسطة.

ملاحظة :

نشر هذا البحث في كراس خاص صدر عام 1975 عن دار النشر
.OTTO، HARRASSOWITZ، WIESBADEN

عبدالرحيم محمود

١٩١٣ – ١٩٤٨

إعداد أ. جمال عبد الرحيم حمد

عبدالرحيم محمود

أولا : تعريف بالشاعر :

هو عبد الرحيم بن محمود بن الشيخ عبد الحليم عبد الله، ولد في عنبتا عام 1913م، ولا شك في ذلك رغم الخلاف الذي وجد في بعض الكتب، مثل: أعلام الأدب والفن، فقد ذكر مؤلفه أن عام ولادته هو 1910م- وديوانه الذي أعدته مكتبة بلدية نابلس، وذكر فيه ولادته كانت عام 1914م – وأكد نافع عبد الله أن ولادة عبد الرحيم محمود كانت عام 1913، وكان دليله من خلال شهادته المدرسية وديوانه.

وعرفت أسرته بالثقافة والعلم والفقه، فسميت (الفقهاء)، وكان والد عبد الرحيم، محمود قد تخرج في الجامع الأزهر، وأصبح من شيوخ المذهب الحنبلي في قضاء بني صعب، وكانت هذه التسمية تطلق على قضاء طولكرم في ذلك العصر.

وتزوج الشيخ محمود والد عبد الرحيم ثلاث نساء كانت آخرهن والدة عبد الرحيم محمود، وكان له باع في الشعر، ولكن شعره كان مقتصرا على الهجاء، ولا سيما هجاء القضاة والمسؤولين، وقد عده بعضهم من الشعراء الناقدين الظرفاء.

عاش عبد الرحيم محمود طفولته الأولى في كنف والديه، فكان من الطبيعي أن يغرس الوالد الشيخ في نفس ولد حب العلم والدين، ولكن المنية عاجلته، فتوفي عام 1919م، وقد مضى من عمر عبد الرحيم ست سنوات فقط، فعرف عبد الرحيم معنى اليتم في مستهل حياته.

وتلقى دراسته الابتدائية في بلدته عنبتا ما بين سنة 1921م وسنة 1925م، وواصل دراسته الثانوية المتوسطة (الاستعدادية) في مدينة طولكرم (في المدرسة الفاضلية حاليا)، إذ مكث فيها أربع سنوات أخرى، وفي السنة الأخيرة من دراسته بدأت تظهر عليه معالم النبوغ في الشعر.

ثم التحق بمدرسة النجاح؛ فقضى فيها سنتين للدراسة الثانوية العالية ما بين (1929-1931)، وبعد أن تخرج في مدرسة النجاح، التحق بسلك الشرطة في الناصرة، لمدة ثلاث سنوات، وسرعان ما ترك عمله هناك، بعد أن رفض أوامر سلطات الاستعمار البريطاني بملاحقة الثوار، وكانت بريطانيا قد أخضعت البلاد لحكم عسكري عنيف، بعد أن أتمت استعمارها لفلسطين منذ عام 1918م.

ترك عبد الرحيم محمود الناصرة، وتوجه للعمل في مدرسة النجاح، وأسندت له وظيفة تعليم اللغة العربية للصفوف الابتدائية، وبقى فيها أربعة أعوام (1933-1937م)وبعد قيام ثورة عام 1936م لم يتوان عبد الرحيم محمود عن الالتحاق بالثورة بقيادة عبد الرحيم الحاج محمد (أبو كمال) من قرية ذنابة – قضاء طولكرم. وانخرط الشاعر في صفوف المجاهدين، فشارك تارة ببندقية وتارة بلسانه، وهو يردد قصيده (الشهيد) التي يقول فيها :

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياه تسر الصديق وأما ممات يغيظ العدى

وأكد أحمد عبد الرحمن، أحد رفاق عبد الرحيم محمود، أنه قال هذه القصيدة في ثوره فلسطين عام (1936)، وقد أنشأها ليرثي أحد رفاقه من الدروز الذين قتلوا أثناء الدفاع عن الأرض والمقدسات، فراح ينشد القصيدة، وهي تفيض حزنا وتحث على مواصلة درب الجهاد ومقارعة الصهيونية والمستعمرين.

وبعد انتهاء الثورة توجه عبد الرحيم محمود إلى العراق، لاسيما انه كان مطلوبا للقوات البريطانية وهناك اتصل بـأمين الحسيني، ثم دخل الكلية العسكرية في بغداد برتبة ملازم ثان، وبرز في مدرسة العشّار الابتدائية في البصرة، ولما قامت ثورة رشيد عالى الكيلاني في عام 1941م، شارك فيها عبد الرحيم محمود ورفاقه الذين كانوا قد لجأوا إلى العراق، ولكن هذه الثورة فشلت بعد أن دخلت القوات البريطانية العراق عام 1941م فما كان منه إلا أن عاد إلى مدرسة النجاح في عام 1942م ليلتحق بالهيئة التدريسية حتى عام 1947م، وفي هذه الفترة استطاع الشاعر أن ينشر معظم قصائده الوطنية.

وبعد قرار التقسيم التحق بجيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي، وكان عبد الرحيم محمود قد سافر إلى دمشق في كانون الثاني من عام 1948م، حيث تدرب في قطنة في محافظة دمشق، ولكنه سرعان ما رجع إلى طولكرم، وتسلم قيادةَ سرية من سرايا حطين. ويدخل عبد الرحيم في منطقة طولكرم، ويرقى إلى رتبة ملازم أول، ويعمل مساعدا لآمر فوج حطين الذي كان مسؤولا عن مدينة الناصرة إلى نهاية مدة الهدنة الأولى من 6/13 إلى 1948/7/9.

وتشتد المعارك بين الصهاينة والمجاهدين الفلسطينيين، إذ حاول الصهاينة احتلال الشجرة بمحاولات مستميتة من جانبهم، وكان عبد الرحيم من الذين شاركوا ببسالة في معركة الشجرة؛ تلك المعركة الفاصلة التي دارت في الثالث عشر من تموز في عام 1948م، وقد أصيب في عنقه ووجهه بشظية قذيفة، بعد ظهر يوم 1948/7/13م، فأخذه رفاقه في سيارة عسكرية إلى مستشفى الميدان في الناصرة، وكانت السيارة العسكرية التي تقله قد هوت في واد، وقد أخطأ خير الدين الزركلي حين ظن أن عبد الرحيم محمود فاضت روحه في هذا الحادث، لكن الحقيقة أن رفاقه لم يصابوا بأذى، فنقلوه في سيارة أخرى الى المستشفى، وتبين في المستشفى أنه أصيب بنـزيف حاد، ولم يستطع الأطباء وقفه فتضاعفت الإصابة، وراح يلفظ أنفاسه الأخيرة ليلا وهو يردد :

احملوني احملوني واحذروا أن تتركوني
يا فلسطين، وداعا خالصا من كل هون
وخذوني لا تخافوا حيثما مت ادفنوني

وقد تم دفنه في مدينة الناصرة، حيث كانت رغبته ووصيته.

ثانيا: شعره ودواوينه ومقالاته :

كرست جهود قليلة لرصد أعمال عبد الرحيم محمود، غير أن معظمها كان يصدم بعقبات كبيرة. فقد مات عبد الرحيم محمود قبل أن يجمع شعره، وقبل أن يرتبه في ديوان مستقل. وقد ضاع كثير من الصحف التي نشرت قصائد لعبد الرحيم محمود، كما أن كثيرا ممن كانوا يحفظون شعر عبد الرحيم، أو يحتفظون به في جرائد أو مجلات أو على أوراق خاصة، قد شردوا بعد نكبة عام 1948م، ومع ذلك فقد كان أول الجهود عندما أقيم حفل لتأبين الشاعر الشهيد في عمان عام 1948م، إذ تمخض عنه لجنة تتولى مهمة جمع شعره ونثره، وكانت هذه اللجنة تتألف من عيسى الناعوري وعادل الزواتي وتوفيق أبو شريف، وقد تم بالفعل نشر ديوانه عام 1958م، إلا أن هذا العمل كان ناقصا، لأن اللجنة، قامت بحذف نصوص شعرية كثيرة بحجة الضعف في السياق والمعنى.

وكان أول المتصدين لهذه الطبعة الأستاذ ناصر الدين الأسد، فقد هاجم اللجنة، ورأى أنه ليس من حق اللجنة التي تبنت جمع الديوان أن تحكم ذوقها ورأيها في شعره، وتساءل عن المقاييس النقدية التي وزن بها أعضاء اللجنة شعر عبد الرحيم محمود، بل إن عز الدين المناصرة اتهم اللجنة بأنها قد حذفت قصائد ومقالات لأسباب مزاجية شخصية، ويعتقد أن وراء الحذف كله أسبابا سياسية، فقد كان جديرا بلجنة التكريم أن تترك للقارئين النقاد رأيهم في شعر عبد الرحيم محمود، وأن تصدر حكمها سلفا مما يجعل هذا العمل متسما بالضعف، علما بأن هذا الديوان يحتوي على «428» بيتا من الشعر فقط.

وفد تلا هذا العمل جهد قام به الدكتور كامل السوافيري، إذ قام اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بنشر ديوان عبد الرحيم محمود، فقد قدم له الدكتور كامل السوافيري، وحققه، وكان عيب هذا الديوان أنه اعتمد كليا على الطبعة السابقة، و لم يضف على سابقه سوى (68) بيتا بعد ستة عشر عاما، فكانت هذه الطبقة مكونة من (496) بيتا فقط وقع الدكتور كامل السوافيري في أخطاء كثيرة في هذه الطبعة من حيث القصائد و العناوين و التواريخ لحياة الشاعر و دراسته؛ وقد تعقبها الأستاذ نافع عبد الله، مفندا ما ورد فيها من أخطاء وهنات.

كما أعدت مكتبة بلدية نابلس العامة دراسة عن سيرة عبد الرحيم محمود تتضمن أشعاره معتمدة على الطبعة الأردنية مضيفة الشيء القليل دون الاطلاع على طبعة السوافيري، و لم تضم سوى (658) بيتا من الشعر فجاءت ناقصة و لكنها لم تدع أنها دراسة محققة أو دقيقة لشعر عبد الرحيم، محمود.

وفي عام 1971 م، أعد نافع عبد الله دراسة كانت أطروحته لنيل درجة الماجستير بعنوان الشاعر عبد الرحيم محمود (1913-1948م)، كان هدفها جمع النصوص الشعرية و النثرية و تحقيقها، و قد جاءت هذه الدراسة ناضجة أكثر من سابقتها، و قد تميزت بالدقة و التوثيق الجيد و قد جمع نافع عبد الله (731) بيتا.

ثم جاء بعد كتاب نافع عبد الله الديوان الذي حققه و قدم له حنا أبو حنا و قد أشرفت عليه لجنة منبثقة عن مركز إحياء التراث في الطيبة، و استطاعت أن تجمع (923) بيتا، و ليس كما ورد في الأعمال الكاملة بتحقيق عز الدين المناصرة من أن مجموع الأبيات في هذه الطبعة هو (891) بيتا، مع أن عز

الدين المناصرة يذكر في الجدول الذي وضعه ليقارن فيه بين عدد الأبيات في الطبعات المختلفة، أن مجموع أبيات طبعة (حنا أبو حنا) (912) بيتا.

و كان آخر هذه الأعمال متمثلا في الطبعة التي حققها عز الدين المناصرة كما أسلفت عام 1988م، و قد قدم لها بتعليقات على الطبعة السابقة، هذه الطبعة تحتوي على أكبر مجموع من الابيات و قد أضاف عز الدين المناصرة لطبعة حنا أبو حنا (951) بيتا من الشعر لتصل حصيلته الى ما مجموعه (1874) بيتا، أي ضعف ما جاء في طبعة حنا أبو حنا.

و مما يؤخذ على هذه الطبعة حذفها لقصيدة الخذلان التي أوردها نافع عبد الله و حنا أبو حنا؛ علما بأن هذه القصيدة هي لعبد الرحيم محمود كما بين أحد أقارب الشاعر و هو الأستاذ طارق عبد الكريم محمود (ابن أخي الشاعر)، موضحا إن معظم أقاربه يحفظون هذه القصيدة و يعرفونها.

كما يرفض عز الدين المناصرة أن تكون قصيدة «احملوني» المكونة من ثلاثة أبيات لعبد الرحيم محمود متذرعا بأنها قيلت حسب الرواة عندنا أصيب الشاعر في معركة الشجرة و هو في طريقه الى المستشفى قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، وأرى أن في ذلك مجانبة للصواب و بعدا عن الحقيقة، اذ كيف يغيب عن بال المناصرة أن هناك شعراء رثوا أنفسهم قبل الموت، مثل مالك بن الريب وأبي فراس الحمداني و غيرهما ؟!

يقول الأستاذ طارق عبد الكريم: « احملوني احملوني» قالها وهو جريح، و قد شهد من نقله الى المستشفى على صحة نسبة هذه الأبيات لأن عبد الرحيم عندما أصيب لم يمت حالا وإنما جرح ونقل الى المستشفى وهو بكامل وعيه ولكن الجرح كما يبدو كان بليغا و لم يستطع الأطباء أن يوقفوا النزيف لتأخر الطب في ذلك الوقت، فظل ينزف ساعتين في المستشفى قبل ان يفارق الحياة».

و قد اعتمدت في هذه الدراسة على هذه الطبعة في المقام الأول، فهي تحوي (78) قصيدة إضافة الى مجموعة متفرقة من الأبيات، عددها (7) أبيات و قد جمع عز الدين مناصرة في هذه الطبعة خمس مقالات أدبية لعبد الرحيم محمود إضافة الى المقالة التي أوردها نافع عبد الله و هي : ليست دفاعا عن إبراهيم، و هذه المقالات هي -1 جبران ؟ -2 ما جبران ؟ -3 أصناف السراقين، -4 الأدب المسكين -5 فصل في الشعبذة أو الشعوذة.

و جدير بالإشارة أن الاعتماد في الدراسة على الطبعة التي حققها عز الدين المناصرة لا يعني أنها تضمنت كل شعر عبد الرحيم محمود، و لكني على يقين – لا سيما بعد معرفتي بسيرة حياته ـ من أن كثيرا من شعر عبد الرحيم محمود قد ضاع، فقد كان « عيد الرحيم محمود « من شعراء فلسطين الذين امتلأت الصحف والمجلات بقصائدهم وعمرت المجالس والمناسبات القومية بأشعاره « ولكن هذه الطبعة هي الكبرى كمّاً، وكان طبيعيا أن أعتمد عليها في هذه الدراسة ومن يدري، فقد يوفق بعض الباحثين الى الكشف عما خفي علينا وعلى من جمع ديوانه من قبل.

ثالثا : عبد الرحيم حلقة بين جيلين :

يعود الفضل في اكتشاف شاعرية عبد الرحيم محمود الى أستاذه الشيخ عبد الرحمن الخطيب البيتاوي الذي كان يعلمه اللغة العربية في طولكرم، وهو الذي أخذ بيده الى عالم القريض و حبب إليه اللغة العربية، ثم اتيح لعبد الرحيم محمود أن يلتقي بمجموعة من أعلام الفكر في مدرسة النجاح مثل الشاعر إبراهيم طوقان، والأستاذ عمر فروخ، والأستاذ أنيس الخوري المقدسي، والشاعر محمد العدناني، والعالم قدري طوقان – و هنا تبرز علاقة عبد الرحيم محمود بأستاذه الشاعر إبراهيم طوقان الذي تتلمذ على يديه سنة واحدة فقط، و مع ذلك فقد ترسخت العلاقة بين المعلم و تلميذه. و لعل المعلم هو خير من يرصد مجال تفكير التلميذ و طموحه، فقد أحب إبراهيم عبد الرحيم محمود. و نستطيع أن تلمس ذلك في قول فدوى طوقان عن أخيها إبراهيم طوقان :» و كان له تأثير في بعض طلابه من الصفوف العالية فيحبب إليهم الشعر و الأدب، ولا أزال أذكر ذلك اليوم الذي أقبل فيه، يحدثنا مبنهجا بأن بعض تلاميذه النجب قد بدؤوا ينظمون الشعر على يديه «.

و كان لإبراهيم طوقان تأثير وجداني ووطني على نفسية تلميذه، فقد تأثر التلميذ بأستاذه الى حد كبير» فبينما كان شعر طوقان وطني يتبنى الدعوة الى مقاومة، الاستعمار و الصهيونية و محاربة السماسرة و باعة الأراضي و مناهضي الوطنية و العلم، على أيقاظ الشعب و تحذيره من الزعامات العائلية، كان شعر عبد الرحيم الوطني يمثل حدّي صخر، الأول بندقيته و الآخر شعره، فيلقي هذان الحدّان بل يدعمان في نقطة واحدة هي رأس الحربة التي تطعن المستعمرين و الصهاينة «.

و يتجلى مدى حب عبد الرحيم محمود ووفائه لمعلمه من خلال المقالات النقدية، ففي المقالات التي أوردها نافع عبد الله مقالة دافع فيها عبد الرحيم محمود عن معلمه إبراهيم طوقان، وهاجم من عابوا بعض شعره، فلقد كان عبد الرحيم يجل أستاذه إبراهيم و يتخذه قدوه و لعل من غرائب الصدف ان يتشابها حتى في عمرهما، فإذا كان عبد الرحيم قد مات عن عمر 35 عاما، فإن استاذه لم يزد عنه إلا سنة واحدة فقط.

وليس غريبا أن نجد لعبد الرحيم حضوراً عند ذكر ابراهيم طوقان أو العكس. فقد قرنتها بعض الكتب معا في الدراسة و التأليف، منها : شاعران معاصران – لعمر فروخ، و شاعران من جبل النار – لوليد صادق جرار، وقد تأثر عبد الرحيم و أثر في أبناء وطنه لدرجة أن أساتذته كانوا يعجبون به، فعمر فروخ يصفه قائلا : « و يأتي عبد الرحيم محمود في المرتبة الثانية بعد ابراهيم طوقان في هذا الباب من القول، و لكنه فوق جميع الذين قالوا لأنه كان من المجاهدين الذين ربطوا الكلمة الصادقة بالجهاد المخلص.... .»

و لم يقتصر تأثيره على أبناء وطنه فحسب، ففي العراق التقى عددا من الشعراء العراقيين مثل معروف الرّصافي و محمد مهدي الجواهري، فتأثر بهما و بطبيعة العراق التي تركت في نفسه أثرا كبيرا بعد ان عاش فيه فترة وعمل فيها ضابطا ثم مدرسا، و هذا الاثر واضح في شعره و بشكل جليّ.

و اما علاقته بالأدب العربي القديم، فقد كانت قوية، فعبد الرحيم محمود قرأ أمهات الكتب القديمة ملما بتراثها وواقفا على نصوصها، كما تعلم القرآن صغيرا، و قرأ الشعر القديم، وأعجب ببعضه، لدرجة

كبيرة لا سيما شعر أبي الطيب المتنبي، حيث وجد فيه رمزا للكبرياء و الطموح و الشموخ، مما جعل رفاقه يكنونه ابا الطيب و هوفي مدرسة النجاح، و كان منهم : موسى الخماش و أديب سقف الحيط (وهما من نابلس) وبرهان الدين العبوشي (من جنين).

وبعد زواجه و انجابه الطفل الأول سماه الطيب تيمنا بالمتنبي الذي رأى فيه انعكاسا لشخصيته و مثالا لطموحه يحتذى، ومن الجدير بالذكر، أنه كان لعبد الرحيم صديق مغربي كان وميلا له في الدراسة و هو (الطيّب بنونة)، و كان عبد الرحيم يحب صديقه هذا كثيرا حتى أنه وعده بأن يسمي ابنه الأول في المستقبل الطيب، فأمكن القول بأنه سمى ابنه «الطيب» تأثرا بالمتنبي الشاعر القديم أو باسم الطيب بنونة الزميل الرفيق.

ولم يقتصر تأثر عبد الرحيم محمود على المتنبي، بل كان يحب الشعر القديم بشكل عام، ويهيم بفحول الشعراء العباسيين كأبي تمام والبحتري وأبي العلاء المعري وصفي الدين الحلي وغيرهم، وأستطيع القول إنه كان على اطلاع واسع على عيون الشعر العربي القديم وروائع الأدب، بل تعدى ذلك الى الاساطير اليونانية التي اطلع عليها وفهمها حتى ان بعضها ورد في شعره كقوله :

دع عنك رائعة الأغاني جفت على شفتي الأماني
ارفوس، ليس بمستطيـ ـعٍ أن يهدهد لي جناني

كما تأثر عبد الرحيم، محمود بالشعر الإنجليزي الى حد قليل؛ إذ حاول معارضة بعض القصائد الإنجليزية و نقلها الى العربية، كقصيدة (تبسّم !) التي نقلها عن شاعر انجليزي مجهول.

وفي المقابل، فقد تأثر بعبد الرحيم محمود كثير من تلاميذه مثل الأستاذ عبد الرحيم أسعد و هو (ابن أخت الشاعر)، و الأستاذ طارق عبد الكريم (و هو ابن أخي الشاعر)، و هو يدرّس اللغة العربية في مدرسة (عبد الرحيم محمود الثانوية)، و عبد، الرؤوف حمزة، وهو (ابن أخي الشاعر)، و معروف رفيق (ابن أخي الشاعر)، و أديب رفيق محمود و نافع إبراهيم سعيد (ابن أخت الشاعر) و نلاحظ أن طرفي قرابته قد تأثرا به و سارا على نهجه، كما تأثر به عدد كبير من تلاميذه، مثل: عبد الرزاق رشيد القلقيلي نزيل نابلس و المدير الاداري لفرع جامعة القدس بنابلس، كما تأثر بعبد الرحيم محمود الأستاذ محمد أحمد جاموس النابلسي نزيل أريحا. و يجدر بالذكر ان محمد أحمد جاموس قد نظم قصيدة تكريما لعبد الرحيم محمود كان أول كل بيت من هذه القصيدة يمثل حرفا من اسم عبد الرحيم بشكل متسلسل.

رابعا : فكره، ومذهبه

يغلب على شعر عبد الرحيم محمود الأسلوب التقليدي المحافظ، إذ كان شعره من النوع الموزون المقفى، لا يكاد يخرج على هذا الإطار، ويبرز التقليد و محاكاة القديم في شعره بشكل واضح، لا سيما شعر المتنبي الذي تأثر به الى حد كبير، و يعلل الدكتور كامل السوافيري هذا التقليد « بتوثيق الصلة بين الشاعر الحديث و الشاعر القديم. وأصالة الثقافة العربية وعمق جذورها واتجاه الشعراء في العصر الحديث نحوها يعبون منها و ينهلون من معينها لأنها في نظرهم المثل الاعلى الذي يحتذونه والمورد الصافي الذي يصدرون عنه .»

وعند وقوفنا على شعر عبد الرحيم فإننا نتعامل مع مادة شعرية قديمة، لا من حيث الكلمات والعبارات فحسب، وانما من حيث الصور التي يستخدمها عبد الرحيم محمود والاستعارات والتشبيهات والكنايات، فقد «كان المشبه به في كثير من الصور مستمدا من الادب القديم و ليس من الحياة «.

ومن ميزات شعره وحدة البيت التي تبدو واضحة في جل شعره، بحيث لو نقلنا بيتا من مكانه ما تأثرت القصيدة بالترتيب الجديد. فالأبيات لا ترابط بينها، والشعر العربي القديم يمتاز بهذه الصفة، فلم يكن في القصيدة ارتباط بيت ببيت آخر إلا نادرا. لذلك فقد كان عبد الرحيم محمود من أصحاب المدرسة الاتباعية، كما سماها جميل صليبا، إذ يرى أن « المذهب الاتباعي هو المذهب الأول في بلاد الشام، فكبار الشعراء لا يزالون يقدسون اتجاهاته و أساليبه «، ويبدو أثر هذا الاتجاه واضحا في شعر عبد الرحيم محمود.

وأبرز سماته متانة النسيج وجزالة اللفظ ووضوح العبارة. فقد كان حريصا على الكلمة العربية الأصلية و القوالب المأثورة، وكان في شعر المرحلة الأولى بصفة خاصة تضمن شعره كثيرا من العبارات والالفاظ القرآنية وأساليب الشعر العربي و صوره «.

و قد جانب بعض الدارسن الحقيقة حين ظنوا أن عبد الرحيم محمود ينطلق من مفهوم يساري اشتراكي، فعز الدين المناصرة يثني على طبعة (حنا أبو حنا)، لأن في مقدمتها اعترافا لأول مرة بإتجاه عبد الرحيم اليساري. وهناك من يرى أن عبد الرحيم» تنبأ بحتمية سلطة العمال و حتمية بناء الاشتراكية «، كما يعتقد إبراهيم عبد الستار أن عبد الرحيم محمود تأثر بالفكر الاشتراكي في آخر أيامه، كما يتبنى هذا الموقف الدكتور إبراهيم العلم حين يقول عنه :» وكان يصدر عن موقف طبقي يقوم على العنف، إذ تنادي الاشتراكية بالصراع لبناء عالم جديد يقوده العمال وينتزعون به حقوقهم من غاصبيها، ويذهب عبد الرحمن الكيالى إلى أن عيد الرحيم محمود قد انطلق من التقليدية الى الواقعية الحديثة، ويذهب إلى أن النزعة اليسارية ظاهرة في شعره.

والحقيقة أن عبد الرحيم محمود لم ينطلق من أيدلوجية اشتراكية ولم يكن متأثرا بنزعة ماركسية، وانما «اتخدت الوطنية عنده طابعا اسلاميا له جذوره العميقة في وجدان الشعب الفلسطيني «.

ولقد كان دفاع عبد الرحيم محمود عن الطبقة العاملة «ينطلق من رؤية فطرية غذتها لقاءاته الكثيرة بالشباب الثائر»، وكانت رؤيته نابعة من إحساسه بعصره وتفهمه دور العامل والطبقة الكادحة وحقوقها، ويؤيد ما ذهبت إليه قول أحد رفاق الشاعر الشهيد، وهو أحمد عبد الرحمن إسماعيل «في الجيل الذي نشأ به عبد الرحيم محمود، كان اليسار ضعيفا، ولم يكن عبد الرحيم شيوعيا ولكنه كان قوميا عربيا، بمعنى أنه كان يؤمن بالعروبة والوحدة العربية، وكان يعطف على الفقراء والعمال، ولأنه كان شاعرا شابا مثقفا، فقد كانت الأحزاب تحاول أن تتبناه وتنسبه لنفسها، وإذا ما ألف قصيدة في عيد العمال مثلا، فهذا لا يعني بشكل أنه كان شيوعيا أو اشتراكيا».

وبالمعنى نفسه يقول الأستاذ عبد الرحيم أسعد وهو (ابن أخت الشاعر):» عبد الرحيم محمود ليس

يساريا. بمعنى أنه لم يكن شيوعيا، لكنه كان صديقا لفؤاد نصار رئيس الحزب الشيوعي الفلسطيني بحكم مسكنه في الناصرة، كان كثير العطف على الفقراء وخاصة العمال، وكانت النزعة الدينية فيه متأصلة «، والتقيت أحد طلابه وهو الأستاذ رشيد عبد الرحيم عرفات من قرية فرعون – قضاء طولكرم، فأجابني عن سؤالي عن يساريته قائلا : «كان يساريا بمعنى أن اليسارية كانت هي الوطنية في حينها، ولم يكن يلتزم بحزب يساري ولكنه كان ذا علاقة بعبد الله الريماوي – أحد مؤسسي حزب البعث في فلسطين ـ بحكم الزمالة في العمل.

وكان عبد الرحيم محمود متحررا فكريا بغير أيدلوجيا « ويضيف الأستاذ طارق عبد الكريم محمود في هذا المضمار قائلا: «لم يكن عبد الرحيم محمود يساريا بالمفهوم السائد، واتهمه البعض باليسارية لأنه انضم إلى عصبة التحرير الوطني التي انضم اليها كل الشيوعيين آنذاك، وظل اليساريون بعد استشهاده يحسبونه منهم قاصدين بذلك كسب شخصية أدبية وطنية الى جانبهم.»

فلا مجال إذن لهذا الادعاء، ولا يعني تعاطف عبد الرحيم مع طبقة العمال التي أحس بها في واقع حياته من خلال إحساسه بالفلاح المكابد للعناء، أن يكون يساريا أو أن يرمى بالشيوعية. واذا كان إلقاؤه بعض القصائد عن العمل انتماءً لليسار، فما معنى أن يكون له شعر في مدح القرآن أو وصف الرسول عليه الصلاة والسلام؟!.

لقد كان مزيجا من الثقافات السائد في عصره، فهو عربي قومي، مسلم وطني والقول الفصل في هذا الموضوع مباشر من عبد الرحيم محمود نفسه، فقد جاء في قوله عندما سأله ابن أخته عبد الرحيم أسعد، قائلا:»أحيانا تلتقي شعرا عن العمال فتتهم باليسار، فهل أنت يساري فعلا؟ فأجاب قائلا: الشاعر يتأثر بالموقف الذي هو فيه، أنا لا أؤمن بتعدد المذاهب، أومن بالمذهب الواحد وهو حب الوطن. ويضيف عبد الرحيم أسعد «كل وطني كان يهتم بالشيوعية آنذاك «.

ونستطيع القول إن عبد الرحيم محمود كان إنسانا يحلم بالوحدة العربية، ويمقت أسباب الفرقة والخلاف، وكان فكره انعكاسا لبيئته التي كانت إسلامية النزعة الى حد كبير، وكان وطنيا ثائرا على الظلم وقهر الإنسان أخاه الإنسان، وكانت إنسانيته أبرز ما فيه.

خامسا : الاحتفالات و المهرجانات التي أقيمت تكريما للشاعر الشهيد :

دأب عبد الرحيم محمود في مقتبل عمره على تنظيم ندوات سياسية ومهرجانات شعرية كان الهدف منها توعية الجماهير الفلسطينية وتعريفها بالخطر المحدق بفلسطين وقضيتها. وقد شهد أهل عنبتا كثيرا من الندوات الليلية التي كان يقيمها عبد الرحيم محمود في النادي الرياضي، وقد كانت العادة أن يسأل أحد المجتمعين فيجيب عن الاسئلة عبد الرحيم بنفسه أو أحد المثقفين الذين كانوا يحضرون معه في كثير من المناسبات التي كان يغتنمها لبث روح الوطنية في نفوس الحاضرين.

وكان عبد الرحيم محمود كثير التنقل في ربوع فلسطين، فتارة يلقي قصيدة في القدس، وتارة أخرى يجلجل صوته في الناصرة أو نابلس أو حيفا. و قد كان بعيد النظر يحس بالخطر المحدق بشعبه وأرضه، فكان لسان حال الثورة الشعبية المعبر عن طموح الشعب بالحرية والاستقلال والوحدة، ونستطيع أن نلمس هذه الروح من خلال قصيدته التي ألقاها في مهرجان الاستقبال الذي أعد للأمير سعود بن عبد العزيز بتاريخ 1935/8/14 م عندما مرّ بعنبتا في طريقه إلى القدس، ولم يكن عمره قد تجاوز اثنين وعشرين عاما، يقول :

المسجد الاقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودّعه ؟

و بعد استشهاد الشاعر الناشط، كان حتما على المثقفين أن يردوا له بعض الجميل، و بالفعل فقد أقيمت احتفالات تكريما له، كان أولها التأبين الذي أقيم عام 1948 م يوم استشهاده، حيث ألقى رفيق دربه (حسن البحيري) قصيدة من على منبر جامع عنبتا، يقول في مطلعها :

دثروه بالحرير الاخضر وادفنوه في ثرى من عنبر

وفي عام 1956 م أقيم للشهيد الشاعر حفل تأبين كبير في كلية الحسين في عمان بتاريخ 1956/9/14م حيث رثاه عدد من الشعراء و الخطباء، و كان منهم الدكتور إسحق موسى الحسيني، و الاستاذ أكرم زعيتر و الاستاذ قدري طوقان، وقد انبثق عن الاحتفال إعلان لجنة تتولى طبع ديوان الشاعر الشهيد، وبالفعل، فقد صدرت أول طبعة لديوان عبد الرحيم محمود في أيار عام 1958 م في عمان.

وفي مدينة الطيبة، بفلسطين، أقيم حفل تأبين آخر للشهيد الشاعر، وقد ألقيت فيه كلمات حماسية ككلمتي صالح برانسي وطه محمد على، وانبثق عن هذا الحفل لجنة تولت إحياء تراث عبد الرحيم محمود، وقد صدرت طبعة حنا أبو حنا بناء على قرار اللجنة في عام 1985 م، وفي مدينة الناصرة أقيم مهرجان كبير بمناسبة الذكرى السنوية الثامنة و الثلاثين لاستشهاد عبد الرحيم محمود بتاريخ 1986/7/11 م، و كان عريف الحفل الأستاذ حنا أبو حنا وألقيت كلمات ذكرت فضائل الشاعر ونضالاته، وقصائد تمجد الشاعر وتكبره، وكان بين المتكلمين بسام الشكعة والمرحوم الدكتور عبد اللطيف عقل وألقى قعوار قصيدة شعرية.

وفي تاريخ 1995/4/12 م أقيم احتفال لتكريم الشاعر الشهيد في (مدرسة ذكور عنبتا الثانوية) سابقا، لإزاحة الستار عن اللوحة التي تحمل اسم عبد الرحيم محمود، وأطلق على المدرسة اسم عبد الرحيم محمد منذ ذلك الحين، وكان هذا الاحتفال في طل السلطة الوطنية الفلسطينية حيث حضره الأستاذ ياسر عمرو وزير التربية والتعليم وعدد من الشعراء والأدباء، وكان عريف الحفل الأستاذ عبد الكريم ابن أخي الشاعر.

وأخيرا، عقد في جامعة النجاح الوطنية في مدينة نابلس بتاريخ 1995/5/23 م يوم دراسي مطول حول الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود، برعاية قسم اللغة العربية في الجامعة، و قد شارك في هذا اليوم الدراسي عدد من النقاد والشعراء والمدعوين من فلسطين ومن فلسطيني الجزء المحتل عام 1948 م، كما حضره الطيب عبد الرحيم محمود، الابن الأكبر للشاعر الشهيد، وممن شارك في هذا اليوم الدراسي إميل

حبيبي وحنا أبو حنا، و د. زهير إبراهيم، والدكتور ياسر أبو عليان من جامعة الخليل و د. إبراهيم العلم من جامعة بيت لحم و د. صادق أبو سليمان من جامعة الأزهر في غزة و د. قاسم نوفل و د. عادل أبو عمشة و د. عادل الأسطة من جامعة النجاح و د. عيسى أبو شمسية من جامعة بيرزيت، وكلهم أشاد بالشاعر الشهيد الذي كان له عظيم الأثر في توعية أبناء وطنه حيا، والذي أصبح نموذجا صادقا للثاثر الحر.

الفهرس

تعريف بدائرة المعارف الفلسطينية 171
المحتوى 171
الهدف 171
الآلية 172
حدود المسؤولية 172
تصدير 173
مقدمة 175

يسرة صلاح

يسرة صلاح 179
المقدمة 179
نشأتها 180
الوظائف التي شغلتها 181
جهودها في الترجمة والتأليف 183
ترجماتها 183
وفاتها 183
قالوا فيها 184

ياسين السعدي

ياسين السعدي 195
تعريف بالشاعر 195
المخطوطات 196

سليمان التاجي الفاروقي

سليمان التاجي الفاروقي 199
سلبونا البقية 211

مصطفى مرار

215
لمحة عن حياته 215
مؤلفاته 215
صفات مصطفى مرار 217
ميزات قصصه 217
موضوعات قصصه 217
مصطفى مرار في المائة 218
العوامل التي ساعدت مصطفى مرار في بناء قصتهِ 220

قصته طيور الجنة 222
المصادر والمراجع 227

الشاعر محمد حمزة غنايم

الشاعر محمد حمزة غنايم 231
لمحة عن حياته 231
مؤلفاته 232
أربع قصائد نقدية 234

فوزي جريس عبد الله

فوزي جريس عبد الله 239
بطاقة تعريف 239
لمحة عن حياته 239
نشاطاته 240
أبحاثه الفكرية والثقافية 241
أبحاثه الأدبية 241
أبحاثه الفلسطينية 241
الكلمة التي ألقاها في مؤتمر منظمة الكتاب العالميين في تل أبيب عام 1985م 242
مصادر ثقافة فوزي عبد الله 242
صفات فوزي عبد الله 243
كلمة البرفوسور جورج قنازع في فوزي عبد الله 243
قصيدة الشاعر حبيب في رثاء فوزي عبد الله 244
قصيدة الشاعر الدكتور جمال قعوار في تأبين فوزي عبد الله 245
المهرجان الشعبي الذي نظّمَ لإحياء ذكرى الأربعين لرحيل الشاعر الكبير فوزي 246
قصائد مختارة لفوزي عبد الله 246
المراجع والمصادر 248

إحسان النمر

المقدمة 251
نجيب آغا عبد الفتاح آغا النمر 252
إحسان بن نجيب آغا عبد الفتاح آغا النمر 253
حادثة 253
صفات إحسان البارزة 254
تعليمه 254
عودته إلى اللباس البلدي 257
وفاته 257
الفصل الثاني 258

شعره 258
أسلوبه الخاص في الكتابة 259
الانقطاع والاعتزال التام لإخراج المؤلفات 259
الحياة السياسية 264
نشاطاته الاجتماعية 266
الخدمة العامة 266
تشكيل حزب التقدم العربي الفلسطيني 267
نماذج من مراسلاته 268
النشاطات القومية 269
التنبيه للتشويه القومي 269
الدعوة إلى الوحدة العربية 271
الدعوة إلى الإصلاح الديني السلفي 271
انتقاد المجلس الإسلامي ورئيسه 272
مطالبة الهيئة العلمية بالإصلاح السلفي 272
الدعوة إلى التوجه نحو الشرق 273
تأسيس الهيئات المستقلة (جمعيتي الهداية الإسلامية والرياضية) 273
قائمة بأسماء المؤلفات المطبوعة لإحسان النمر 277
بعض من مؤلفاته غير المطبوعة 278

كامل السوافيري

كامل السوافيري 281
مقدمةالطبعة الأولى 281
كامل السوافيري 283
لمحة عن حياته وموجز عن آثاره في الدراسات الأدبية 288
من مظاهر نشاطه الأدبي 289
الذين كتبوا عن كتبه وترجموا لحياته، ونوهوا بجهوده 291
الكتب المطبوعة 291
الذين كتبوا عن كتبه ونوهوا بجهوده العملية في الصحف والمجلات الأدبية 291

إبراهيم صنوبر

إبراهيم صنوبر 295
مقدمة 295
نسبه ونشأته 297
ثقافته 297
الوظائف العلمية التي عمل بها 298
حياته وآثاره 301

مؤلفاته 302
المؤلفات التي أسهم في تأليفها 303
ختامه مسك 304
فكره من خلال الرسالتين 304
كلمة أخيرة 308
الهوامش 308

غسان كنفاني

غسان كنفاني 313
الهوامش 323
مصادر أساسية 326
القصص 326
أعمال غير قصصية 327
بعض المقالات والمقابلات المهمة 327
مصادر ثانوية واختصارات 328

عبدالرحيم محمود

عبدالرحيم محمود 331
تعريف بالشاعر 331
شعره ودواوينه ومقالاته 333
عبد الرحيم حلقة بين جبلين 335
فكره، ومذهبه 336
الاحتفالات و المهرجانات التي أقيمت تكريما للشاعر الشهيد 338